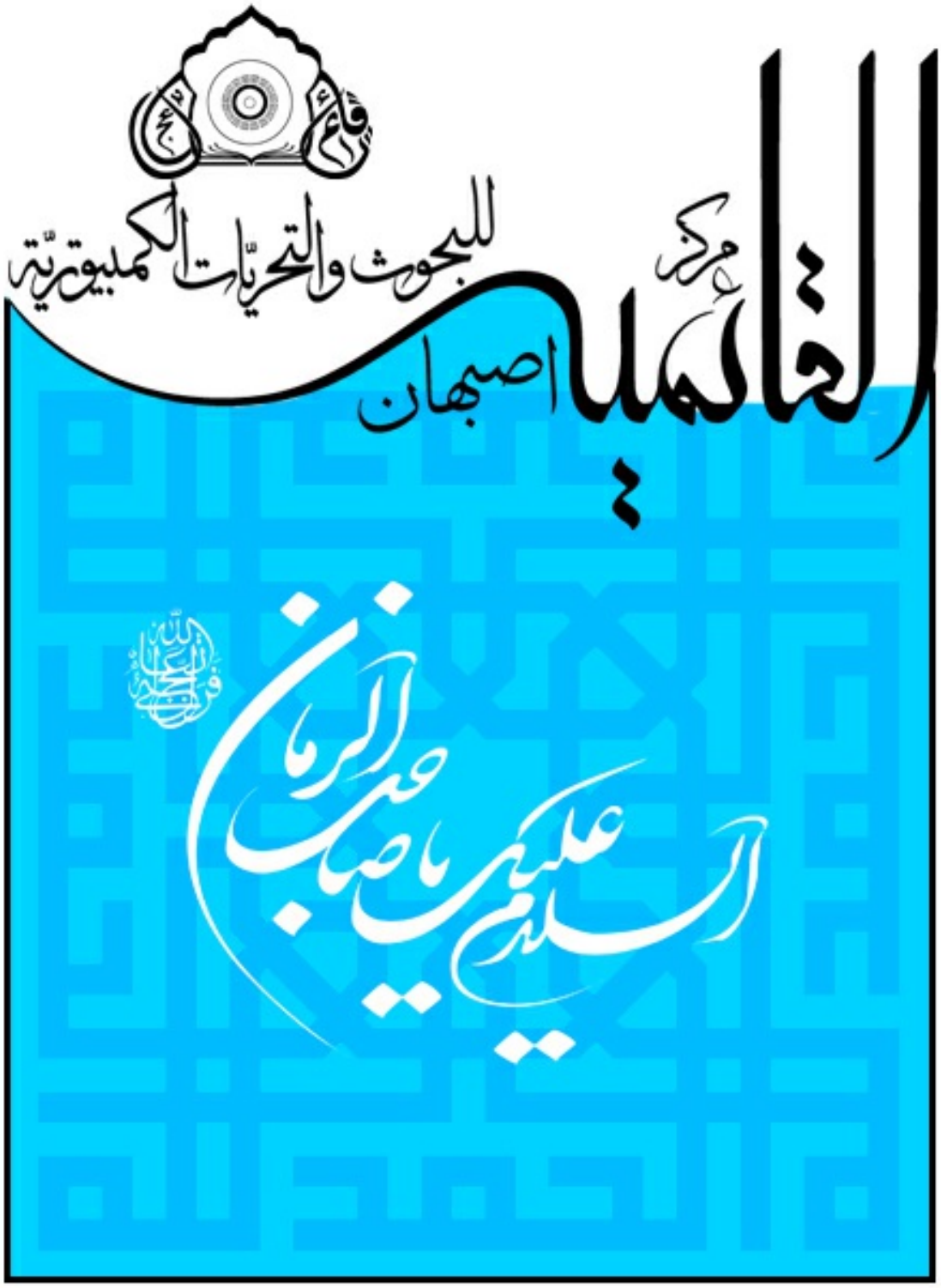

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الشيعة في الإسلام

العلامة الطباطبائي

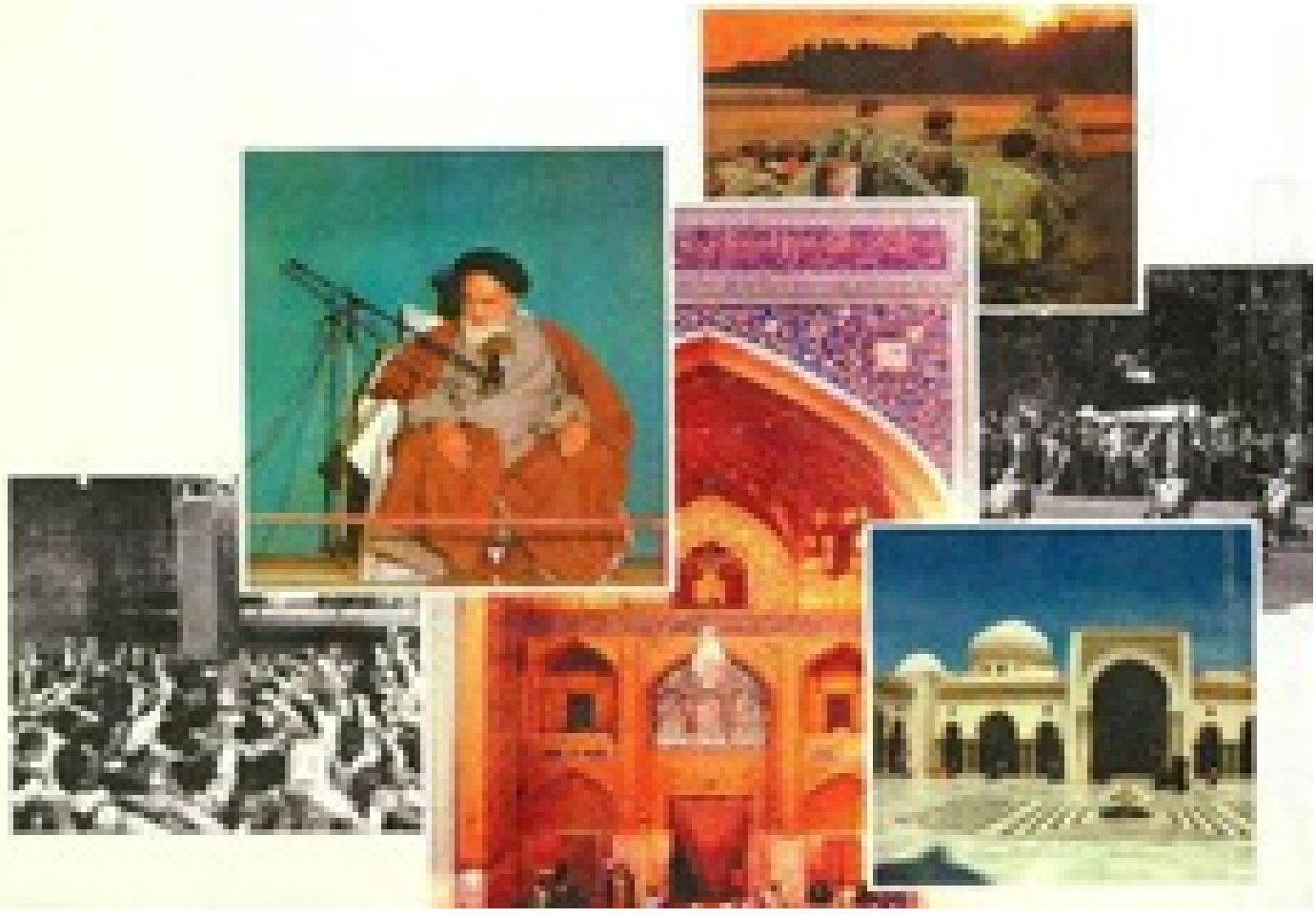

بسم الله الرحمن الرحیم

الشيعه فى الاسلام

كاتب:

محمد حسين طباطبايى

نشرت فى الطباعة:

بيت الكاتب

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الشیعه فی الاسلام ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
محتویات الکتاب ----- ۱۲
مقدمه المترجم ----- ۲۰
تعریف بالکتاب ----- ۲۰
تعریف بالکاتب ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
مؤلفاته: ----- ۲۳
مقدمه المؤلف ----- ۲۷
الفصل الأول: ----- ۳۱
اشاره ----- ۳۱
بدایه نشوء الشیعه ----- ۳۳
سبب انفصال الأقلیّه الشیعیه عن أکثریه السّنه،و ظهور الاختلافات ----- ۳۶
موضوعا الخلافه و المرجعیّه العلمیّه ----- ۳۹
الطریقه السیاسیه للخلافه الانتخابیه،و مخالفتها للفکر الشیعی ----- ۴۱
انتهاء الخلافه إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و سیرته ----- ۴۷
ما حصل علیه الشیعه طوال خلافه الإمام علیّ علیه السّلام ----- ۵۰
انتقال الخلافه إلی معاویه و تحولها إلی ملکیه موروثه ----- ۵۳
الأیام العصیبه التی مرّت علی الشیعه ----- ۵۶
استقرار ملوکیه بنی أمیه ----- ۵۸
الشیعه فی القرن الثانی للهجره ----- ۶۲
الشیعه فی القرن الثالث للهجره ----- ۶۴

الشیعه فی القرن الرابع للهجره ---- ۶۵
الشیعه فی القرن الخامس و حتی القرن التاسع الهجری ---- ۶۶
الشیعه فی القرن العاشر و الحادی عشر للهجره ---- ۶۸
الشیعه فی القرن الثانی عشر و حتی القرن الرابع عشر للهجره ---- ۶۹
انقسام بعض الفرق و انقراضها ---- ۶۹
اشاره ---- ۶۹
الزیدیّه ---- ۷۱
الإسماعیلیه و انشعاباتها ---- ۷۲
النزاریه و المستعلیه و الدروزیه و المقنعه ---- ۷۶
الشیعه الاثنا عشریه و اختلافها مع الزیدیه و الإسماعیلیه ---- ۷۸
موجز عن تاریخ الشیعه الاثنی عشریه ---- ۷۹
الفصل الثانی: ---- ۸۳
اشاره ---- ۸۳
معنی الفکر الدینی ---- ۸۴
المصادر الرئیسیه للفکر الدینی فی الإسلام ---- ۸۴
الطرق التی یعرضها الإسلام للفکر الدینی ---- ۸۵
اشاره ---- ۸۵
الاختلاف بین هذه الطرق الثلاثه ---- ۸۸
الطریق الأول: ---- ۸۹
اشاره ---- ۸۹
حدیث الصحابه ---- ۹۰
بحث آخر فی الکتاب و السنه ---- ۹۱
ظاهر القرآن و باطنه ---- ۹۳
تأویل القرآن ---- ۹۶
تتمه البحث عن الحدیث ---- ۹۹
الشیعه و العمل بالحدیث ---- ۱۰۱

التعلّم و التعليم العام فی الإسلام ----- ۱۰۲
الشیعه و العلوم النقلیه ----- ۱۰۴
الطریق الثانی: ----- ۱۰۶
اشاره ----- ۱۰۶
التفکر العقلی و الفلسفی و الکلامی ----- ۱۰۶
مدی تقدم الشیعه فی التفکر الفلسفی و الکلامی فی الإسلام ----- ۱۰۷
الشیعه یسعون دائما بحقل الفلسفه و سائر العلوم العقلیه ----- ۱۱۰
لما ذا استقرت الفلسفه عند الشیعه؟ ----- ۱۱۰
خمسه من نوابغ علماء الشیعه ----- ۱۱۱
الطریق الثالث: ----- ۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۴
الإنسان و إدراکه للعرفان ----- ۱۱۴
ظهور العرفان فی الإسلام ----- ۱۱۵
إرشاد الکتاب و السنه إلی معرفه النفس،و مناهجها ----- ۱۱۸
الفصل الثالث: ----- ۱۲۱
اشاره ----- ۱۲۱
معرفه الله ----- ۱۲۳
ضروره وجود الله تعالی ----- ۱۲۳
النظر إلی الکون عن طریق المخلوقات و الواقعیات. ----- ۱۲۳
.نظره أخری عن طریق ارتباط الإنسان بالعالم. ----- ۱۲۴
وحدانیه الله تعالی ----- ۱۲۸
الذات و الصفات ----- ۱۲۹
اشاره ----- ۱۲۹
معانی صفات الله تعالی ----- ۱۳۰
مزید من التوضیح فی معانی الصفات ----- ۱۳۱
صفات الفعل ----- ۱۳۲

القضاء و القدر ----- ۱۳۴
الإنسان و الاختيار ----- ۱۳۶
معرفه النبیّ ----- ۱۳۹
نحو الهدف الهدايه العامه ----- ۱۳۹
الهدايه الخاصه ----- ۱۴۱
العقل و القانون ----- ۱۴۳
الشعور المرموز،أو ما يسمى.(الوحى) ----- ۱۴۴
الأنبياء و عصمه النبوه ----- ۱۴۵
الأنبياء و الشرائع السماويه ----- ۱۴۶
الأنبياء و دليل(الوحى)و النبوه ----- ۱۴۹
عدد الأنبياء ----- ۱۵۱
الأنبياء أولو العزم،حمله الشرائع السماويه ----- ۱۵۱
نبوّه محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم ----- ۱۵۲
النبیّ الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و القرآن ----- ۱۵۷
معرفه المعاد ----- ۱۶۱
الإنسان روح و جسم ----- ۱۶۱
مبحث فى حقيقه الروح من منظار آخر ----- ۱۶۳
الموت من وجهه نظر الإسلام ----- ۱۶۴
عالم البرزخ ----- ۱۶۴
يوم القيامه.المعاد ----- ۱۶۶
بيان آخر ----- ۱۶۹
استمرار الخلقه و تعاقبها ----- ۱۷۵
معرفه الإمام ----- ۱۷۶
معنى الإمام ----- ۱۷۶
الإمامه و خلافه النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى الحكومه الإسلاميه ----- ۱۷۷
تأييد للأقوال السابقه ----- ۱۸۴

الإمامه فی العلوم التشریعیه ---- ۱۸۷
الفرق بین النّبی و الإمام ---- ۱۸۸
الإمامه فی باطن الأعمال ---- ۱۹۰
أئمه الإسلام و قادته ---- ۱۹۴
موجز عن حیاه الأئمه الاثنی عشر ---- ۱۹۵
الإمام الأول: ---- ۱۹۵
الإمام الثانی: ---- ۲۰۱
الإمام الثالث: ---- ۲۰۳
الإمام الرابع: ---- ۲۱۲
الإمام الخامس: ---- ۲۱۳
الإمام السادس: ---- ۲۱۵
الإمام السابع: ---- ۲۱۷
الإمام الثامن: ---- ۲۱۸
الإمام التاسع: ---- ۲۲۱
الإمام العاشر: ---- ۲۲۲
الإمام الحادی عشر: ---- ۲۲۴
الإمام الثانی عشر: ---- ۲۲۶
اشاره ---- ۲۲۶
السفراء ---- ۲۲۷
بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر العامه ---- ۲۲۸
بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر الخاصه ---- ۲۲۹
ردّ علی الشبهات ---- ۲۳۰
الخاتمه: ---- ۲۳۲
تعریف مرکز ---- ۲۳۴

الشیعه فی الاسلام

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، محمدحسین، ۱۳۶۰ - ۱۲۸۱

عنوان و نام پدیدآور : الشیعه فی الاسلام/ محمدحسین الطباطبائی

مشخصات نشر : بیت الکاتب.بیروت.

مشخصات ظاهری : ص ۳۰۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۱۳۰۴

اشاره

ص :۱

محتويات الكتاب

الشيعه فى الإسلام العلامه الطباطبائى مركز بقيه الله الاعظم(ع) للدراسات و النشر

ص :۳

مقدمه المترجم ۹

مقدمه المؤلف ۱۵

الفصل الأول:کیفیه نشوء الشیعه و تطورهم.

بدایه نشوء الشیعه ۲۱

سبب انفصال الأقلیّه الشیعیه عن اکثریه السنّه،و ظهور الاختلافات ۲۴

موضوعا الخلافه و المرجعیّه العلمیّه ۲۷

الطریقه السیاسیه للخلافه الانتخابیه،و مخالفتها للفکر الشیعی ۲۹

انتهاء الخلافه إلی أمیر المؤمنین(ع)و سیرته ۳۵

ما حصلت علیه الشیعه طوال خلافه الامام علیّ(ع)فی خمس سنوات ۳۸

انتقال الخلافه إلی معاویه و تحولها إلی ملوکیه موروثه ۴۱

الأیام العصیبه التی مرّت بالشیعه ۴۴

استقرار ملوکیه بنی امیّه ۴۶

الشیعه فی القرن الثانی للهجره ۵۰

الشیعه فی القرن الثالث للهجره ۵۲

الشیعه فی القرن الرابع للهجره ۵۳

الشیعه فی القرن الخامس و حتی القرن التاسع الهجری ۵۴

الشیعه فی القرن العاشر و الحادی عشر للهجره ۵۶

الشیعه فی القرن الثانی عشر و حتی القرن الرابع عشر للهجره ۵۷

انقسام بعض الفرق و انقراضها ۵۷

الزیدیّه ۵۹

الاسماعیلیه و انشعاباتها ۶۰

النزاریه و المستعلیه و الدروزیه و المقنعه ۶۴

الشیعه الاثنا عشریه،و اختلافها مع الزیدیه و الاسماعیلیه ۶۶

موجز عن تاریخ الشیعه الاثنی عشریه ۶۷

الفصل الثانی:الفکر الدینی لدی الشیعه معنی الفکر الدینی ۷۲

المصادر الرئیسیه للفکر الدینی فی الاسلام ۷۲

الطرق التی یعرضها الاسلام للفکر الدینی ۷۳

الاختلاف بین هذه الطرق الثلاثه ۷۶

الطریق الأول:الظواهر الدینیه و أقسامها ۷۷ حدیث الصحابه ۷۸

بحث آخر فی الکتاب و السنه ۷۸

ظاهر القرآن و باطنه ۸۱

تأویل القرآن ۸۴

تتمه البحث عن الحدیث ۸۷

الشیعه و العمل بالحدیث ۸۹

التعلّم و التعلیم العام فی الاسلام ۹۰

الشیعه و العلوم النقلیه ۹۲

الطریق الثانی:المباحث العقلیه:۹۴ التفکر العقلی و الفلسفی و الکلامی ۹۴

مدی تقدم الشیعه فی التفکر الفلسفی و الکلامی فی الاسلام ۹۵

الشيعه يسعون دائما بحقل الفلسفه و سائر العلوم العقليه ۹۸

لما ذا استقرت الفلسفه عند الشيعه؟۹۸

خمس من نوابغ علماء الشيعه ۹۹

ص :۶

الطريق الثالث:الكشف ۱۰۲ الانسان و إدراكه للعرفان ۱۰۲

ظهور العرفان فی الاسلام ۱۰۳

ارشاد الكتاب و السنه إلی معرفه النفس،و مناهجها ۱۰۶

الفصل الثالث:المعتقدات الاسلاميه من وجهه نظر الشيعه الاماميه معرفه الله:

النظر إلی الكون عن طريق المخلوقات و الواقعيات-ضروره وجود الله تعالی ۱۱۱

نظره أخری عن طريق ارتباط الانسان بالعالم-خاتمه الفصل وحدانيه الله تعالی ۱۱۲

الذات و الصفات ۱۱۷

معانی صفات الله تعالی ۱۱۸

مزيد من التوضيح فی معانی الصفات ۱۱۹

صفات الفعل ۱۲۰

القضاء و القدر ۱۲۲

الانسان و الاختيار ۱۲۴

معرفه النّبی:

نحو الهدف-الهدايه العامه ۱۲۷

الهدايه الخاصه ۱۲۹

العقل و القانون ۱۳۱

الشعور المرموز،أو ما يسمی ب(الوحی)۱۳۲

الأنبياء و عصمه النبوه ۱۳۳

الأنبياء و الشرائع السماويه ۱۳۴

الأنبياء و دليل(الوحی)و النبوه ۱۳۷

عدد الأنبياء ۱۳۹

الأنبياء أولو العزم،حمله الشرائع السماويه ۱۳۹

نبوّه محمد(ص) ۱۴۰

النّبى الأكرم(ص)و القرآن ۱۴۵

ص :۷

معرفه المعاد:

الانسان روح و جسم ۱۴۹

مبحث فی حقیقه الروح من منظار آخر ۱۵۱

الموت من وجهه نظر الاسلام ۱۵۲

عالم البرزخ ۱۵۲

یوم القیامه-المعاد ۱۵۴

بیان آخر ۱۵۷

استمرار الخلقه و تعاقبها ۱۶۲

معرفه الامام:

معنی الامام ۱۶۳

الامامه و خلافه النبی الأکرم(ص)فی الحکومه الاسلامیه ۱۶۴

تأیید للأقوال السابقه ۱۷۱

الامامه فی العلوم التشریعیه ۱۷۴

الفرق بین النّبی و الامام ۱۷۵

الامامه فی باطن الأعمال ۱۷۷

أئمه الاسلام و قادته ۱۸۱

موجز عن حیاه الأئمه الاثنی عشر ۱۸۲

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر العامه ۲۱۵

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر الخاصه ۲۱۶

مقدمه المترجم

تعريف بالكتاب

قد يتساءل البعض،من هم الشيعه؟و ما هو التشيّع؟متى وجد؟ و كيف نشأ؟.

فقال البعض،إنهم فرقه استحدثت و تشعبت من الإسلام،و قال آخرون،إنهم غلاه ليسوا بمسلمين،و ذهب جماعه إلى أنهم فرقه ضاله مضلّه،لا يربطهم بالإسلام رابط،و ما إلى ذلك من الأقوال...

كتاب«الشّيعه فى الإسلام»تحقيق جادّ فى تعريف الشيعه من جميع جوانبهم،لمن لم يتعرف على الفكر الشيعى،فهو يجيب على جميع تلك التساؤلات،و يردّ على الشبهات التى طالما تمسك بها الأعداء،فجعلوها ذريعه،للحطّ من شأن الشيعه و مقامهم.

لقد عالج المؤلف هذا الهدف دون تعرّض لأهل السنّه،فى حين يقف مدافعا عن أصاله الشيعه،و يبيّن علل نشوئهم،و قد حاول المؤلف أن يعرض التشيّع،و هو جانب من الإسلام الأصيل،بعيدا عن التفرقه و الانشقاق فى صفوف المسلمين.

جاء الكتاب مبسطا و بلغه يفهمها الجميع،لا يستغنى عنه الشيعه ذاتهم و خاصه الشباب.

ص: ۹

لقد قسّم المؤلف-قدّس سره-بحثه القيّم هذا إلى ثلاثه فصول،استعرض خلالها تاريخ الشيعه و معتقداتهم و علومهم.

فبحث فی الفصل الأوّل،کیفیه نشوء الشیعه و انقساماتها، و موجزا عن تاریخ الشیعه الاثنی عشریه.و استعرض فی الفصل الثانی،الفکر الشیعی،و الطرق التی ینتهجها فی الاحتجاج،من ظواهر دینیه أو بحوث عقلیه و تناول فی الفصل الثالث،أصول الدین و فروعه من وجهه نظر الشیعه،فی الله سبحانه و صفاته، و فی معرفه النبی(ص)و الوحی،فی المعاد،و فی الإمامه،و الفرق بین النبی و الإمام.و موجز عن تاریخ الأئمه الاثنی عشر،و مبحث فی ظهور المهدی-علیه السّلام-.

تعریف بالکاتب

اشاره

ولد المؤلف العلاّمه السید محمد حسین الطباطبائی فی بیت علم و فضل،فی بیت له تاریخ طویل فی خدمه شریعه الإسلام، و منهج الرسول و أهل بیته،إذ أن أربعه عشر من أجداد المؤلف کانوا من العلماء البارزین فی مدینه تبریز الإیرانیه.

ولد سنه ۱۳۲۱ للهجره،فتابع دراسته الأولیّه هناک،ثم رحل إلی النجف الأشرف سنه ۱۳۴۴ ه،و مکث هناک،مده لا تقل عن عشر سنوات،اکتسب خلالها مختلف العلوم الإسلامیه،فدرس الفقه و الأصول،و الفلسفه و الریاضیات و الأخلاق،ثم رجع إلی موطنه سنه ۱۳۵۴ ه.

لم یکتف بدراسه الفقه و الأصول بشکلها المبسّط،و إنما تعمّق

فی دراسه هـذین العلمین،و تنـاول دراسه علم النحو و الصـرف أیضا،و دراسه الأدب العربی،و تطرّق إلی دراسه علم الریاضـیات القدیم ک«أصول»أقلیدس و«المجسطی»لبطلیموس،و الفلسفه و علم الکلام و العرفان و التفسیر أیضا.

ذاعت شـهرته فی إیران،بعد أن هاجر من مسـقط رأسه إلی مدینه قم،إثر الحوادث السیاسـیه للحرب العالمیه الثانیه،فأقام فیها سـنه ۱۳۶۵ ه،و شـرع بتـدریس التفسـیر و الحکمه و المعارف الإسـلامیه،و لم یتوان فی البحث مع المخالفین،فأرشـد العدید منهم إلی طریق الحقّ و الصواب.

کان لمحاضـراته فی الحوزه العلمیه،أثر بلیغ فی طلابها،بل شـملت المثقفین أیضا.فکانت لقاءاته مع الأسـتاذ«هنری کربن» مستمره فی کل خریف،یحضرها جمع من الفضلاء و العلماء، تطرح فیها المسائل الدینیه و الفلسفیه،فکانت لها نتائجها المثمره.

و من الجدیر بالذکر أنّ تلک اللقاءات و المباحثات لم یکن لها نظیر فی العالم الإسـلامی،منذ القرون الوسـطی حین کان التلاقح الفکری بین المسلمین و المسیحیین.

أحیی العلاّمه الطباطبائی،العلوم العقلیه و تفسیر القرآن، فاهتمّ بتدریس الحکمه،و شرع بتدریس کتاب«الشفاء»و «الأسفار».

کان یمتاز بـدماثه الخلق،فکان عاملا رئیسـیا فی جـذب الطلاب إلی محاضـراته القیّمه،إذ کان یحضـرها المئات،فنال الکثیر منهم درجه الاجتهاد فی الحکمه،و أصبحوا أساتذه قادرین علی تدریسها.

ص :۱۱

كـان العلاّمه يحرص على الأخلاـق و تزكيه النفس فضـلا عن اهتمـامه بـالحكمه و العرفـان، و يمكن القول بأنه أسّـس مدرسـه جديـده فى التربيه و علم الأخلاـق،فقـدم للمجتمع نمـاذج تتصف بأخلاق إسـلاميه عاليه،و كان يؤكـد كثيرا على ضـروره تلازم التعاليم الإسـلاميه مع التربيه المدرسـيه،و يعتبرها من المسائل الأساسـيه فى المعارف الإسـلاميه،إلا أنه من المؤسف لم يراع هـذا الأمر فى المدارس الحديثه ببلاد المسلمين.

مؤلفاته:

(١)تفسير الميزان فى(٢٠)جزءا باللغه العربيه،و ترجم إلى الفارسيه و الإنكليزيه.

(٢)مبادى الفلسفه و طريقه المثاليه،مع شرح و هوامش للعلامه الفيلسوف الشهيد مرتضى مطهرى.

(٣)شرح الأسفار لصدر الدين الشيرازى،فى سته مجلدات.

(۴)حوار مع الأستاذ«هنرى كربن»فى مجلدين.

(۵)رساله فى الحكومه الإسلاميه،طبعت بالعربيه و الفارسيه و الألمانيه.

(۶)حاشيه الكفايه.

(٧)رساله فى القوه و الفعل.

(٨)رساله فى إثبات الذات.

(٩)رساله فى الصفات.

(١٠)رساله فى الأفعال.

(۱۱)رساله فی الوسائط.

(۱۲)الإنسان قبل الدنیا.

(۱۳)الإنسان فی الدنیا.

(۱۴)الإنسان بعد الدنیا.

(۱۵)رساله فی النبوه.

(۱۶)رساله فی الولایه.

(۱۷)رساله فی المشتقات.

(۱۸)رساله فی البرهان.

(۱۹)رساله فی المغالطه.

(۲۰)رساله فی التحلیل.

(۲۱)رساله فی الترکیب.

(۲۲)رساله فی الاعتبارات.

(۲۳)رساله فی النبوه و المنامات.

(۲۴)منظومه فی رسم خط النستعلیق.

(۲۵)علی و الفلسفه الإلهیه.

(۲۶)القرآن فی الإسلام.

(۲۷)الشیعه فی الإسلام.(هذا الکتاب).

هذا فضلا عن المقالات المتعدده التی کانت تنشر فی المجلات العلمیه آنذاک.

لعلّ من أهم آثار العلاّمه و مؤلفاته کتابه«المیزان فی تفسیر القرآن»و یعتبر من التفاسیر القیّمه لهذا العصر،فقد خدم هذا التفسیر المجتمع الإسلامی،کما خدمت التفاسیر القیّمه

القديمه المسلمين،بتناسبها و تلازمها مع العلوم و الفلسفه حينئذ، لفهم معانى القرآن فى العصور السالفه.

لقد اتخذ العلاّمه نهجا خاصا فى تفسيره هذا،إذ يبتنى على نصّ الحديث،و هو تفسير القرآن بالقرآن.

لقد قضى العلاّمه عمرا فى خدمه الدين الحنيف،و المجتمع الإسلامى،فكان-و لا يزال-منارا لروّاد الفضيله و العلم،فقد أنار الطريق للعديد ممن قرءوا مصنفاته،و حضروا مجلسه،فمنحهم روحا علميّه خالصه و اتجاها فكريا سليما،قدس الله سره الشريف و حشره مع آبائه و أجداده محمد و آله و نفع المسلمين بآثاره و علومه.

جعفر بهاء الدين

ص :۱۴

مقدمه المؤلف

الكتاب الذى بين أيدينا«الشّيعه فى الإسلام»يتحدث عن حقيقه مذهب التشيّع و ماهيته،و هو أحد المذهبين الرئيسيين الإسلاميين«الشيعى و السنى».

يستعرض الكتاب،كيفيه نشوء المذهب الشيعى،و أسلوب التفكير الدينى لدى الشيعه،و المعارف الإسلاميه من وجهه نظرهم.

الدّين:لا شك فى أن أىّ إنسان يميل فى حياته إلى أبناء جنسه،و لا تخلوا أعماله التى يقوم بها فى بيئته،من صله بعضها بالبعض الآخر،كالأكل و الشرب،و السكون و الحركه،و النوم و اليقظه...فى الوقت الذى تنفصل كل من هذه الأفعال و الحركات عن الأخرى،تكون مرتبطه بعضها بالبعض ارتباطا وثيقا.

على هذا الأساس،فإن الأعمال التى يقوم بها الإنسان فى حياته،تتحقق فى حدود نظام لا يتعداه،و تنبع من نظره معيّنه،ألا و هى أن الإنسان يريد أن يحيا حياه سعيده،يظفر بآماله و أمنياته.

و بعباره أخرى،يطمح الإنسان قدر استطاعته إلى تحقيق متطلباته بصوره أكمل،و ما ذلك إلّا للحفاظ على وجوده و بقائه.

و انطلاقا من هذه النظره،بات الإنسان ينظم أعماله وفق قوانين و أحكام وضعها بميله،أو اقتبسها من آخرين.و بالتالى نجده يتخذ أسلوبا خاصا فى حياته.

فهو يكدّ و يسعى من أجل تأمين متطلبات حياته،لأنه يعتبرها من الأسس و المقوّمات لها.

فهو يبادر إلى تناول الماء و الطعام،ليسدّ بهما عطشه و جوعه، لأن الأكل و الشرب،حاجتان ضروريّتان لاستمرار الحياه.

إن هذه القوانين التى تحكم حياه الإنسان،تبتنى على اعتقاد أساسى،و الإنسان يعتمد عليها فى بناء علاقاته،و هو تصوره عن الحياه و الكون،و الذى هو جزء منه،و تأملاته عن حقيقتها،و يتضح هذا الموضوع بالتأمل فى الآراء المختلفه التى يرتئيها الناس فى حقيقه العالم.

فالذين يحصرون الوجود فى هذا العالم المادّى المحسوس، و يعدّون الإنسان كائنا ماديا محضا(يحيا بتدفق الحياه فى جسمه،و يفنى بالموت)فإن نظرتهم هذه إلى الحياه نظره ماديه بحته،فهم يسعون إلى تحقيق متطلباتهم الماديّه،و يبذلون فى هذا السبيل قصارى جهودهم لتذليل الظروف و العوامل الطبيعيه لأغراضهم و مصالحهم الخاصه.

و أما الذين يعتقدون بأن عالم الطبيعه من صنع خالق أعلى شأنا من الطبيعه،مثل عبده الأوثان،فإنهم يذهبون إلى أن العالم مخلوق،و خاصه الإنسان،و قد أسبغ الخالق نعمه عليه،كى ينعم بخيراتها،فهم ينسقون برامج حياتهم وفقا لرضى الخالق، مبتعدين عن سخطه و غضبه،فإذا ما استطاعوا جلب رضاه، فنعمه موفوره،مغدقه عليهم،و إذا زالت النعم فدليل سخطه عليهم.

و هناک من یعتقد بالله سبحانه وحده،و یری بأن حیاه الإنسان خالده،و هو مسئول عن أعماله خیرها و شرها،و یقرّ بیوم الجزاء (القیامه)کالیهود و النصاری و المسلمین،فهم یسلکون طریقا فی حیاتهم،مراعین فیه هذا الأصل الاعتقادی،کی یحصلوا علی سعاده الدارین،الدنیا و الآخره.

إن مجموع هذه المعتقدات و الأسس(الاعتقاد بحقیقه الإنسان و الکون)و ما یلازمها من أحکام،و أنظمه متناسقه،و التی تدخل فی نطاق عملهم فی الحیاه تسمی ب«المذهب»مثل مذهب التسنن و التشیع فی الإسلام،أو مذهب الملکانی و النسطوری فی المسیحیه.

و بناء علی ما تقدم،یستحیل علی الإنسان-و إن کان منکرا لوجود الله تعالی-أن یکون فی غنی عن الدین(دستور الحیاه الذی بنی علی أصل اعتقادی).فالدین إذن طریقه الحیاه التی لا تنفک عنها.

و القرآن الکریم،یشیر إلی أن الإنسان لا بدّ أن ینتهج الدین طریقا له و مسلکا،و هذا الطریق قد جعله الله تعالی لکافه البشر، و بانتهاجه یصل إلی الله جلّ و علا.

و لکن الأمر یختلف بالنسبه إلی الأفراد،فأما الذین سلکوا الدین الحقّ و هو الإسلام،فقد سلکوا طریق الصواب،و أما الذین مالوا عن هذا الطریق،فقد ضلوا ضلالا مبینا (۱).

۱- ۱) «أَلا لَعْنَهُ اللّهِ عَلَی الظّالِمِینَ اَلَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ یَبْغُونَهَا عِوَجاً» الآیه ۴۴، سوره الأعراف.

الإسلام:الإسلام لغه،هو الانقياد لأمر الآمر و نهيه بلا اعتراض،و قد أطلق القرآن الكريم،كلمه الإسلام على هذه الدعوه،و إطاره العام هو تسليم الإنسان أمام ربّ العالمين (۱).و ألا يعبد إلا الله الواحد الأحد،و ألّا يتبع إلّا أوامره.

و القرآن الكريم يخبرنا أن إبراهيم الخليل-عليه السلام-هو أوّل من سمّى هذا الدين بالإسلام،و متبعيه بالمسلمين (۲).

الشيعه:يراد بها الأتباع،و تطلق على الذين يرون أن الخلافه بعد النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم منحصره فى أهل بيته.و المراد منها فى المعارف الإسلاميه،التابعون لأهل البيت-عليهم السلام (۳)-.

۱- ۱) «وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّهَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» الآيه ۱۲۵،سوره النساء. «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ،فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ» الآيه ۶۴،سوره آل عمران. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّهً» الآيه ۲۰۸،سوره البقره.

۲- ۲) «رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ» الآيه ۱۲۸،سوره البقره. «مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» الآيه ۷۸،سوره الحج.

۳- ۳) تطلق كلمه الشيعه على طائفه من الزيديه،التى تقرّ بخلافه الخليفتين الأول و الثانى، قبل الإمام على عليه السّلام،و تتبع فقه أبى حنيفه فى الفروع،و السبب فى هذه التسميه،هو أنهم كانوا يسرون الخلافه لعلى عليه السّلام و أولاده،قبال خلافه بنى أميّه و بنى العباس.

الفصل الأول:

اشاره

كيفيه نشوء الشيعه و تطورهم

ص :۱۹

بدایه نشوء الشیعه

یجب أن نعلم أن بدایه نشوء الشیعه،و التی سمیت لأول مره بشیعه علی«أول إمام من أئمه أهل البیت(علیهم السلام)» و عرفت بهذا الاسم،کان فی زمن النبیّ الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم،فظهور الدعوه الإسلامیه و تقدمها و انتشارها خلال ثلاث و عشرین سنه، زمن البعثه النبویّه،أدت إلی ظهور مثل هذه الطائفه بین صحابه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۱):

أ- فی الأیام الأولی من بعثته صلی اللّه علیه و آله و سلم أمر الرسول بنص من القرآن الکریم، وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ (۲)،و صرّح فی جمعهم أن أوّل من یبایعنی علی هذا الأمر سیکون خلیفتی و وصیی من بعدی، فکان علی علیه السّلام أول من تقدم،و قبل الإسلام،و النبی قبل إیمانه،

۱- ۱) أول اسم ظهر فی زمن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،اسم الشیعه،و اشتهر کل من سلمان و أبو ذر و المقداد و عمّار بهذا اللقب.حاضر العالم الإسلامی ۱:۱۸۸.

۲- ۲) سوره الشعراء الآیه ۲۱۴.

و تعهّد بكلّ ما وعده به (۱)،و يستحيل عاده على قائد نهضه،و فى أيامها الأولى أن يعيّن أحد أصحابه وزيرا و خليفه له على الآخرين،و لا يعرّفه للخلّص من أصحابه و أعوانه،أو أن يكتفى بهذا الامتياز ليعرفه و ليعرّفه،و لا يطلعه على مهمته طوال حياته و دعوته أو أن يجعله بعيدا عن مسئوليات الوزاره و الخلافه-بغضّ النظر عن مقام الخلافه-و ما يجب أن يبدى لها من احترام و تقدير،و لا يفرّق بينه و بين الآخرين.

ب- إن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم وفقا للروايات المستفيضه و المتواتره عن طريق أهل السنه و الشيعه،و التى يصرّح فيها أن عليا عليه السلام مصون من الخطأ و المعصيه فى أقواله و أفعاله (۲)،و كل ما يقوم به فهو مطابق للدعوه و للرساله،و هو أعلم الناس بالعلوم الإسلاميه و شريعه السماء (۳).

---

۱ - ۱) جاء فى الحديث عن على عليه السّلام:و قلت:و لأنى لأحدثهم سنا،أنا يا نبى الله،أكون وزيرك عليه،فأخذ برقبتى،ثم قال:إن هذا أخى و وصىّ و خليفتى فيكم،فاسمعوا له و أطيعوا،قال فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب:قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.تاريخ اليعقوبى ج ۲:۶۳-تاريخ أبى الفداء ج ۱:۱۶۶-البدايه و النهايه ج ۳: ۳۹-غايه المرام ۳۲۰.

۲ - ۲) عن أم سلمه قالت:لقد سمعت رسول الله(ص)يقول:علىّ مع الحق و القرآن،و الحق و القرآن مع علىّ،و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض.و نقل هذا الحديث،عن ۱۵ طريقا من العامه و ۱۱ طريقا من الخاصه و رواته أم سلمه،و ابن عباس،و أبو بكر، و عائشه،و علىّ،و أبو سعيد الخدرى،و أبو ليلى،و أبو أيوب الأنصارى.غايه المرام ۵۳۹ -۵۴۰.قال رسول الله(ص):رحم الله عليا دار الحق معه حيث دار.البدايه و النهايه ج ۷:۳۶۰.

۳ - ۳) عن علقمه قال:كنت عند رسول الله(ص)،فسئل عن علىّ فقال:قسمت الجنه عشره أجزاء،أعطى علىّ تسعه و الناس جزءا واحدا.

ج- قام الإمام علی علیه السّلام بخدمات جمه للرساله و تضحیات مدهشه (۱)،کمنامه فی فراش النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم لیله الهجره.فلو لم یکن الإمام علی علیه السّلام مشارکا فی إحدی غزوات بدر و أحد و الخندق و خیبر،لما حقق الإسلام و لا المسلمون انتصاراتهم المظفره.و لکان القتل و الفشل حلیفهم (۲).

د- موضوع غدیر خم،و الذی أعلن فیه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم الولایه العامه لعلی علیه السّلام فجعل لعلی علی المسلمین ما کان له صلی اللّه علیه و آله و سلم علیهم (۳).

من الطبیعی،أن هذه الخصائص و الفضائل التی انفرد بها الإمام علی علیه السّلام،و التی هی مورد اتفاق الجمیع (۴).و المودّه الخاصه (۵)،التی کان یبدیها النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم.جعلت له مؤیدین و محبّین مخلصین،من صحابه النبی و أنصاره،کما أثارت لدی البعض الآخر الحقد و الحسد.

۱- ۱) عند ما قرر کفار مکه قتل محمد(ص)و حاصروا بیته،صمّم النبی(ص)أن یهاجر إلی المدینه،فقال لعلی:هل أنت مستعد أن تبیت فی فراشی حتی یظنوا بأننی نائم، فأکن فی مأمن منهم،وافق علی(ع)علی الاقتراح بکل سرور.

۲- ۲) راجع کتب التاریخ و الحدیث.

۳- ۳) حدیث الغدیر من الأحادیث المتفق علیه سنه و شیعه،و قد نقل هذا الحدیث أکثر من مائه صحابی بأسانید و عبارات مختلفه،و هی مدونه فی کتب العامه و الخاصه،لمزید من التفصیل یراجع کتاب غایه المرام صفحه ۷۹ و کتاب العبقات مجلد الغدیر.و کذا کتاب الغدیر.

۴- ۴) تاریخ الیعقوبی طبع النجف الأشرف،المجلد الثانی صفحه ۱۳۷-/۱۴۰تاریخ أبی الفداء المجلد الأول ص /۱۵۶صحیح البخاری ج ۴:/۱۰۷مروج المذهب ج ۲:۴۳۷ ابن أبی الحدید ج ۱:۱۲۷ و ۱۶۱.

۵- ۵) صحیح مسلم ج ۵:/۱۷۶صحیح البخاری ج ۴:/۲۰۷مروج الذهب ج ۲:/۴۳۷تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۲۷ و ۱۸۱.

و فضلا عن هذا كلّه،فإن كلمه«شيعه على»و«شيعه أهل البيت»قد جاءت فى كثير من أقوال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱).

سبب انفصال الأقليّه الشيعيه عن أكثريه السّنه،و ظهور الاختلافات

كان شيعه على عليه السّلام و أصحابه يعتقدون اعتقادا راسخا أن الخلافه ستكون لعلى عليه السّلام بعد وفاه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و ذلك لما كان يتسم به عليه السّلام من مقام و منزله لدى الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و الصحابه و المسلمين، و ظواهر الأمور و الحوادث تؤيد ذلك،باستثناء ما حدث فى أيام مرضه الأخير صلى اللّه عليه و آله و سلم (۲).

۱- ۱) عن جابر بن عبد الله قال،كنا عند النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،فأقبل على بن أبى طالب،فقال النبى قد أتاكم أخى،ثم التفت إلى الكعبه فضربها بيده ثم قال و الذى نفسى بيده،إن هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامه. عن ابن عباس،قال:لما نزلت هذه الآيه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ» قال النبى:هم أنت و شيعتك تأتى أنت و شيعتك يوم القيامه راضين مرضيين.و قد ورد هذان الحديثان و أحاديث أخرى فى كتاب الدرّ المنثور ج ۱:۳۷۹ و غايه المرام صفحه ۳۲۶.

۲- ۲) لما مرض رسول الله(ص؛مرض الموت،دعا أسامه بن زيد بن حارثه،فقال:سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل،فقد وليتك على هذا الجيش و إن ظفرك الله بالعدوّ، فاقلل اللبث،و بثّ العيون و قدم الطلائع،فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين و الأنصار إلاّ كان فى ذلك الجيش،منهم أبو بكر و عمر،فتكلم قوم و قالوا:يستعمل هذا الغلام على جلّه المهاجرين و الأنصار،فغضب رسول الله(ص)لما سمع ذلك و خرج عاصبا رأسه، فصعد المنبر و عليه قطيفه،فقال:أيها الناس ما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأمير أسامه،لئن طعنتم فى تأميرى أسامه،فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله،و ايم الله إن كان لخليفا بالإماره،و ابنه من بعده لخليق بها و إنهما لمن أحبّ الناس إلىّ، فاستوصوا خيرا...شرح ابن أبى الحديد ج ۱:۱۵۹. قال رسول الله(ص)لما حضرته الوفاه:«ائتونى باللوح و الدواه،أو بالكتف و الدواه، أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده»فقالوا:«إن رسول الله ليهجر».-

و لکن الذی حدث هو غیر ما کانوا یتوقعونه،ففی الوقت الذی التحق النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بالرفیق الأعلی،و لم یغسل جسده الطاهر،و لم یدفن بعد،و حینما کان أهل البیت و عدد من الصحابه منصرفین إلی العزاء،و إجراء المقدمات اللازمه له،إذ وصلهم نبأ انصراف جماعه قلیله لتعیین الخلیفه بعد الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم،و هذه القله التی غلبت الکثره،قد بادرت بهذا الأمر عجاله،دون استشاره أهل البیت،و أقرباء النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و عشیرته و صحابته الذین وجدوا أنفسهم أمام أمر واقع (۱)،و بعد أن فرغ الإمام علی علیه السّلام،و من معه من الصحابه(کابن عباس و الزبیر و سلمان و أبی ذر و المقداد و عمّار)من دفن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم أعلموا بالذی حدث،فرفعوا علم المعارضه،و انتقدوا القائمین بهذا الأمر،و أبدوا اعتراضهم للخلافه الانتخابیه،بإقامتهم جلسات متعدده،و الجواب الذی سمعوه هو أن صلاح المسلمین کان فی الذی حدث (۲).

فهذا الانتقاد و الاعتراض أدّی إلی انفصال الأقلیه عن الأکثریّه، و اشتهر أصحاب الإمام علی علیه السّلام باسم«شیعه علی»!فالقائمون

۲)

-تاریخ الطبری ج ۲:/۴۳۶صحیح البخاری ج /۳صحیح مسلم ج ۵. البدایه و النهایه ج ۵:/۲۲۷ابن أبی الحدید ج ۱:۱۳۳. و قد تکررت مثل هذه الحادثه فی مرض موت الخلیفه الأول،و قد أوصی بخلافه عمر، و أغمی علیه فی أثناء وصیته،فلم یعترض عمر علی الأمر،و ثم ینسب إلیه الهذیان، فی حین أنه أغمی علیه فی أثناء الوصیه،علما بأن النبی(ص)معصوم،و لم یفقد وعیه حتی آخر لحظه من لحظات حیاته.روضه الصفا ج ۲:۲۶۰.

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید ج ۱:۵۸ و ۱۲۳-۱۳۵-تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۰۲-تاریخ الطبری ج ۲:۴۴۵-۴۶۰.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۰-/۱۰۶تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۶ و ۱۶۶. مروج الذهب ج ۲:۳۰۷ و /۳۵۲ابن أبی الحدید ج ۱:۱۷ و ۱۳۴.

بأمور الخلافه،كانوا يسعون-وفقا للسياسه آنذاك-ألّا يشتهر هؤلاء الأقليه بهذا الاسم،و ألّا ينقسم المجتمع إلى أقليه و أكثريه، فكانوا يعتبرون الخلافه إجماعا،و يطلق على المعارض لها،متخلفا عن البيعه،و متخلفا عن جماعه المسلمين،و أحيانا كان يوصف بصفات بذيئه أخرى (۱).

و فى الحقيقه،أن الشيعه قد حكم عليها بالتخلف عن الجماعه منذ الأيام الأولى،و لم تستطع أن تكسب شيئا منذ أن أبدت معارضتها،و الإمام على عليه السّلام لم يعلنها ثوره و حربا،رعايه لمصلحه الإسلام و المسلمين،و لفقدانه للأنصار بالقدر المطلوب،إلا أن هؤلاء المعارضين لم يستسلموا للأكثريه من حيث العقيده،و كانوا يرون أن الخلافه و المرجعيه العلميه هى حق مطلق للإمام على عليه السّلام (۲)فكان رجوعهم فى القضايا العلميه و المعنويه إليه وحده، و كانوا يدعون إلى هذا الأمر (۳).

۱- ۱) قال عمر بن حريث لسعد بن زيد...قال:فخالف عليه أحد؟قال:لا،إلّا مرتد أو من قد كاد أن يرتدّ.تاريخ الطبرى ج ۲:۴۴۷.

۲- ۲) قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم:إنى قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدى، أحدهما أكبر من الآخر،كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض،و عترتى أهل بيتى،إلا أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض.و قد روى هذا الحديث أكثر من ۱۰۰ طريق عن ۳۵ شخصا من صحابه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم.يراجع العبقات مجلد الثقلين-غايه المرام صفحه ۲۱۱. قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم:أنا مدينه العلم و علىّ بابها،فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها. البدايه و النهايه ج ۷:۳۵۹.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۰۵-۱۵۰.

موضوعا الخلافه و المرجعيّه العلميّه

كـان الشـيعه يعتقـدون أن مـا يهمّ المجتمع أولاـ و قبل كل شـيء هو تبيان و توضـيح التعاليم الإسـلاميه (۱).و من ثم نشـرها فى المجتمـع، و بعبـــاره أخرى هى نظره المجتمـع إلى العـــالم و الإنســـان نظره واقعيـه، و الوقـوف على الواجبـات و الوظـائف الإنسانيه(بالشكل الذى يكون فيه الصلاح الحقيقى)و القيام بها،و إن كانت مخالفه لإهوائهم و ميولهم.

هـذا من جهه و من جهه أخرى فـإن قيـام حكومه دينيه ليس إلا لتنفيـذ الأحكام الإسـلاميه فى المجتمع،و الحفاظ عليها،بحيث لا يعبـد النـاس إلاـ الله جـلّ و علاـ و أن يحظوا بحرّيه تامه و عـداله فرديه و اجتماعيه،و هاتان المهمتان يجب أن تناطا إلى شـخص يتسم بالعصـمه و الرعايه الإلهيه،إذ من المحتمل أن يتعهد هذه المسئوليه أناس لم يسلموا من الانحراف الفكرى و العقائدى،و لم ينزّهوا من الخيانه.و تتحول العـداله التى تمنح الحريه الإسـلاميه إلى ملوكيه موروثه مسـتبده،كملوكيه كسـرى و قيصـر،و تتعرض التعاليم الإسلاميه المنزهه إلى تحريف،كتعاليم الأديان السماويه الأخرى،و لا تكون بمأمن من العلماء الذين قد ركبوا أهواءهم.

فالشخص الوحيد الذى قد نهج نهج الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فى أعماله

۱- ۱) كتاب الله و السـنه النبويه و أئمه أهل البيت-عليهم السـلام-خير دليل على تحريضهم لاكتساب العلم و قول النبى(ص)خير شاهد إذ يقول:«طلب العلم فريضه على كل مسلم)البحار ج ۱:۵۵.

و أفعاله،و كان سديدا فى سيرته،متبعا لكتاب الله تعالى و سنه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم اتباعا كاملا هو الإمام على عليه السّلام (۱).

و إذا كانوا يحتجون بأن قريشا كانت تعارض حكومه على عليه السّلام الحقه و خلافته،كان لزاما عليهم أن يوجّهوا المخالفين التوجيه الحسن،و أن يرشدوهم إلى طريق الحقّ و الصواب،كما فعلوا مع ممتنعى الزكاه،فحاربوهم،و لم يتوانوا عن أخذ الزكاه منهم،لا أن يدحضوا الحقّ خوفا من مخالفه قريش.

نعم،ان السبب الذى دفع الشيعه لمعارضه الخلافه الانتخابيه، هو الخوف من عواقبها الوخيمه ألا و هى فساد و سقم الطريقه التى ستتخذها الحكومه الإسلاميه،و ما يلازمها من انهدام الأسس العاليه للدين.و قد أوضحت الحوادث المتتاليه صحه هذه العقيده بمرور الزمان و الأيام،أكثر فأكثر،مما أدّى بالشيعه إلى أن تكون ثابته فى عقيدتها،مؤمنه بأهدافها.علما بأنها كانت أقليه.إلا أن هذه الأقليه قد ذابت فى الأكثريه ظاهرا،و لكنها بقيت تستلهم التعاليم الإسلاميه من أهل البيت باطنا،و كانت متفانيه فى نهجها و طريقها.و فى الوقت ذاته كانت تسعى فى التقدم و الرقىّ،و الحفاظ على قدره الإسلام و عظمته،فلم تبد مخالفتها علنا و جهارا.و كانت الشيعه تذهب إلى الجهاد سيرا مع الأكثريه،و لا تتدخل فى الأمور العامه،و كان الإمام على عليه السّلام يرشد الأكثريه لما فيه نفع الإسلام (۲)،و مصلحه المسلمين.

۱- ۱) البدايه و النهايه ج ۷:۳۶۰.

۲- ۲) تاريخ اليعقوبى صفحه ۱۱۱ و ۱۲۶ و ۱۲۹.

الطريقه السياسيه للخلافه الانتخابيه،و مخالفتها للفكر الشيعى

كان الشيعه يعتقدون أن شريعه الإسلام السماويه التى تعيّنت مضامينها فى كتاب الله و سنه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلم ستبقى خالده إلى يوم القيامه دون أن يصيبها تغيير أو تحريف (۱).

و الحكومه الإسلاميه لا- يحقّ لها بأىّ عذر أن تتهاون فى إجراء الأحكام إجراء كاملا.فواجب الحكومه الإسلاميه هو أن تتخذ الشورى فى نطاق الشريعه و وفقا للمصلحه،و لكن ما حدث من واقعه البيعه السياسيه،و كذا حادثه الدواه و القرطاس،و الذى حدث فى أخريات أيام مرض النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم لدليل واضح على أن المدافعين عن الخلافه الانتخابيه كانوا يعتقدون أن كتاب الله وحده يجب أن يحفظ و يحتفظ به كقانون.أما السنه و أقوال النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم فليس لها ذلك الاعتبار،و هم على اعتقاد أن الحكومه الإسلاميه تستطيع أن تضع السنه جانبا إذا اقتضت المصلحه ذلك.

و هذه العقيده تؤيدها روايات نقلت فى خصوص الصحابه تقول بأن(الصحابه ذوو اجتهاد،فإذا ما أصابوا فى اجتهادهم فإنهم مأجورون و إذا ما أخطئوا فهم معذورون)،و خير دليل على ذلك، ما حدث لخالد بن الوليد،و هو أحد القاده عند الخليفه،إذ دخل

۱- ۱) قوله تعالى فى كتابه العزيز: «وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» ،(سوره فصلت الآيه ۴۲،۴۱). و يقول فى سوره يوسف «إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ» أى أن الشريعه هى شريعه الله و التى تصل إلى الناس عن طريق النبوه،إذ يقول «وَ لَكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» الأحزاب الآيه ۴۰.و هو القائل أيضا «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» سوره المائده الآيه ۴۴.

ضیفا علی أحد مشاهیر المسلمین(مالک بن نویره)لیلا.و تربّص له فقتله،و وضع رأسه فی التنور و أحرقه،و فی اللیله ذاتها واقع زوجه مالک،و بعد هذه الجنایه التی یندی لها الجبین،لم یجر الخلیفه الحدّ علیه،متذرعا بعذر:ألا و هو أن حکومته بحاجه إلیه (۱).

و کذا الامتناع من إعطاء الخمس لأهل البیت و أقرباء النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲)و منع کتابه أحادیث النبی الکریم منعا باتا،و إذا ما عثر علی حدیث مکتوب عند شخص کان یحرق (۳)و کانت هذه السنه قائمه طوال خلافه الخلفاء الراشدین،و حتی زمن خلافه عمر بن عبد العزیز (۴)الخلیفه الأموی(۹۹-۱۰۲)و قد تجلت هذه السیاسه فی خلافه الخلیفه الثانی(۱۳-۲۵)للهجره.

إذ ألغی بعض أحکام الشریعه مثل:حج التمتع و نکاح المتعه،

۱- ۱) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۱۰-تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۸.

۲- ۲) الدرّ المنثور ج ۳:/۱۸۶تاریخ الیعقوبی ج ۳:۴۸ و فضلا عن هذا کله فإن وجوب الخمس صریح فی القرآن الکریم «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبیٰ» سوره الأنفال،الآیه ۴۱.

۳- ۳) جمع أبو بکر فی زمن خلافته خمسمائه حدیثا،تقول عائشه وجدت أبی مضطربا ذات لیله حتی الصباح فقال لی فی الصباح آتینی الأحادیث،فأحرقها جمیعا. کنز العمال ج ۵:۲۳۷ کتب عمر إلی البلدان. کنز العمال ج ۵:۲۳۷.یقول محمد بن أبی بکر:إن الأحادیث کثرت علی عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن یأتوه بها فلما أتوه بها أمر بحرقها.طبقات ابن سعد ج ۵: ۱۴۰.

۴- ۴) تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۵۱ و غیره.

و ذکر(حیّ علی خیر العمـل) (۱)فی الأـذان،و جعـل الطلاق ثلاثا نافـذ الحکم،و غیرها (۲)، و فی زمن خلافته کـان بیت المال یوزع بین الناس مع تباین (۳)و الذی أدّی إلی ظهور طبقات مختلفه بین المسـلمین، تثیر الدهشه و القلق،و کان من نتائجها وقوع حوادث دامیه مفزعه، و فی زمنه کـان معاویه فی الشام یتمتع بسـلطان لا یختلف عن سـلطنه کسـری و قیصـر،و قـد سـماه الخلیفه بکسری العرب،و لم یتعرض له بقول،و لم یردعه عن أعماله.

و بعد أن قتل الخلیفه الثانی علی ید غلام فارسـی،و وفقا لأکثریه آراء الشوری البالغ عددهم سـته أعضاء و الذی تم تشـکیله بأمر من الخلیفه عیّن الخلیفه الثـالث،فعیّن أقرباءه الأمویین ولاه و أمراء،فجعل منهم الولاه فی کلّ من الحجاز و العراق و مصـر و سائر البلـدان الإسـلامیه،فکـانوا جـائرین فی حکمهـم،عرفـوا بشـقاوتهم و ظلمهـم و فسـقهم و فجـورهم،نقضـوا القـوانین الإسـلامیه الجاریه.فالشکاوی کانت تنهال علی دار الخلافه،و لکن الخلیفه

۱- ۱) شـرع النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حجه الوداع فعمل الحج للحجاج القادمین من مکان بعید وفقا للآیه «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ...» بشـکل خـاص،فمنع ذلـک عمر فی زمن خلافته،و کـذلک المتعه کانت قائمه فی زمن النبی صـلی اللّه علیه و آله و سلم،فمنعها عمر فی أیام خلافته،و أمر بإقامه الحدّ علی المخالفین،و أما ذکر(حیّ علی خیر العمل)فکان یـذکر فی عهـد الرسول العظیم، فی أذان الصلاه،و لکن عمر فی خلافته قال إن هذه العباره تقعد الناس عن الجهاد، فأبدلها بأخری،و کذا موضوع الطلاق فما کان علی عهد الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم أن الطلاق إذا تعدد فی مجلس واحد،فلیس له اعتبار،و یعد طلاقا واحدا.و لکن عمر أجـاز الطلاـق الثلاث فی مجلس واحـد.فالمسائل هـذه و نظائرها قـد وردت فی کتب الحـدیث و الفقه و الکلام لـدی الفریقین السنه و الشیعه.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:/۱۳۱تاریخ أبی الفداء ج ۱:۱۶۰.

۳- ۳) أسد الغابه ج ۴:/۳۸۶الإصابه،المجلد الثالث.-

الثالث كان متأثرا لما تربطه بهم من صله القربى،و خاصه مروان بن الحكم (۱)و لم يهتم بشكاوى الناس،و كان أحيانا يعاقب الشكاه (۲)فثار الناس عليه سنه ۳۵ للهجره،و بعد محاصره منزله،و صراع شديد قتلوه.

كان الخليفه الثالث يؤيد و إليه على الشام تأييدا مطلقا و هو أحد أقاربه الأمويين(معاويه)و كان يدعم موقفه بتأييده المستمر

۱- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲:/۱۵۰تاريخ الطبرى ج ۳:/۱۹۷تاريخ أبى الفداء ج ۱:۱۶۸.

۲- ۴) ثار جماعه من أهل مصر على عثمان،فأحس عثمان بالخطر،فندم،و طلب من على بن أبى طالب العون و المساعده.فقال علىّ:لأهل مصر أن معارضتكم هذه لم تكن إلا لإحياء الحق،و قد ندم عثمان و تاب و هو القائل إننى تائب مما مضى،و سأنجز لهم ما طلبوه خلال مده أقصاها ثلاثه أيام،من عزل الولاه الجائرين،فكتب الإمام على عليه السّلام معاهده من جانب عثمان،فعاد الجمع إلى بلادهم.و فى أثناء الطريق،شاهدوا غلام عثمان،و هو راكب جمل عثمان متجها إلى مصر فأساءوا الظنّ به،ففتشوه،فوجدوا لديه رساله من عثمان لواليه على مصر،و قد حررت فيها ما مضمونه:عند وصول عبد الرحمن بن عديس إليك.و هو أحد المعارضين لعثمان-اجلده مائه جلده،و احلق شعر رأسه و لحيته،و احكم عليه بالسجن لمده مديده،و اعمل مثل هذا مع كل من عمرو بن حمق و سودان بن حمران و عروه بن نباع. أخذوا الرساله من الغلام،و عادوا إلى عثمان ساخطين،فقالوا له:أنت أبطنت لنا الخيانه،فعرضت عليه الرساله،فأنكرها عثمان،قالوا له:إن غلامك كان يحملها، أجاب،قد قام بهذا العمل دون إذن منى،قالوا له:كان راكبا جملك،قال عثمان:قد سرق جملى.قالوا له:الرساله بخط كاتبك،أجاب،كتبت دون علمى،قالوا،فعلى أيه حال،الخلافه لا تليق بك:و يجب أن تستقيل من مقامك،لأن الأمر هذا لو كان على علم منك،فإنك خائن،و إن لم يكن على علم منك،فلست جديرا بالخلافه و بهذا يثبت عدم صلاحيتك لهذه المهمه،فإما أن تتخلى عن الخلافه و تستقيل،و إما أن تعزل الولاه الظالمين،فأجاب عثمان:لو أردتم أن أكون كما تريدون،إذن فمن الخليفه و صاحب الأمر؟!أنا أم أنتم؟!فنهضوا من مجلسه ساخطين عليه. جاءت هذه الواقعه فى كتاب تاريخ الطبرى المجلد الثالث فى صفحه ۴۰۲ و حتى ۴۰۹، و وردت ملخصه هنا من قبل المؤلف.كلمه المترجم.

له.و فی الحقیقه کان ثقل الخلافه فی الشام،و لم تکن المدینه (مرکز الخلافه)إلا شکلا ظاهرا (۱).

فخلافه الخلیفه الأول قد استقرت بعد بیعه أکثریه الصحابه له،و الخلیفه الثانی عیّن من قبل الخلیفه الأول،و الخلیفه الثالث انتخب من الأعضاء السته للشوری الذین عیّنهم الخلیفه الثانی.

فکانت سیاسه هؤلاء الخلفاء الثلاثه فی الأمور و شئون الناس أن ینفذوا القوانین الإسلامیه فی المجتمع وفقا للاجتهاد و المصلحه آنذاک،و وفقا لما یرتئیه مقام الخلافه،فالقرآن یقرأ دون تفسیر أو تدبّر و أقوال الرسول الأکرم العظیم صلی اللّه علیه و آله و سلم(الحدیث) تروی دون أن تکتب علی قرطاس،و لا تتجاوز حدّ الأذن و اللسان فکانت الکتابه مختصه بالقرآن الکریم،و الحدیث لا یکتب علی الإطلاق (۲).

و بعد معرکه الیمامه و التی انتهت فی سنه ۱۲ للهجره بمقتل جمع من الصحابه کانوا من حفظه القرآن،اقترح عمر بن الخطاب علی الخلیفه الأول أن یجمع القرآن فی مصحف،و یبین الهدف و الغرض من اقتراحه بقوله:إذا ما حدثت معرکه أخری، و اشترک فیها بقیه حمله القرآن و حفظته،فسوف یذهب القرآن من بین أظهرنا،إذن ینبغی جمع آیات القرآن فی مصحف،تکتب آیاته (۳)،فنفذوا هذا الاقتراح بالنسبه للقرآن الکریم.

۱- ۱) تاریخ الطبری ج ۳:۳۷۷.

۲- ۲) صحیح البخاری ج ۶:/۹۸تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۱۳.

۳- ۳) تاریخ الیعقوبی ج ۲:/۱۱۱الطبری ج ۳:۱۲۹-۱۳۲.

و مع أن الأحاديث النبويه هى التاليه للقرآن،و كانت تواجه نفس الخطر،و لم تكن بمأمن من خطر نقل معنى الحديث،دون الالتفات إلى النص،و كذا الزياده و النقصان،و التحريف و النسيان، و ما إلى ذلك من الأخطار التى كان يواجهها الحديث،فلم توجه عنايه أو رعايه لحفظه و صيانته،بل كانت كتابه الحديث ممنوعه، و إذا ما حصلوا على شىء منه فكان يلقى فى النار.

و لم تمض فتره من الزمن حتى ظهر الاختلاف فى المسائل الإسلاميه الضروريه كالصلاه،و لم يطرأ تقدم فى بقيه الفروع العلميه فى هذه الفتره،فى حين نرى القرآن الكريم يشجع المشتغلين بالعلم،و أحاديث النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم تؤيد ذلك،فلم ير لتلك الآيات و الأحاديث مصداقا فى الخارج،و انصرف أكثر الناس إلى الفتوحات المتعاقبه،و فرحوا بالغنائم المتزايده،و التى كانت تتدفق إلى الجزيره العربيه من كل حدب و صوب،و لم يكن هناك اهتمام بعلوم سلاله الرساله و معدن الوحى،و فى مقدمتهم على عليه السلام.و النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان قد صرح معلنا أن عليا أعرف الناس بالعلوم الإسلاميه،و المفاهيم القرآنيه،و لم يسمحوا له بالمشاركه فى جمع القرآن(و هم على علم من أن عليا بعد وفاه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان جليس داره يجمع القرآن)و لم يذكر اسمه فى أنديتهم و اجتماعاتهم (۱).

۱- ۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲:ابن أبى الحديد ج ۱:۹. و قد ورد فى روايات كثيره أنه أرسل على علىّ عليه السّلام بعد انعقاد البيعه لأبى بكر،و طلب منه البيعه،فأجابه بأننى عاهدت نفسى ألا أخرج من دارى سوى وقت الصلاه حتى أكمل جمع القرآن،و يروى أيضا،أن عليا بايع أبا بكر بعد سته أشهر،و هذا دليل على-

إن هذه الأمور و نظائرها،أدّت بشیعه علیّ إلی أن یقفوا موقفا أکثر وعیا و أرسخ عقیده،و أشد نشاطا،و لما کان علی علیه السّلام بعیدا عن ذلک المقام الذی یجعله مشرفا علی التربیه العامه للناس، انصرف إلی تربیه الخاصه من شیعته و أنصاره.

انتهاء الخلافه إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و سیرته

بدأت خلافه علی علیه السّلام فی أواخر سنه خمس و ثلاثین للهجره، و استمرت حوالی أربع سنوات و تسعه أشهر،و کان فی سیرته مماثلا لسیره النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۱)،أعاد معظم المسائل التی حدثت فی زمن الخلفاء السابقین إلی حالتها الأولی،و عزل الولاه غیر الکفوءین (۲).و فی الحقیقه،أحدث انتفاضه ثوریه،کانت تنطوی علی مشاکل متعدده.

و الإمام علی علیه السّلام فی الأیام الأولی من خلافته وقف مخاطبا الناس قائلا:«ألا و إنّ بلیتکم قد عادت کهیئتها یوم بعث اللّه نبیه صلی اللّه علیه و آله و سلم و الذی بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبله،و لتغربلنّ غربله و لتساطنّ سوط القدر،حتی یعود أسفلکم أعلاکم،و لیسبقنّ سابقون کانوا قصروا،و لیقصرنّ سبّاقون کانوا سبقوا» (۳).

۱)

-جمعه للقرآن،و یروی أیضا أن علیا بعد انتهائه من جمع القرآن،حمل القرآن علی ناقه و جاء به إلی الناس و یروی أیضا،أن معرکه الیمامه کانت فی السنه الثانیه من خلافه أبی بکر،و بعد انتهاء المعرکه جمع القرآن،کل هذه تشیر إلیها کتب التاریخ و الحدیث التی تعرضت لموضوع جمع القرآن.

۱- ۱) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۵۴.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:/۱۵۵مروج الذهب ج ۲:۳۶۴.

۳- ۳) نهج البلاغه خطبه رقم ۱۵.

استمر الإمام علی علیه السّلام فی حکومته الثوریه،فرفعت أعلام المعارضه من قبل المخالفین،کما هی طبیعه الحال فی کل ثوره،إذ لا بدّ من مناوئین،یرون مصالحهم فی خطر،فأحدثوا حربا داخلیه دامیه،بحجه الأخذ بثأر دم عثمان و التی استمرت طوال خلافه الإمام علی علیه السّلام تقریبا.و یعتقد الشیعه أن المسببین لهذه الحروب لم یریدوا سوی منافعهم الخاصه،و لم یکن الثأر بدم عثمان إلا ذریعه یتمسکون بها،لیحرّضوا عوام الناس للمعارضه و النهوض ضد إمام الأمه و خلیفتها،إذ أن هذه المعارضه لم تحدث عن سوء تفاهم (۱).

و ما الأسباب و الدوافع التی خلقت معرکه الجمل إلاّ غائله الاختلاف الطبقی،و التی وجدت فی زمن الخلیفه الثانی أثر توزیع الأموال من بیت المال بطرق متباینه،و بعد خلافه علی علیه السّلام کانت

۱- ۱) بعد وفاه الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم امتنع جمع قلیل من شیعه علی من البیعه و کان فی مقدمتهم من الصحابه سلمان و أبو ذر و المقداد و عمار،و فی أوائل خلافه علی علیه السّلام امتنع من البیعه جماعه،مثل سعید بن العاص و الولید بن عقبه و مروان بن الحکم و عمرو بن العاص و بسر بن أرطاه و سمره بن جندب و المغیره بن شعبه و غیرهم. و عند دراسه حیاه هذین الفریقین،و التأمل فی أعمالهم طوال حیاتهم،و ما احتفظ به التاریخ من قصص،یتضح جلیا کنه شخصیتهم و أهدافهم،فالفریق الأول کان من أصحاب النبی الأکرم المقربین،و اشتهروا بزهدهم و عبادتهم و تضحیتهم للإسلام، قال رسول الله(ص):إن الله أمرنی بحبّ أربعه و أخبرنی أنه یحبّهم،قیل یا رسول الله من هم،قال:علیّ منهم(قال ذلک ثلاثا)و أبو ذر و سلمان و المقداد. سنن ابن ماجه ج ۱:۵۳. عن عائشه قالت:قال رسول الله(ص):ما عرض علی عمار أمران إلا اختار الأرشد منهما.سنن ابن ماجه ج ۱:۵۲.

الأموال توزع بين الناس بالسويّه (۱)،كما كان يفعل النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى حياته،و الطريقه هذه أثارت غضب«الزبير»و«طلحه»فتمردا، و خرجا من المدينه إلى مكه بحجّه الحجّ،فاتفقا مع أمّ المؤمنين (عائشه)التى كانت فى مكه،و لم يكن بينها و بين علىّ صفاء و موده،أن يطالبوا بدم عثمان،فأضرموا نار الحرب (۲).

علما بأن«طلحه»و«الزبير»كانا فى المدينه عند ما حوصرت دار الخليفه الثالث،فلم يدافعا عنه،و لم ينصراه (۳)،و بعد مقتله،كانا من الأوائل الذين بايعوا عليا أصاله عن أنفسهم و نيابه عن المهاجرين (۴).

و أما أمّ المؤمنين«عائشه»فقد كانت ممن حرّضوا الناس على قتل الخليفه الثالث (۵)،و عند ما سمعت نبأ مقتله لأول مره،قالت:

بعدا و سحقا،و فى الحقيقه أن المسببين الأصليين لمقتل الخليفه كانوا من الصحابه،و ذلك بإرسال الرسائل إلى البلدان لغرض إثاره الناس على الخليفه.

و أما السبب الذى أحدث حرب صفين،و التى استمرت سنه و نصف السنه،فهو طمع معاويه فى الخلافه،فأجّج نارها متذرعا بدم عثمان،فأريقت الدماء،و قتل ما يقارب من مائه ألف،و كان موقف معاويه من هذه الحرب موقف المهاجم،و ليس موقف المدافع،لأن الثأر لا يكون دفاعا.

۱- ۱) مروج الذهب ج ۲:/۳۶۲نهج البلاغه،خطبه رقم /۱۲۲اليعقوبى ۲:۱۶۰.ابن أبى الحديد ج ۱:۱۸۰.

۲- ۲) اليعقوبى ج /۲أبى الفداء ج ۱:/۱۷۲مروج الذهب ج ۲:۳۶۶.

۳- ۳) اليعقوبى ج ۲:۱۵۲.

۴- ۴) تاريخ اليعقوبى ج ۲:/۱۵۴تاريخ أبى الفداء ج ۱:۱۷۱.

۵- ۵) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۵۲.

و كان شعار هذه الحرب،المطالبه بدم عثمان،علما بأن الخليفه الثالث قد طلب المساعده و العون من معاويه لردّ الهجوم،و تحرك جيش معاويه من الشام متجها إلى المدينه،و لكنه تباطأ فى سيره حتى قتل عثمان،و عندئذ رجع إلى الشام يطالب بدم عثمان (۱).

و بعد أن استشهد الإمام على عليه السّلام،تناسى معاويه قتله الخليفه؛و لم يعاقبهم.و بعد حرب«صفين»اندلعت نار حرب «النهروان»فثار جمع من الناس و فيهم بعض الصحابه بإيعاز من معاويه فثاروا على علىّ عليه السّلام،فرحلوا إلى البلدان الإسلاميه، و قتلوا كل من كان يدافع عن على عليه السّلام ففتكوا بالنساء الحوامل، مثلوا بهنّ و بأجنتهن (۲).

و الإمام على عليه السّلام قد أخمد هذه الغائله،و لكن بعد فتره استشهد فى مسجد الكوفه أثناء الصلاه،على يد الخوارج.

ما حصل عليه الشيعه طوال خلافه الإمام علىّ عليه السّلام

الإمام على عليه السّلام طوال خلافته لأربع سنوات و تسعه أشهر،و إن

۱- ۱) ...فكتب إلى معاويه يسأل تعجيل القدوم عليه،فتوجه إليه فى اثنى عشر ألفا،ثم قال: كونوا بمكانكم فى أوائل الشام،حتى آتى أمير المؤمنين لأعرف صحه أمره،فآتى عثمان، فسأله عن المده فقال:قد قدمت لأعرف رأيك و أعود إليهم فأجيئك بهم.و قال:لا و الله،و لكنك أردت أن أقتل فتقول:أنا ولىّ الثأر،ارجع،فجئنى بالناس!فرجع،فلم يعد إليه حتى قتل.تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۵۲/مروج الذهب ج ۳:۲۵/الطبرى ص ۴۰۲.

۲- ۲) مروج الذهب ج ۲:۴۱۵.

لم يوفق لإعاده الأوضاع المضطربه إلى حالتها الطبيعيه،إلا أنه قد وفق فى ثلاث مسائل أساسيه:

أ- استطاع أن يظهر شخصيه النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم المضيئه بسيرته العادله للناس،و خاصه الشباب،فقد كان يواسى أفقر الناس فى عيشه،أمام تلك الأبهه التى كان يتصف بها معاويه،إذ كان لا يقل عن كسرى و قيصر،فالإمام على عليه السّلام لم يقدّم أحدا من أصدقائه و أقربائه و عشيرته على الآخرين،و لم يرجع الغنى على الفقير،و لا القوى على الضعيف.

ب- مع كثره المشاكل المنهكه للقوى،فقد استطاع أن يضع فى متناول أيدى المسلمين الذخائر القيّمه من المعارف الإلهيه و العلوم الإسلاميه الحقّه.

و أما ما يقوله المخالفون لعلى عليه السّلام:إنه كان رجلا شجاعا، و لكن ليس له علم بالسياسه،إذ كان يستطيع فى بدايه خلافته أن يرضى مخالفيه مؤقتا عن طريق المداهنه،و بعد أن يستتب له الأمر كان باستطاعته أن يحاربهم و يقضى عليهم:

فهؤلاء قد غفلوا عن ملاحظه هامه و هى أن خلافه علىّ كانت نهضه ثوريه،و جدير بالنهضات،الثوريه،أن تكون بعيده كل البعد عن المداهنه و الرياء،و قد حدث مثيلها فى زمن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى أوائل بعثته،فطلب الكفار و المشركون منه الصلح عده مرات و طلبوا منه ألا يتعرض لآلهتهم،و هم ملزمون بعدم التعرض لدعوته أيضا،و لكن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم رفض هذا الاقتراح،فى حين أنه كان يستطيع أن يقيم معهم الصلح،و يحكم موقفه،ثم ينهض بوجه

أعدائه،و فی الحقیقه أن الدعوه الإسلامیه لن تسمح بإضاعه حق لإقامه حق آخر،أو أن تزیل باطلا بباطل آخر.و فی القرآن آیات کثیره فی هذا الخصوص (۱).

علما بأن أعداء علی علیه السّلام و مخالفیه،لم یرتدعوا عن القیام بأیّ جرم و جنایه و نقض للقوانین الإسلامیه الصریحه(دون استثناء)بغیه الوصول إلی أهدافهم،فکانوا یبررون مواقفهم و أعمالهم بأنهم من صحابه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و من مجتهدی الأمه،و لکن الإمام علی علیه السّلام کان ملتزما بالأحکام الإسلامیه.

و یروی عن علیّ علیه السّلام ما یقارب من إحدی عشره ألف کلمه قصیره فی المسائل العقلیه و الاجتماعیه و الدینیه (۲)و خطبه و کلماته البلیغه (۳)ملیئه بالمعارف الإسلامیه (۴)،و هو الذی أسس قواعد اللغه العربیه،و وضع الأسس و المقومات للأدب العربی،و هو أول من تبحّر فی الفلسفه الإلهیه (۵)،و تکلّم وفقا لطریقه الاستدلال الحرّ و البرهان المنطقی،و تعرّض لمسائل فلسفیه لم یتعرض لها فلاسفه

۱- ۱) شأن نزول الآیه «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلی آلِهَتِکُمْ» سوره ص الآیه ۶. و الآیه «وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً» سوره الإسرار الآیه ۷۴. و الآیه «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَیُدْهِنُونَ» سوره القلم الآیه التاسعه،و یراجع المباحث الروائیه فی التفاسیر.

۲- ۲) کتاب الغرر و الدرر للآمدی،و کتب الحدیث.

۳- ۳) مروج الذهب ج ۲:۴۳۱ ابن أبی الحدید ج ۱:۱۸۱.

۴- ۴) الأشباه و النظائر للسیوطی فی النحو ج ۲:ابن أبی الحدید ج ۱:۶.

۵- ۵) یراجع نهج البلاغه.

العالم حتی ذلک الوقت،فاهتم بهذا الشأن اهتماما بالغا،حتی فی أحرج ساعات الحرب (۱).

ج- هذّب و ربّی العدید من رجال الدین و علماء الإسلام (۲)و کان من بینهم جمع من الزهاد و أهل المعرفه مثل:«أویس القرنی»و «کمیل بن زیاد»و«میثم التمّار»و«رشید الهجری»و یعتبر بعض هؤلاء من المنابع الأصیله للعرفان من بین العرفاء الإسلامیین، و یعتبر البعض الآخر منهم من المصادر الرئیسیه و الأولیه لعلم الفقه و الکلام و التفسیر و قراءه القرآن و غیرها.

انتقال الخلافه إلی معاویه و تحولها إلی ملکیه موروثه

بعد استشهاد أمیر المؤمنین علی علیه السلام،تصدّی لمنصب الإمامه الحسن بن علی علیه السّلام و ذلک وفقا لوصیه الإمام علی علیه السّلام و مبایعه الناس له،و یعتبر الإمام الثانی للشیعه الاثنی عشریه،

۱- ۱) یروی أن أعرابیا قام یوم الجمل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال:یا أمیر المؤمنین!أ تقول أن الله واحد،فحمل الناس علیه و قالوا یا أعرابی أ ما تری ما فی أمیر المؤمنین من تقسّم القلب،فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام:دعوه فإن الذی یریده الأعرابی هو الذی نریده من القوم،ثم قال یا أعرابی إن القول فی أن الله واحد علی أربعه أقسام،فوجهان منها لا یجوزان علی الله عزّ و جل،و وجهان یثبتان فیه،فأما اللذان لا یجوزان علیه، فقول القائل واحد یقصد به باب الأعداد،فهذا لا یجوز لأن ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الأعداد،أ ما تری أنه کفر من قال إنه ثالث ثلاثه،و قول القائل هو واحد من الناس یرید به النوع و الجنس فهذا ما لا یجوز،لأنه تشبیه و جلّ ربنا و تعالی عن ذلک، و أما الوجهان اللذان یثبتان فیه،فقول القائل هو واحد لیس له فی الأشیاء شبه کذلک ربنا،و قول القائل إنه عزّ و جل أحدیّ المعنی یعنی به أنه لا ینقسم فی وجود و لا عقل و لا وهم کذلک ربنا عزّ و جلّ. بحار الأنوار ۲:۶۵(کمبانی).

۲- ۲) ابن أبی الحدید ج ۱:۶-۹.

و لکن معاویه لم یستقر و یهدأ لهذا الأمر،فجهّز جیشه و اتّجه به إلی العراق مقرّ الخلافه،معلنا الحرب علی الحسن بن علی علیه السّلام.

أفسد معاویه رأی أصحاب الحسن علیه السّلام بمختلف الطرق و الدسائس،و منح الأموال الطائله لهم و أجبر الإمام الحسن علیه السّلام علی الصلح معه،و صیّر الخلافه إلیه،بشرط أن تکون للإمام الحسن علیه السّلام بعد وفاته،و ألّا یتعرض إلی شیعته (۱).

استولی معاویه علی الخلافه(سنه ۴۰ للهجره)،فاتجه إلی العراق،فخطب فیهم قائلا:«یا أهل الکوفه.أ ترونّنی قاتلتکم علی الصلاه و الزکاه و الحج!.و قد علمت أنکم تصلون و تزکّون و تحجّون، و لکنی قاتلتکم لأتأمّر علیکم و قد أتانی الله ذلک،و أنتم کارهون» (۲).

و قال أیضا:«ألا أنّ کلّ دم أصیب فی هذه مطلول،و کل شرط شرطته فتحت قدمیّ هاتین» (۳).

و معاویه بکلماته هذه یشیر إلی أنه یرید أن یفصل السیاسه عن الدین،فهو لا یرید إلزام أحد بأحکام الدین،و إنما کان اهتمامه بالحکومه فحسب،و استحکام مقوماتها،و بدیهی أن مثل هذه الحکومه ملکیه و لیست خلافه و استخلافا لمنصب الرسول الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم.و قد حضر البعض مجلسه،فسلموا علیه بسلام

۱- ۱) تاریخ الیعقوبی ج ۲:۱۹۰ و سائر کتب التاریخ.

۲- ۲) ابن أبی الحدید ج ۴:/۱۶۰الطبری ج ۴:/۱۲۴ابن الأثیر.ج ۳:۲۰۳.

۳- ۳) المصادر السابقه.

الملوك (۱)،و كان يعبّر فی بعض مجالسه الخاصه،عن حكومته بالملكيه (۲)،علما بأنه كان يعرّف نفسه بالخليفه فی خطبه.

و الملكيه التی تقام علی القوه تتبعها الوراثه،و فی النتيجه كان الأمر كما أراد و نوی،فاستخلف ابنه يزيد،و جعله خليفه له من بعده،و كان شابا لا يتّصف بشخصيه دينيه،إذ قام بأعمال و جرائم يندی لها الجبين (۳).

و معاويه لم يكن يرغب فی أن يصل الإمام الحسن عليه السّلام إلی الخلافه من بعده،فدسّ له السم (۴)و بهذا الأمر،مهّد السبيل إلی استخلاف ابنه يزيد.و كان يهدف من إلغائه معاهده الصلح،إلی اضطهاد الشيعه،و عدم السماح لهم بالحياه المطمئنه،أو أن يستمروا كما فی السابق فی نشاطهم الدينی،و لقد وفّق فی هذا المضمار أيضا (۵).

و صرح معاويه فی خصوص مناقب أهل البيت،بأن كل ناقل لحديث فی هذا الشأن لن يكون بمأمن علی حياته و ماله و عرضه (۶)،

۱- ۱) تاريخ اليعقوبی ج ۲:۱۹۳.

۲- ۲) تاريخ اليعقوبی ج ۲:۲۰۱.

۳- ۳) كان يزيد صاحب طرب و جوار و كلاب و قرود و منادمه علی الشراب و كان له قرد يكنّی بأبی قيس يحضره مجلس منادمته و يطرح له متكأ،فجاء فی بعض الأيام مسابقا فتناول القصبه و دخل الحجره قبل الخيل و علی أبی قيس قباء من الحرير الأحمر... مروج الذهب ج ۳:۶۷.

۴- ۴) مروج الذهب ج ۳:/۵أبی الفداء ج ۱:۱۸۳.

۵- ۵) النصائح الكافيه ص ۷۲ نقلا عن كتاب الأحداث.

۶- ۶) روی أبو الحسن المدائنی فی كتاب الأحداث قال:كتب معاويه نسخه واحده إلی عماله بعد عام الجماعه جاء فيها:أنه برئت الذمه ممن روی شيئا فی فضل أبی تراب و أهل بيته.كتاب النصائح الكافيه تأليف محمد بن عقيل طبع النجف سنه ۱۳۸۶ ه.ص ۷۷،و أيضا النصائح الكافيه ص ۱۹۴.

و أمر أن تعطى الهدايا و الجوائز لكل من يأتى بحديث فى مناقب سائر الصحابه و الخلفاء،و كانت النتيجه أن توضع أخبار كثيره فى مناقب الصحابه (۱)،و أمر أن يسبّ الإمام على عليه السّلام فى جميع الأقطار الإسلاميه من على المنابر(و هذا الأمر كان ساريا حتى زمن عمر بن عبد العزيز الخليفه الأموى سنه ۹۹-۱۱۰ ه).

و قتل جماعه من خاصه شيعه على عليه السّلام بواسطه عماله،و كان بعضهم من الصحابه،و رفعت رءوسهم على الرماح،تنقل من بلد لآخر،و أمر عامه الشيعه بسبّ على عليه السّلام،و التبرى منه،فكان القتل حليف من خالف و أبى (۲).

الأيام العصيبه التى مرّت على الشيعه

كان زمن حكومه معاويه بن أبى سفيان،من أشدّ الأيام التى مرت على الشيعه و التى استمرت زهاء عشرين عاما،و لم يكن الشيعه فيها بمأمن،و كان أغلب رجال الشيعه يشار إليهم بالبنان.

و لم تكن لدى الحسن و الحسين عليهما السلام،اللذان عاصرا معاويه،أدنى الوسائل تمكنهم من القيام،و إنهاء الأوضاع المؤلمه.

و الإمام الحسين عليه السّلام عند ما نهض فى الأشهر الأولى من حكومه يزيد،استشهد هو و من كان معه من الأولاد و الأصحاب.

و بعض إخواننا أهل السنه يذهبون إلى التبرير و التأويل فى سفك هذه الدماء الطاهره،و ما شابهها من أعمال إجراميه،

۱- ۱) النصائح الكافيه ص ۷۲-۷۳.

۲- ۲) النصائح الكافيه ص ۵۸،۶۴،۷۷،۷۸.

معللین ذلک،بأنهم من صحابه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم و وفقا للأحادیث المرویه عنه صلی اللّه علیه و آله و سلم،أن الصحابه مجتهدون و معذورون،و أن الله جلّ و علا راض عنهم،لکن الشیعه ترفض هذا بأدله:

أولا:یستحیل علی قائد کالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم الذی نهض لإحیاء الحقّ و الحریه و العداله الاجتماعیه،و اتّبعه جمع من الناس،فضحّوا بما لدیهم فی سبیل تحقیق هذه الأهداف،و عند تحققها،یترک لهم العنان،و تمنح لهم الحریه المطلقه،أمام الأحکام المقدسه،کی یقوموا بما شاءوا،و هذا یعنی أن ینهار البناء الشامخ الذی ساهمت فی إقامته و تشییده تلک الأیادی الطاهره.

ثانیا:إن الروایات التی تقدس الصحابه و تنزههم،و تبرر أعمالهم غیر المشروعه،و تعتبرهم من الذین قد کفّر الله عنهم سیئاتهم،و أنهم مصونون و ما إلی ذلک،هذه الروایات قد وضعت من قبل هؤلاء الصحابه أنفسهم،و التاریخ یشهد أن بعض الصحابه،لم یکن أحدهم لیحترم الآخر،و لم یکن الواحد منهم یغض النظر عن أعمال الآخرین القبیحه،و إنما کان یشهّر به و یعرّفه للملإ.فقد قام بعضهم بالقتل الجماعی و اللعن و السب و فضح الآخرین،و لم تکن هناک أیه مسامحه أو صفح فیما بینهم.

و وفقا لما ذکرنا فإن الصحابه یشهدون أن هذه الروایات غیر صحیحه،و إذا ما علم صحت البعض منها،فإن المراد منها معنی آخر،غیر التنزیه و التقدیس الشرعی للصحابه.

و لو قدر أن الله سبحانه و تعالی قد مدحهم و رفع شأنهم فی

بعض آیاته (۱)،فإن هـذا یـدلّ علی ما قدموه من خدمات فی سابق حیاتهم،و تنفیذهم لأوامر الله تعالی،فطبیعی یرضـی الله تعالی عنهم فی هـذه الحـال،و لکن لاـ یکون المراد من أنهم یسـتطیعون أن یقوموا بکـل مـا تراودهم أنفسـهم فی المسـتقبل،و إن کان خلافا لأحکام الله تعالی.

استقرار ملوکیه بنی أمیه

توفی معاویه(سـنه ۶۰ للهجره)،و اسـتولی علی عرش الخلاـفه ابنه یزیـد وفقـا للـبیعه الـتی أخـذها أبوه من النـاس،و أصـبح زعیما للحکومه الإسلامیه.

و التأریـخ یشـهد بأن یزید لم یکن یتصف بأیه شخصـیه إسـلامیه،فقد کان شابا لا یبالی بأحکام الإسـلام حتی فی زمن أبیه،کان فاسـقا فاجرا،لا یتناهی عن شرب الخمر،متّبعا لإهوائه و شهواته،قام بأعمال إجرامیه طوال السنوات الثلاث التی حکم فیها،لم یسبق لها مثیل منذ ظهور الإسلام،مع ما انطوت علیه من أحدث و فتن.

ففی السـنه الأولی ،قتل الحسـین بن علی علیه السّـلام سـبط النبی المرسل صلی اللّه علیه و آله و سلم،و من کان معه من أولاده و أقربائه و أصحابه،بشکل مفجع،و طاف بالنساء و الأطفال من أهل بیت العصمه و الطهاره مع رءوس الشهداء فی البلدان (۲).

۱- ۱) سوره التوبه الآیه ۱۰۰.

۲- ۲) تاریخ الیعقوبی ج ۲:/۲۱۶أبی الفداء ج ۱:/۱۹۰مروج الذهب ج ۳:۶۴ و کتب التاریخ الأخری.

و فی السنه الثانیه ،أمر جیشه بالإباده الجماعیه للناس فی مدینه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم،و أباح دماءهم و أموالهم و أعراضهم لثلاثه أیام (۱).

و فی السنه الثالثه ؛أمر بهدم الکعبه المقدّسه و إحراقها (۲)،و بعد وفاه یزید،تسلّط علی رقاب الناس،آل مروان من بنی أمیه، و هذا ما تناقلته کتب التاریخ،و کانت لحکومه هذه الزمره و التی شملت أحد عشر شخصا،و استمرت مده سبعین عاما،أیام عصیبه علی الإسلام و المسلمین،فلم تکن سوی أمبراطوریه عربیه مستبده فی مجتمع إسلامی،و کانت تدعی الخلافه الإسلامیه، حتی آل الأمر بالخلیفه آنذاک،و الذی یعتبر المدافع الوحید عن الدین،أن یقرر بناء غرفه علی الکعبه،کی یتسنّی له الجلوس فیها للتنزه،خاصه فی أیام الحجّ (۳).

و الخلیفه آنذاک قد رمی القرآن بالسهام،و قال فی شعر له مخاطبا القرآن:

أتوعد کل جبار عنید

فها أنا ذاک جبار عنید

إذا ما جئت ربک یوم حشر

فقل یا ربّ مزّقنی الولید (۴)

۱- ۱) الیعقوبی ج ۲:/۲۴۳أبی الفداء ج ۱:/۱۹۲مروج الذهب ج ۳:۷۸.

۲- ۲) الیعقوبی ج ۲:/۲۲۴أبی الفداء ج ۱:/۱۹۲مروج الذهب ج ۳:۸۱.

۳- ۳) الولید بن یزید،الیعقوبی ج ۳:۷۳.

۴- ۴) الولید بن یزید،مروج الذهب ج ۳:۲۲۸.

من الطبیعی أن الشیعه کانوا یختلفون اختلافا أساسیا مع أکثریه أهل السنه حول مسألتین،الخلافه الإسلامیه،و المرجعیّه الدینیه،و هم عانوا أیاما قاسیه فی تلک المرحله المظلمه.فکان الظلم و الجور من قبل الحکام،و المظلومیه و التقوی و الورع الذی کان یتصف به أئمه أهل البیت علیه السّلام یجعلهم أکثر رسوخا فی عقائدهم،و خاصه بعد استشهاد الحسین علیه السّلام الإمام الثالث للشیعه،مما ساعد علی انتشار الفکر الشیعی فی المناطق البعیده عن مرکز الخلافه مثل العراق و الیمن و إیران.

و مما یشهد علی صحه هذا الادعاء،ما حدث فی زمن الإمام الخامس للشیعه،و القرن الأول الهجری لمّا یکتمل بعد،حیث توجّه الشیعه من جمیع الأقطار الإسلامیه إلی الإمام الخامس و اهتموا بأخذ الحدیث و المعارف الإسلامیه منه (۱).

و فی أواخر القرن الأول الهجری،قام جماعه من الأمراء، بإنشاء مدینه قم فی إیران (۲)،و أسکنوا فیها الشیعه،و لکن الشیعه حسب أوامر أئمتهم لم یظهروا عقیدتهم،التزاما بمبدإ التقیّه، و لطالما نهض رجال من الساده العلویین إثر کثره الضغوط التی کانت تظهر من قبل الحکام الجائرین،و لکن قیامهم هذا کان عاقبته الفشل و القتل.و قدموا فی سبیل عقیدتهم و نهضتهم هذه المزید من النفوس و لم تبال الحکومه بإبادتهم و القضاء علیهم.

۱- ۱) یراجع مبحث معرفه الإمام فی هذا الکتاب.

۲- ۲) معجم البلدان کلمه(قم).

فهم أخرجوا جثمان«زيد»زعيم الشيعه الزيديه من قبره، و صلبوه لمده ثلاث سنين،و من ثم أحرقوه،و ذرّوا رماده فى الهواء (۱)،حتى أن أكثريه الشيعه تعتقد أن مقتل الإمام الرابع و الخامس قد تمّ على أيدى بنى أميّه (۲)،و ذلك بدسّ السمّ إليهما، و كذا شهاده الإمام الثانى و الثالث كانت على أيديهم.

إن الفجائع التى ارتكبها الأمويون كانت إلى حد جعلت أكثريه أهل السنه-مع اعتقادها بالخلفاء عامه و أنهم مفروضو الطاعه- يقسموا الخلفاء إلى قسمين:الخلفاء الراشدين،و هم الخلفاء الأربعه الأوائل بعد وفاه الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و هم(أبو بكر و عمر و عثمان و على عليه السّلام و الخلفاء غير الراشدين أولهم معاويه.

و الأمويون طوال حكومتهم،و على أثر ظلمهم و جورهم،أثاروا سخط الأمه و غضبها إلى أبعد الحدود،و بعد سقوط دولتهم و مقتل آخر خليفه لهم،فرّ ولدا الخليفه مع جمع من العائله الأمويه من دار الخلافه و لم يجدوا فى أى مكان ملجأ يتجهون إليه،فتاهوا فى صحارى«النوبه»و«الحبشه»و«بجاوه»و مات الكثير منهم من جراء الظمأ و الجوع،توجهوا إلى جنوب(اليمن) فمكثوا هناك زمنا،كانوا يحصلون على المال من الناس عن طريق الاستجداء و الصدقه و العطف عليهم.و من ثم انتقلوا إلى مكه مرتدين زىّ الحمّالين و انصهروا فى ذلك المجتمع (۳).

۱- ۱) مروج الذهب ج ۳:۲۱۷-۳/۲۱۹اليعقوبى ج ۳:۶۶.

۲- ۲) كتاب البحار ج ۱۲ و سائر المصادر الشيعه.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳:۸۴.

الشیعه فی القرن الثانی للهجره

ظهرت دعوه باسم أهل بیت النبوه فی خراسان،یتزعمها«أبو مسلم المروزی»و ذلک فی أواخر الثلث الأول من القرن الثانی للهجره،اثر النهضات و الحروب الدامیه التی ظهرت فی جمیع البلدان الإسلامیه،کرد فعل للظلم و الجور و المعامله السیئه التی کان یقوم بها بنو أمیه،و أبو مسلم هذا قائد فارسی،قام ضد الحکومه الأمویه،و حاز علی دعم حتی أطاح بالدوله الأمویه (۱).

هذه الثوره و إن کانت تستلهم من الدعایات الشیعیه،و کانت تتصف أیضا-إلی حد ما-بثار شهداء أهل البیت!إلّا أنها لم تکن بإیعاز من أئمه الشیعه،و الدلیل علی ذلک أن أبا مسلم لما عرض البیعه للخلافه علی الإمام السادس فی المدینه،کان ردّ الإمام عنیفا إذ أحرق الکتاب المرسل إلیه،و قال للرسول«عرّف صاحبک بما رأیت» (۲).

و کانت النتیجه أن قبض«بنو العباس»علی الخلافه باسم أهل البیت (۳)،و فی البدایه أبدوا عنایتهم و رعایتهم للعلویین.و قضوا علی الأمویین و أبادوهم إباده کامله،و ذلک انتقاما لشهداء العلویین، و نبشوا قبور خلفاء بنی أمیه،و أخرجوا منها الأجساد،و أحرقوها

۱- ۱) الیعقوبی ج ۳:/۷۹أبی الفداء ج ۱:۲۰۸ و کتب التاریخ الأخری.

۲- ۲) الیعقوبی ج ۳:/۸۶مروج الذهب ج ۳:۲۶۸.

۳- ۳) الیعقوبی ج ۳:/۸۶مروج الذهب ج ۳:۲۷۰.

بـالنيران (۱)،و لـم تمض فـتره حـتى اتخـذوا سـيره بنى أميـه نهجـا لهـم، فلـم يتوانـوا عـن القيـام بالأعمـال المشـينه و المنـافيه للشريعه،فظلموا و جاروا على الناس.

سجن«أبو حنيفه»و هو أحـد رؤساء المذاهب الأربعه،فى زمن المنصور (۲)،و لاقى أنواع التعذيب،و ضرب«ابن حنبل»أحد رؤساء المذاهب الأربعه،بالسياط (۳)،و قضـى على الإمام السادس للشيعه الإماميه بالسم (۴)،بعد الأذى و التعذيب.و كان يقدم العلويون جماعات لضرب أعناقهم،أو يدفنوا و هم أحياء،أو يوضعوا أحياء فى الجدران،و أسس الأبنيه الحكوميه.

و أمـا هـارون الرشـيد الخليفه العباسـى،فقـد توسـعت فى زمنه الإـمبراطوريه الإسـلاميه،و كـان ينظر أحيانـا الشـمس مخاطبا إياها بقوله:أشرقى فى أىّ مكان شئت فإنك لن تشرقى خارج ملكى.

فمن جهه كان جيش الخليفه يحارب و يتقـدم فى أقصـى الشـرق و الغرب فى العالم،و من جهه أخرى يشاهد على جسـر بغداد و الـذى لا يبعـد عن قصـره سوى خطوات،الجباه يأخـذون من المارّه حق العبور دون علم الخليفه و إذنه،و يـذكر أن الخليفه نفسه، عند ما أراد عبور الجسر ذات يوم،طولب بحقّ العبور (۵).

۱- ۱) اليعقوبى ج ۳:۹۱-/۹۶أبى الفداء ج ۱:۲۱۲.

۲- ۲) تاريخ أبى الفداء ج ۲:۶.

۳- ۳) اليعقوبى ج ۳:/۱۹۸أبى الفداء ج ۲:۳۳.

۴- ۴) كتاب البحار ج ۲۱۲ حياه الإمام الصادق(ع).

۵- ۵) قصه جسر بغداد.

و ممـا يـذكر عن الأـمين الخليفه العباسـى،أنه وهب إلى مطرب ثلاـثه ملاـيين درهم فضه إزاء مـا غناه لبيتين غزل،فرمى المطرب نفسه على قـدمى الخليفه قائلا:تمنحنى هـذه الأموال الطائله يا أمير المؤمنين؟!فأجابه الخليفه ليس الأمر بمهم نستعيضـها من ناحيه من نواحى البلاد (۱).

كانت الأموال الطائله تتدفق إلى بيت مال المسلمين من جميع الأقطار الإسلاميه،و تصرف للهو الخليفه و لعبه،و كانت الجوارى و الفتيات الحسناوات و الغلمان فى بلاط الخلفاء تعد بالآلاف.

لم يتغيّر وضع الشيعه بعد زوال حكومه بنى أميه،و مجىء دوله بنى العباس،سوى تغيير اسم الأعداء الظلمه و الجائرين.

الشيعه فى القرن الثالث للهجره

استطاع الشيعه أن يتنفسوا الصعداء،فى أوائل القرن الثالث الهجرى،و السبب فى ذلك يعود إلى:

أولاـ:ترجمه الكثير من الكتب الفلسـفيه و العلميه من اليونانيه و السـريانيه و غيرهما إلى العربيه،فتسابق الناس على تحصـيل العلوم العقليه و الاسـتدلاليه،علما بأن المأمون الخليفه العباسـى (۱۹۵-۲۱۸)المعتزلى كان يرغب فى الاسـتدلال العقلى،و يبـدى اهتمامه له،و كانت النتيجه أن انتشر البحث الاستدلالى فى الأديان،و تعطى الحريه الكامله لأصحاب المذاهب،فانتهز علماء

۱- ۱) كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى(قصه الأمين).

الشیعه و متکلموهم هذه الحریه الفکریه،فلم یتوانوا فی النشاط العلمی،و نشر مذهب أهل البیت علیهم السّلام.

ثانیا:منح المأمون الإمام الثامن ولایه عهده بمقتضی سیاسته، فأصبح الشیعه و محبو أهل البیت،بعیدین عن التعرض إلی حدّ ما من قبل الولاه-و أصحاب المناصب،و أصبحوا یتمتعون بشیء من الحریه،إلا أن الفتره هذه لم تدم کثیرا،فتعرّض الشیعه بعدها للملاحقه الشدیده،و القتل و التشرید،و عادت السنّه التی کانت سائده،و خاصه فی زمن المتوکّل العباسی(۲۳۲-۲۴۷ للهجره)،إذ کان یعادی علیا و شیعته عداء خاصا،و هو الذی أمر بهدم مرقد الإمام الحسین علیه السّلام ثالث أئمه الشیعه فی کربلاء (۱).

الشیعه فی القرن الرابع للهجره

ظهرت عوامل فی القرن الرابع الهجری،ساعدت علی انتشار مذهب التشیع و تقویته،منها ضعف الخلافه العباسیه،و ظهور ملوک آل بویه.

کان لملوک آل بویه،و هم شیعه،التأثیر البالغ فی مرکز الخلافه ببغداد،و کذا فی الخلیفه (۲)،و هذه القدره جعلت الشیعه یقفون أمام المخالفین،الذین طالما حاربوا الشیعه،و تمکن الشیعه أن ینشروا عقائدهم بکل حریه.

و المؤرخون متفقون علی أن الجزیره العربیه،أو معظمها،کانت

۱- ۱) تاریخ أبی الفداء،و کتب التاریخ الأخری.

۲- ۲) یراجع کتب التاریخ.

تعتنق مذهب الشیعه فی ذلک الوقت،سوی المدن الکبیره منها،علما بأن بعض المدن مثل،هجر و عمان و صعده،کانت شیعیه،و مدینه البصره کانت تعتبر مرکزا لأهل السنه،و کانت فی صراع دینی مع الکوفه مرکز التشیع و کان یسکن فیها بعض الشیعه،و کذا فی کل من مدینه طرابلس و نابلس و طبریه و حلب و هرات،کان فیها من الشیعه، و کذلک فی مدینه الأهواز و سواحل الخلیج الفارسی من إیران (۱).

و فی أوائل هذا القرن،استولی ناصر الأطروش علی شمال إیران،بعد کفاح دام سنوات،فاستقر فی ناحیه طبرستان و أسس دولته،و استمرت لأولاده من بعده،و کان الحسن بن زید العلوی قد حکم هذه المنطقه قبل الأطروش (۲).

و فی هذا القرن استولی الفاطمیون و هم من الفرقه الإسماعیلیه علی مصر،و أسسوا حکومتهم و استمرت أکثر من قرنین(۲۹۶-۵۲۷).

الشیعه فی القرن الخامس و حتی القرن التاسع الهجری

توسعت الشیعه خلال القرن الخامس حتی أواخر القرن التاسع بتلک النسبه التی کانت علیها فی القرن الرابع و ظهر ملوک اعتنقوا مذهب التشیع،فصاروا یدعون له.

ترسخت الدعوه الإسماعیلیه فی«قلاع الموت»،و استقلت فی

۱- ۱) الحضاره الإسلامیه ج ۱:۹۷.

۲- ۲) مروج الذهب ج ۴:/۳۷۳الملل و النحل ج ۱:۲۵۴.

دعوتها قرنا و نصف قرن وسط إيران (۱).و حكم الساده المرعشيون سنين متماديه فى مازندران (۲).

اختار الملك«خدا بنده»و هو أحد ملوك المغول مذهب الشيعه، و خلّفه فى الحكم ملوك من هذه الطائفه لأعوام متعاقبه، و ساهموا فى نشر و ترويج هذه العقيده،و كذا سلاطين« آق قويونلو» و« قره قوينلو»،إذ كانت مدينه تبريز (۳)مركز حكومتهم،و كانت تنبسط سيطرتهم حتى فارس و كرمان،و حكمت الدوله الفاطميه فى مصر لسنوات متعاقبه.

من الطبيعى أن القدره الدينيه لأهل السنه مع الملوك كانت متغيره و متفاوته،و بعد سقوط الدوله الفاطميه و مجىء دوله الأيوبيين،تغيرت الظروف،و فقد الشيعه فى مصر و الشام الحريه الفكريه على الإطلاق،و قتل الكثير منهم (۴).

من بينهم الشهيد الأول«محمد بن محمد المكى»أحد نوابغ الفقه الشيعى الذى قتل سنه ۷۸۶ للهجره فى دمشق بتهمه التشيّع (۵).

و قتل أيضا الشيخ«شهاب الدين السهروردى»فى حلب بتهمه الفلسفه (۶).

۱- ۱) يراجع كتاب الكامل و روضه الصفا و حبيب السير.

۲- ۲) الكامل و أبى الفداء ج ۳.

۳- ۳) تاريخ حبيب السير.

۴- ۴) تاريخ حبيب السير و أبى الفداء و غيرهما.

۵- ۵) روضات الجنات و رياض العلماء نقلا عن ريحانه الأدب ج ۲:۳۶۵.

۶- ۶) الروضات و كتاب المجالس و وفيات الأعيان.

فالشیعه خلال هذه القرون الخمسه،کانوا فی ازدیاد من حیث النفوس و العدد،و کانت الزیاده تابعه لموافقه و مخالفه السلاطین من حیث القدره و الحریه الفکریه.و لم یعلن فی هذه الفتره فی أیه دوله إسلامیه مذهب التشیّع،مذهبا رسمیا لها.

الشیعه فی القرن العاشر و الحادی عشر للهجره

نهض شاب فی سنه ۹۰۶ للهجره،و هو فی الثالثه عشره من عمره،من عائله«الشیخ صفی الدین الأردبیلی»المتوفی سنه ۷۳۵ ه.و کان من أحد مشایخ الطریقه فی الشیعه،نهض مع ثلاثمائه من الدراویش الذین کانوا من مریدی آبائه،و ذلک لإیجاد دوله شیعیه مستقله و مقتدره،فسار من مدینه«أردبیل»و شرع بفتح البقاع و إزاله نظام ملوک الطوائف فی إیران،و بعد حروب دامیه مع الملوک المحلیّین و خاصه مع ملوک«آل عثمان»الذین کانوا ینوبون عن الإمبراطوریه العثمانیه،استطاع أن یجعل من إیران دوله موحّده بعد أن کانت ممزقه،یحکم کل بقعه منها فئه خاصه،و جعل المذهب الشیعی،مذهبا رسمیا لها (۱).

و بعد وفاه الملک«إسماعیل الصفوی»أعقبه ملوک آخرون من السلاله ذاتها،حتی منتصف القرن الثانی عشر الهجری،و کل من هؤلاء الملوک کان یؤید المذهب الشیعی،ففی زمن«الشاه عباس الکبیر»و الذی یعتبر ذروه القدره لهذه السلاله،استطاع أن یوسّع

۱- ۱) روضه الصفا و حبیب السیر و غیرهما.

بقعتهم،فازداد عدد السكان،فبلغ ضعف (۱)ما هو عليه الآن فی إيران(سنه ۱۳۸۴ ه).و الطائفه الشيعيه،فی القرنين و نصف القرن الأخير تقريبا،بقيت علی حالتها فی سائر البقاع الإسلاميه مع بقاء الازدياد الطبيعی لها.

الشيعه فی القرن الثانی عشر و حتی القرن الرابع عشر للهجره

إن التقدم فی المذهب الشيعی خلال القرون الثلاثه الأخيره كان بشكله الطبيعی كما فی السابق،و فی وقتنا الحاضر،يعتبر التشيع مذهبا رسميا فی إيران،و معظم شعوب اليمن و العراق من الشيعه، و تتواجد الشيعه فی كل الدول الإسلاميه فی العالم،قلت أم كثرت، و يعد الشيعه فی مختلف الأقطار فی العالم،بما يقارب المائه مليون.

انقسام بعض الفرق و انقراضها

اشاره

يشتمل كل مذهب علی مسائل و أمور تعتبر الأسس الأوليه لذلك المذهب،و هناك مسائل ثانويه.و أما اختلاف أهل المذاهب فی كيفيه المسائل الأصليه و نوعيتها مع الاحتفاظ بالأصول المشتركه بينها،يسمی انشعابا.

توجد الانشعابات فی جميع الأديان،و خاصه فی الأديان السماويه،اليهوديه و المسيحيه و الإسلام.أما المذهب الشيعی فلم يطرأ عليه،و لم يظهر فيه أیّ انشعاب فی زمن أئمته الثلاثه(الإمام

۱- ۱) روضه الصفا و حبيب السير.

علی و الحسن و الحسین علیهم السّلام)،و لکن بعد استشهاد الإمام الحسین علیه السّلام،اعترفت أکثریه الشیعه بإمامه علیّ بن الحسین السجاد علیه السّلام، و ذهب الأقلیه منهم و الذین عرفوا بالکیسانیّه،إلی الاعتقاد بإمامه محمد بن الحنفیه إماما رابعا لهم،و هو المهدی الموعود عندهم،و أنه غاب فی جبل رضوی،و سیظهر یوما.

و بعد وفاه الإمام السجاد علیه السّلام اعتقد أکثریه الشیعه بإمامه ابنه محمد الباقر علیه السّلام،و ذهب الأقلیه منهم إلی التمسک بمذهب زید الشهید و هو الولد الآخر للإمام السجاد علیه السّلام،و اشتهروا بالزیدیه.

و بعد وفاه محمد الباقر علیه السّلام آمن شیعته بولده الإمام جعفر الصادق علیه السّلام و بعد وفاته،ذهب الأکثریه إلی أن الإمام السابع هو ولده الإمام موسی الکاظم علیه السّلام،و اعتقد فریق أن اسماعیل ابن الإمام الأکبر هو الإمام السابع،و الذی وافاه الأجل فی زمن أبیه الصادق،و انفصل هؤلاء عن الأکثریه الشیعیه،و عرفوا بالاسماعیلیه،و ذهب البعض إلی إمامه عبد الله الأفطح ابنه الآخر،و ذهب آخرون إلی إمامه محمد و توقف بعض فی إمامته، و اعتبروه آخر الأئمه.

و بعد استشهاد الإمام موسی الکاظم علیه السّلام،ذهبت الأکثریه إلی إمامه ابنه الرضا علیه السّلام،إماما ثامنا،و توقف جماعه فی إمامه الإمام السابع،و اشتهروا ب(الواقفیه).

و لم یظهر انشعاب بعد الإمام الثامن و حتی الإمام الثانی عشر، و هو المهدی الموعود،و إذا ما کانت هناک حوادث أو وقائع فإنها لم تکن سوی أیام معدوده و لم یحدث انشعابا،و علی فرض حدوث

انشعاب،لم يدم كثيرا،و انتهى إلى الانصهار،كما حدث بعد وفاه الإمام العاشر،إذا ادّعى ولده جعفر الإمامه و تبعه جمع،إلا أنهم تفرّقوا و تشتتوا بعد فتره قصيره،و لم يتابع جعفر دعوته هذه،و هناك بعض اختلاف فى الآراء بين رجال الشيعه فى المسائل العلميه و الكلاميه و الفقهيه،إلا أن ذلك لا يعتبر انشعابا فى المذهب.

انقرضت الفرق المذكوره التى انشعبت أمام الأكثريه الشيعيه،فى زمن قصير،عدا الفرقه«الزيديه»و«الإسماعيليه»اللتان استمرتا، و لا يزال معتنقو هذين المذهبين يعيشون فى مناطق مختلفه من العالم،كاليمن و الهند و لبنان و مناطق أخرى،فعلى هذا نكتفى بذكر هاتين الطائفتين مع الأكثريه الشيعيه و هم الاثنا عشريه.

الزيديّه

تعتبر«الزيديه»من تابعى زيد الشهيد ابن الإمام السجاد عليه السّلام.

ثار زيد سنه ۱۲۱ للهجره بوجه الخليفه الأموى«هشام بن عبد الملك»و بايعه جماعه و قتل فى حرب وقعت فى مدينه الكوفه بينه و بين مؤيدى الخليفه.

يعدّ زيد لدى أصحابه،الإمام الخامس من أئمه أهل البيت عليه السّلام،و خلفه بعده ابنه«يحيى بن زيد»الذى ثار على الخليفه الأموى«الوليد بن يزيد»و جاء بعده«محمد بن عبد الله»و «إبراهيم بن عبد الله»اللذان قاما و ثارا على الخليفه العباسى «منصور الدوانيقى»و قتلا،فهؤلاء هم من أئمه الزيديّه.

و منذ ذلك الوقت،كانت أمور«الزيديّه»غير منتظمه،حتى ظهور

«ناصر الأطروش»و هو من نسل أخی زید،فی خراسان،و علی أثر المطاردات التی قامت بها الدوله آنذاک،اضطرّ أن یفرّ إلی مازندران،و لم یکن أهالی هذه المنطقه قد اعتنقوا الإسلام،و بعد دعوه دامت ثلاث عشره سنه،استطاع أن یدخل جمعا کثیرا فی الإسلام،فاعتنقوا مذهب«الزیدیّه»،و استطاع بعدها و بمساعده هؤلاء أن یسیطر علی ناحیه طبرستان و صار فیهم إماما و قائدا، و استخلفه من بعده أولاده،یسوسون الناس فی تلک الدیار.

و تعتقد«الزیدیّه»أن کل فاطمی،و عالم،و زاهد،و شجاع، و سخیّ،یثور لإحقاق الحقّ یستطیع أن یکون إماما.

کانت الزیدیّه فی الابتداء مثل زید،تعتبر الخلیفتین الأولین «أبو بکر و عمر»من الأئمه،و لکن بعدها أسقط جماعه منهم اسم هذین الخلیفتین من أسماء أئمتهم،و ابتدءوا بالإمام علیّ علیه السّلام.

و حسب ما یقال أن«الزیدیّه»تتبع المعتزله فی الأصول،و توافق فقه«أبی حنیفه»فی الفروع.و هناک اختلاف یسیر بینهم فی بعض المسائل.

الإسماعیلیه و انشعاباتها

الباطنیه:کان للإمام جعفر الصادق علیه السلام و هو الإمام السادس للشیعه ولد یدعی«اسماعیل»و هو أکبر ولده،توفی فی زمن أبیه،و شهد الأب وفاه ابنه،و طلب الشهاده من حاکم المدینه أیضا علی وفاه ولده،إلا أن هناک فریق یعتقد بعدم وفاه اسماعیل، و أنه اختار الغیبه،و سوف یظهر ثانیه و هو المهدی الموعود،و یتضح

أن إشهاد الإمام السادس على وفاه ولده كان على علم و عمد،و ذلك خوفا من المنصور الخليفه العباسى.و اعتقدت جماعه أن الإمامه الحقّه هى لاسماعيل،و مع موته،انتقلت إلى محمد،و اعتقد آخرون أن إسماعيل و إن أدركه الموت فى زمن أبيه،إلا أنه إمام،و محمد بن اسماعيل و من جاء بعده من هذه السلاله أئمه أيضا.

انقرضت الفرقتان الأولتان بعد زمن وجيز،و بقيت الفرقه الثالثه حتى وقتنا الحاضر،و قد تفرعت لفرق عديده.

لدى«الإسماعيليه»فلسفه تشبه فلسفه عبده النجوم،و فيها شىء من التصوّف الهندى،و يذهبون إلى أن المعارف و الأحكام الإسلاميه،لها ظاهر و باطن،فلكل ظاهر باطن و لكل تنزيل تأويل، و تعتقد أن الأرض لا تخلو من حجه،و حجه الله عندهم على نوعين:ناطق و صامت فالناطق هو النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم.و الصامت هو الولى أو الإمام،و هو وصىّ النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.و على أيّه حال،فإن الحجّه هى المظهر الكامل للربوبيّه.

أساس الحجه عندهم يدور دائما على العدد(٧)،و بهذا الترتيب، أن كل نبى عند ما يبعث يختصّ بالنبوّه-أى الشريعه-و الولايه،و يأتى بعده سبعه أوصياء،لكل منهم الوصايه،و كلهم يعتبرون فى نفس المنزله و الشأن،سوى الوصى السابع الذى يختص بالنبوّه أيضا، و يتصف بثلاثه مناصب،النبوّه و الوصايه و الولايه،و بعده سبعه أوصياء،و للسابع منهم ثلاثه مناصب و هكذا.

فهم يقولون،أن آدم عليه السلام بعث بالنبوّه و الولايه،و كان له سبعه أوصياء،و سابعهم نوح النبى،و كان يختصّ بالنبوه الوصايه

و الولايه،و النبی إبراهيم هو الوصیّ السابع لنوح،و النبی موسی سابع الأوصياء لإبراهيم،و النبی عيسی سابع الأوصياء لموسی، و محمد صلی اللّه عليه و آله و سلم سابع الأوصياء لعيسی،و محمد بن اسماعيل الوصی السابع لمحمد صلی اللّه عليه و آله و سلم،بهذا الترتيب:محمد صلی اللّه عليه و آله و سلم و علی و الحسين و علی بن الحسين و السجاد و محمد الباقر و جعفر الصادق و اسماعيل و محمد بن اسماعيل(الإمام الثانی الحسن بن علی لا يعدونه من الأئمه)،و بعد محمد بن اسماعيل سبعه من نسله و ولده،أسماؤهم مخفيّه مستوره و بعدهم سبعه من ملوك الفاطميين لمصر،أولهم عبيد الله المهدی مؤسس حكومه الفاطميين بمصر.

تعتقد الإسماعيليّه،بأن هناك اثنی عشر نقيبا موجودين دائما علی الأرض،فضلا عن وجود حجه الله،فهم حواريو الحجه و خاصته،و لكن البعض منهم و هی فرقه الدروز الباطنيه،تعتبر سته من الأئمه نقباء،و السته الآخرين من غيرهم.

و قد ظهر شخص مجهول الهويه سنه ۲۷۸ ه،فی مدينه الكوفه،(قبل ظهور عبيد الله المهدی بسنوات)خوزستانی الأصل، و كان يقضی نهاره صائما،و ليله قائما عابدا،و يسدّ رمقه من كسبه و عمله،كان يدعو لمذهب«الإسماعيليه».فاستطاع أن يكسب جماعه،ليكونوا له أنصارا و أعوانا،فانتخب منهم اثنی عشر شخصا،علی أنهم النقباء،ثم خرج من الكوفه متجها إلی الشام،و ما عرف عنه شیء بعدها.

استخلف هذا الرجل المجهول فی العراق،رجلا كان يدعی أحمد و يعرف ب«القرمط»،فبثّ تعاليم الباطنيّه،و كما يشير

المؤرخون بأنه ابتدع صلاه جديده،بدلا من الصلوات الخمس فى الإسلام،و ألغى غسل الجنابه،و أباح شرب الخمر.و فى نفس العصر،ظهر زعماء آخرون يدعون إلى الباطنيه،جذبوا جماعه من الناس من حولهم.

كان هؤلاء يتعرضون لأنفس و أموال من لا يعتنق مذهب الباطنيه،و استمروا فى حركتهم هذه فى العراق و البحرين و اليمن و الشام،قتلوا الأبرياء،و نهبوا الأموال،و سلبوا قوافل الحجيج، سفكوا دماء الآلاف منهم،و نهبوا أمتعتهم و راحلتهم.

استولى«أبو طاهر القرمطى»أحد زعماء الباطنيه على البصره سنه ٣٣١ ه فقتل الناس،و نهب الأموال،ثم اتجه إلى مكه مع جمع من الباطنيه سنه ٣١٧ ه،و بعد صراع مع أفراد الشرطه، دخل مكه،فقتل أهلها،و الحجاج الواردين إليها،فسالت الدماء فى بيت الله الحرام و الكعبه،فقسّم ستار الكعبه بين أنصاره،و قلع باب الكعبه،و اقتلع الحجر الأسود من مكانه،ثم نقله إلى اليمن و بقى عندهم مده اثنين و عشرين عاما.

على أثر هذه الأعمال،أبدى عامه المسلمين تذمرهم و تنفرهم من«الباطنيه»،و اعتبروهم خارجين عن دين الإسلام،حتى أن «عبيد الله المهدى»و هو أحد ملوك الفاطميين،الذى ظهر فى إفريقيّه،و ادّعى لنفسه المهدويّه،و أنه المهدى الموعود،و إمام الإسماعيليه،قد تبرأ أيضا من القرامطه آنذاك.

و حسب ما يقرّه المؤرخون أن المعيار الدينى للباطنيه هو تأويل الأحكام الظاهره للإسلام إلى مراحل باطنيه صوفيه،و يعتبرون

ظاهر الشريعه خاصا للأميين من الناس،الذين لم يتدرجوا فى طريق الكمال،و مع هذا كله،فقد كانت تصدر قوانين و أحكام معيّنه من أئمتهم و زعمائهم بين حين و آخر.

النزاريه و المستعليه و الدروزيه و المقنعه

ظهر«عبيد الله المهدى»سنه ۲۹۶ للهجره فى إفريقيا،و ادّعى الإمامه على طريقه الإسماعيليه،و أسس الدوله الفاطميه،و اختار خلفاؤه مصر دار خلافتهم،فحكم سبعه منهم على التوالى طبق مذهب«الإسماعيليه»دون أن يحدث خلاف أو انقسام بينهم.

و بعد الخليفه السابع و هو(المستنصر بالله سعد بن على)تنازع ولداه«نزار»و«المستعلى»على الخلافه و الإمامه،و بعد صراع و حروب داميه،كانت الغلبه للمستعلى،فألقى القبض على أخيه نزار،و سجنه و بقى فى السجن حتى توفى فيه.

و على أثر هذه المنازعه،انقسم اتباع الفاطميين إلى قسمين:

نزاريه و مستعليه.

النزاريّه: هم من أتباع الحسن بن الصبّاح،و كان من المقربين للمستنصر،و بعد المستنصر،أخرج من مصر بأمر من المستعلى، بسبب دفاعه عن نزار،فجاء إلى إيران و بعد فتره ظهر فى قلعه الموت من نواحى قزوين.فاستولى على هذه القلعه و قلاع أخرى مجاوره،فصار سلطانا عليها،و دعا إلى نزار فى البدايه،و بعد وفاه«حسن»سنه ۵۱۸ ه.جاء«بزرك أميد رودبارى»،و بعده ابنه «كيا محمد»حكما على طريقه«الحسن الصبّاح»،و جاء بعده ابنه

«حسن علی ذکره السلام»رابع ملوک قلعه الموت،فغیّر طریقه الحسن الصبّاح و کانت نزاریّه،و انتمی إلی الباطنیه.

فتح هولاکو خان بعد حملته علی إیران قلاع الإسماعیلیه و قتل جمیع الإسماعیلیین،و هدم قلاعهم،و بعد سنه ۱۲۵۵ ه.ثار آقا خان المحلاتی و کان من النزاریّه علی محمد شاه القاجار، و فشل فی نهضته التی قام بها فی مدینه کرمان و هرب إلی بمبئی، فنشر الدعوه الباطنیه النزاریه بإمامته و زعامته هناک،و لا تزال دعوتهم باقیه حتی الآن،و تدعی النزاریه الآن بال(آقاخانیه).

المستعلیه: استقرت الإمامه لأتباع المستعلی الفاطمی من خلفاء الفاطمیین بمصر إلی أن انقرضت سنه ۵۵۷ ه.و ظهرت بعد فتره فرقه(البهره)فی الهند علی الطریقه نفسها،و لا تزال موجوده.

الدروزیه: الطائفه الدروزیه التی تقطن الآن جبل الدروز فی الشام،کانت فی بدایه الأمر تابعه للخلفاء الفاطمیین،حتی أیام الخلیفه السادس الفاطمی،بدأت تدعو إلی«نشتجین الدروزی» و التحقت بالباطنیه.

تقف الدروزیه عند الخلیفه«الحاکم بالله»و تدّعی أنه غاب عن الأنظار،و عرج إلی السماء،و سوف یعود ثانیه بین الناس.

المقنّعه: کانت من أتباع«عطاء المروی»المعروف بالمقنّع فی بادئ الأمر،و حسب ما یذکر المؤرخون أنه کان من أتباع أبی مسلم الخراسانی،و بعد وفاه أبی مسلم،ادّعی أن روح أبی مسلم قد حلّت فیه،و ادّعی النبوّه بعد ذلک،و بعدها ادّعی الألوهیه،و حوصر سنه ۱۶۲ فی قلعه کیش فی بلاد ما وراء النهر،و عند ما تیقّن أنه

مقتول لا محاله،أشعل نارا،و رمی بنفسه فیها مع عده من أصحابه و احترق،بعد فتره اختار أصحاب عطاء مذهب الإسماعیلیه،و التحقوا بالفرقه الباطنیه.

الشیعه الاثنا عشریه و اختلافها مع الزیدیه و الإسماعیلیه

إن الأقلیه الشیعیه التی مرّ ذکرها تنشعب عن الأکثریّه الشیعیه الإمامیه،و تسمی بالاثنی عشریه أیضا،و کما ذکرنا آنفا،کان بدایه نشوئهم هو الاعتراض و الانتقاد لمسألتین أساسیتین من المسائل الإسلامیه،علما بأنهم لم یعارضوا القوانین التی کانت موجوده وفقا لتعالیم الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و منتشره بین المسلمین.

و المسألتان هما:«الحکومه الإسلامیه و المرجعیه العلمیّه».و تعتقد الشیعه بأن تلک المسألتین من حق أهل البیت علیهم السّلام خاصه.

تؤمن الشیعه الاثنا عشریه،إن الخلافه الإسلامیه بما فیها من ولایه باطنیه و قیاده معنویه-و هما جزءان لا ینفکان عنها-من حقّ علیّ و أولاده علیهم السلام،بموجب تصریح النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم و سائر أئمه أهل البیت علیهم السّلام،و هم اثنا عشر إماما،و تؤمن أیضا أن التعالیم الظاهریه للقرآن و التی تعتبر من أحکام الشریعه، تشتمل علی الحیاه المعنویه الکامله و لها أصالتها و اعتبارها،و لا یعتریها أیّ نسخ حتی قیام الساعه و یجب أن تؤخذ هذه الأحکام و القوانین عن طریق أهل البیت،لا غیر،و من هنا یتضح:

إن الاختلاف الأصلی بین الشیعه الإمامیه و الشیعه الزیدیه،هو أن الشیعه الزیدیه لا تحصر الإمامه فی أهل البیت علیهم السّلام،و لا

تقتصر فی عدد الأئمه علی الاثنی عشر،و لا تتبع فقه أهل البیت، علی خلاف الشیعه الإمامیه.و الفارق الأساسی بین الشیعه الإمامیه و الشیعه الإسماعیلیه هو أن الإسماعیلیه تعتقد بأن الإمامه تدور علی(سبع)و لم تختم النبوه بمحمد صلی اللّه علیه و آله و سلم،و لا مانع لدیهم من تبدیل أحکام الشریعه،و حتی ارتفاع أصل التکلیف عنهم،خاصه علی قول الباطنیه.علی خلاف مذهب الشیعه الإمامیّه الذی یعتقد بخاتمیه النبوه فی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم و أنه خاتم الأنبیاء،و له اثنا عشر وصیا،و تعتبر ظاهر الشریعه غیر قابل للنسخ،و یثبتون للقرآن ظاهرا و باطنا.

أما طائفتا الشیخیه و الکریمخانیه،اللتان ظهرتا بین الشیعه الإمامیه فی القرنین الأخیرین،فلم نعدهما انشعابا،لأن اختلافهما معا یدور حول توجیه و تفسیر بعض المسائل النظریه، و لیس فی إثبات أو نفی أصل المسائل.

و کذا فرقه« علی اللهیّه»بالنسبه للشیعه الإمامیه،و یسمّون ب «الغلاه»أیضا،فهم یعتقدون بالباطن فقط مثل الباطنیه للشیعه الإسماعیلیه،و بما أنهم یفتقرون إلی منطق دقیق،فلم نحسبهم من عداد الشیعه.

موجز عن تاریخ الشیعه الاثنی عشریه

کما أشرنا فی الفصول المتقدمه،أن أکثریه الشیعه هم الاثنا عشریه،و هم أصحاب علی و أنصاره،الذین رفعوا رایه المعارضه و الانتقاد فی ما یخص الخلافه و المرجعیه العلمیه بعد وفاه

الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و ذلك لإحياء حقوق أهل البيت عليهم السّلام،و بهذا انفصلوا عن أكثريه الناس.

كانت الشيعه مضطهده فى زمن الخلفاء الراشدين(سنه ١١.

٣٥ ه)،و لم يكن عندهم احترام أو حمايه لأنفسهم و أموالهم طوال حكومه بنى أميه و خلافتهم(٤٠-١٣٢ ه)،و كلما كان يزداد عليهم الضغط و الاضطهاد،كانوا يشتدون عزما،و رسوخا فى عقيدتهم، و كانوا يستفيدون من مظلوميتهم فى سبيل المحافظه على عقيدتهم و تقدمها و نشرها.

و فى الفتره ما بين الدولتين الأمويه و العباسيه،حيث تسلّم خلفاء بنى العباس الحكم،و التى كانت فتره ضعف و انهيار، استطاع الشيعه أن يتنفسوا الصعداء،و ذلك فى أواسط القرن الثانى للهجره،و لكن سرعان ما عاد التضييق و الاضطهاد عليهم، و ازداد شيئا فشيئا حتى أواخر القرن الثالث الهجرى.

و فى أوائل القرن الرابع الهجرى،استعاد الشيعه قوّتهم بمجىء سلاطين آل بويه،و كانوا من الشيعه،فحصلوا على حريّه فكريّه، و شرعوا بنضالهم،و استمرت حتى نهايه القرن الخامس الهجرى، و فى أوائل القرن السادس الهجرى،الذى يقترن مع حمله المغول، و على أثر المشاكل العامه،و استمرار الحروب الصليبيه،رفعت الحكومات الإسلاميه الاضطهاد و الضغوط عن الشيعه،و خاصه بعد اعتناق بعض سلاطين المغول فى إيران دين الإسلام،و ساهمت حكومه سلاطين مرعش فى مازندران فى دعم الشيعه و تقويتهم، مما جعل عددهم يزداد فى كل بقعه من بقاع الممالك الإسلاميه

و خاصه فی إیران،حیث کان الشیعه بالملایین.و استمرت هذه الحاله حتی أواخر القرن التاسع الهجری،و فی بدایه القرن العاشر الهجری،إثر ظهور الدوله الصفویه فی إیران المتسعه الأرجاء آنذاک،اعترف رسمیا بمذهب الشیعه،و لا یزال حتی الآن،یعتبر مذهبا رسمیا للبلاد و فضلا عن هذا کله فإن عشرات الملایین من الشیعه تعیش حالیا فی جمیع بقاع العالم.

ص :۶۹

الفصل الثانی:

اشاره

الفکر الدینی لدی الشیعه

ص :۷۱

معنی الفکر الدینی

یطلق هذا الاصطلاح علی التحقیق و البحث فی موضوع من المواضیع الدینیه للحصول علی نتیجه معینه.

کما أن المراد من الفکر الریاضی مثلا،هو الفکر الذی یعطی النتیجه لنظریه ریاضیه معینه،أو یحلّ مسأله ریاضیه.

المصادر الرئیسیه للفکر الدینی فی الإسلام

من الطبیعی أن الفکر الدینی کسائر الأفکار،یعتمد علی مصادر،کی یستلهم منها مواده و أسسه،کما هو الحال فی الفکر الریاضی لحل مسأله ما،فإنه لا بدّ من الاستعانه بمجموعه من النظریات و الفرضیات،و بالنتیجه ینتهی إلی المعلومات الخاصه به، و المصدر الوحید الذی یعتمد علیه الإسلام،(من جهه ارتباطه بالوحی السماوی)هو القرآن الکریم،فهو المصدر الرئیسی للنبوه الشامله للنبی الأکرم،و ما یحتویه من الدعوه إلی الإسلام،

و القرآن لا ينفى المصادر الأخرى للفكر الصحيح و الحجج الواضحه كما سنبين.

الطرق التى يعرضها الإسلام للفكر الدينى

اشاره

يضع القرآن الكريم ثلاثه طرق أمام أتباعه للوصول إلى المفاهيم الدينيّه و المعارف الإسلاميه،و يوضّح لهم،أن الظواهر الدينيه و الحجج العقليه،و الإدراك المعنوى لا يتأتّى إلّا من الخلوص فى العباده.

إن الله سبحانه يخاطب الناس عامه فى القرآن،و يعرض أمورا دون إقامه حجه أو دليل،انطلاقا من قدره هيمنته كخالق، و يطالب بقبول الأصول و الأسس الاعتقاديه،كالتوحيد و النبوه و المعاد،و الأحكام العمليه،كالصلاه و الصوم و غيرها،كما يأمر بالنهى و الامتناع أحيانا.و إذا لم تكن الآيات لتعطى الحجيّه،لم يكن ليطالب الناس بقبولها و اتّباعها،إذن لا بدّ من القول بأن هذه الآيات الواضحه الدلاله طريق لفهم المفاهيم الدينيه و المعارف الإسلاميه و إدراكها،و نسمى هذا البيان اللفظى بالظواهر الدينيه مثل«آمنوا بالله و رسوله»و«و أقيموا الصلاه»...

و نرى القرآن من جهه أخرى فى كثير من الآيات يدعو إلى الحجيّه العقليه،و ذلك بدعوه الناس إلى التفكر و التدبّر فى الآفاق و الأنفس،و هو يسلك الاستدلال العقلى فى بيان الحقائق.

و حقا أن القرآن هو الوحيد من بين الكتب السماويه الذى يعرّف للإنسان العلم و المعرفه بطريقه استدلاليه.و يعتبر أن الحجه العقليه

و الاستدلال المنطقی من الأمور المسلّمه.فهو یطالب أولا بتقبل المعارف الإسلامیه ثم الانتقال إلی الاحتجاج العقلی، و استنتاج المعارف الإسلامیه منها،انطلاقا من الاعتماد الکامل علی واقعیته بل یقول،محصوا فی الاحتجاج العقلی،و استنبطوا منه صحه المعارف،و من ثم یکون القبول و الرضا.

و ما یسمع من کلام عن الدعوه الإسلامیه،یمکن التأمل فیه، و الاستفسار عنه،و الإصغاء إلی قول الخالق.و بالتالی،فإن التصدیق و الإیمان یجب أن یحصل علیه الإنسان بدلیل أو حجه، لا أن یکون الإیمان مسبقا،ثم إقامه الأدلّه وفقا له.فالفکر الفلسفی طریق یدعمه القرآن الکریم و یصادق علیه،و من جهه أخری نری القرآن الکریم و بأسلوبه الرائع،یوضّح لنا أن جمیع المعارف الحقیقه تنبع من التوحید و معرفه الله حقیقه،و ما کمال معرفه الله جلّ و علاـإلاّ لأولئک الذین جعلهم الله من خیره عباده،و خصصهم لنفسه، و هم الذین قد قطعوا تعلقهم القلبی بهذه الدنیا،و إثر الإخلاص و العبودیّه،وجّهوا قواهم إلی العالم العلوی،و نوّروا قلوبهم بنور الله سبحانه،و نظروا ببصیرتهم إلی حقائق الأشیاء،و ملکوت السماوات و الأرض،و هم قد وصلوا إلی مرحله الیقین،إثر إخلاصهم و عبودیتهم،و بوصولهم هذه المنزله (الیقین)انکشف لهم ملکوت السماوات و الأرض،و الحیاه الخالده فی العالم الخالد.

و يتضح هذا الادعاء مع الالتفات إلى الآيات الكريمه التاليه:

قوله تعالى: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ (۱).

و قوله تعالى: سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ إِلاّٰ عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ (۲).

و يقول الله تعالى: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمٰا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَمَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۳).

و يقول سبحانه: وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (۴).

و قوله: وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (۵).

و قوله: كَلاّٰ إِنَّ كِتٰابَ الْأَبْرٰارِ لَفِي عِلِّيِّينَ* وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا عِلِّيُّونَ * كِتٰابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (۶).

۱- ۱) سوره الأنبياء الآيه ۲۵.و يفهم من الآيه أن العباده فى الدين،فرح للتوحيد،و عليه يبنى.

۲- ۲) سوره الصافات الآيتان(۱۵۹-۱۶۰)إن الوصف فرع من المعرفه و الإدراك،و يفهم من الآيه أن المخلصين فحسب يعرفون الله حق معرفته،و الله منزه عن وصف الآخرين له.

۳- ۳) سوره الكهف الآيه ۱۱۰.يستنبط من الآيه أن الطريق للقاء الله هو التوحيد و العمل الصالح،و لا طريق سواه.

۴- ۴) سوره الحجر الآيه ۹۹.و يستفاد من الآيه أن عباده الله تؤدى إلى اليقين.

۵- ۵) سوره الأنعام الآيه ۷۵.يفهم من الآيه إن إحدى لوازم اليقين مشاهده ملكوت السماوات و الأرض.

۶ - ۶) سوره المطففين الآيات(۱۸-۲۱).يستفاد من الآيات أن عاقبه(الأبرار)فى كتاب يدعى(علّيين)المرتفع جدا،و يشاهده المقربون لله تعالى،علما أن لفظ(يشهده) صريح بأن المراد ليس الكتاب المخطوط،بل عالم تقرب و ارتقاء.

و قوله تعالى أيضا: كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (۱).

إذا إحدى طرق استيعاب المعارف الإلهيه و إدراكها هى تهذيب النفس و الإخلاص فى العبوديه.

الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثه

اتّضح مما سبق،إن القرآن الكريم يعرض ثلاثه طرق لفهم المعارف الدينيّه:الظواهر الدينيه و العقل.و الإخلاص فى العبوديه، و الذى مؤدّاه انكشاف الحقائق.و المشاهده الباطنيه لها،و لكن يجب أن نعلم أن هذه الطرق الثلاثه،تتفاوت فيما بينها من جهات عده:

الأولى: إن الظواهر الدينيه بيانات لفظيه،تستفاد من أبسط الألفاظ،و هى فى متناول أيدى الناس،و كلّ يستفيد (۲)منها حسب قدرته و فهمه و استيعابه،على خلاف الطريقين الآخرين،إذ يختصان بجماعه خاصه،و لم يكونا لعامه الناس.

الثانيه: إن العقل هو الطريق الموصل إلى أصول المعارف الإسلاميه و فروعها،و منه يمكن الحصول على المسائل الاعتقاديه و الأخلاقيه،و كذا الكليّات للمسائل العمليه(فروع الدين)،و لكن جزئيات الأحكام و مصالحها الخاصه بها لم تكن فى متناول

۱- ۱) سوره التكاثر الآيتان(۵-۶)يستفاد من الآيه أن علم اليقين موروث لمشاهده عاقبه حاله الأشقياء و هو الجحيم(جهنم).

۲ - ۲) و من هنا يتضح لنا قول النبى الأكرم(ص)فى روايه ينقلها العامه و الخاصه:«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم»البحار ج ۱:۳۶.

العقـل،و خارجه عن نطاقه،و هكـذا طريق تهـذيب النفس،لأن نتيجتها انكشاف الحقائق،و هو علم لـدنى(من قبل الله تعالى)، و لا يسـعنا هنا أن نحدّد نتائجها و الحقائق التى تنكشف عن هذه الموهبه و العطيه الإلهيه،و هؤلاء لما انفصلوا عن كل شىء سوى الله تعالى و أعرضوا عنه،كانوا تحت رعايه الله بصوره مباشره، فانكشف لهم كل ما يريده الله تعالى لا كل ما يريدونه.

الطريق الأول:

اشاره

الظواهر الدينيه و أقسامها

و كما سـبقت الإشاره،فإن القرآن الكريم و الذى يعتبر مصدرا أساسـيا للفكر الدينى الإسلامى،قد أعطى للسامعين حجيه و اعتبار ظواهر الألفـاظ،و هـذه الظواهر للآيات قـد جعلت أقوال النبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلم فى المرحله الثانيه بعـد القرآن مباشره،و تعتبر حجه كالآيات القرآنيه،و يؤيده قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۱).

و قوله جـلّ شـأنه: «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ» (۲).

۱- ۱) سوره النحل،الآيه ۴۴.

۲- ۲) سوره الجمعه الآيه ۲.

و قوله تعالى أيضا: لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيراً (۱).

فإذا لم تكن أقوال النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أفعاله و حتى صمته و إقراره،حجه كالقرآن الكريم،لم نجد مفهوما صحيحا للآيات المذكوره،لذا فإن أقواله صلى اللّه عليه و آله و سلم حجه لازمه الاتّباع،للذين قد سمعوه صلى اللّه عليه و آله و سلم،أو قد نقل إليهم عن طريق رواه ثقات،و كذلك ينقل عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم عن طرق متواتره قطعيه أن أقوال أهل بيته عليهم السّلام كأقواله،و بموجب هذا الحديث و الأحاديث النبويه القطعيه الأخرى،تصبح أقوال أهل البيت تاليه لأقوال النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم، و واجبه الاتّباع،و أن أهل البيت لهم المرجعيه العلميه فى الإسلام و لم يخطئوا فى تبيان المعارف و الأحكام الإسلاميه فأقوالهم حجه يعتمد عليها سواء كان مشافهه أو نقلا.

يتضح من هذا التفصيل أن الظواهر الدينيّه و التى تعتبر مصدرا من مصادر الفكر الإسلامى على قسمين:الكتاب و السنّه،و المراد بالكتاب،ظواهر الآيات القرآنيه الكريمه،و المقصود بالسنه، الأحاديث المرويّه عن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السّلام.

حديث الصحابه

أما الأحاديث التى تنقل عن الصحابه،فإذا كانت متضمنه أقوال الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم أو أفعاله،و لم تخالف أحاديث أهل البيت،تؤخذ بنظر الاعتبار،و إذا كانت متضمنه لرأى الصحابى

۱- ۱) سوره الأحزاب الآيه ۲۱.

فحسب فليست لها حجيّه،و يعتبر الصحابى كسائر المسلمين، علما بأن الصحابه أنفسهم كانوا يعتبرون الصحابى كبقيه المسلمين،و يعاملونه معاملتهم.

بحث آخر فى الكتاب و السنه

يعتبر كتاب الله(القرآن الكريم)هو المصدر الأساسى للفكر الإسلامى،و هو الذى يعطى الاعتبار و الحجيّه للمصادر الدينيه الأخرى،لذا يجب أن يكون قابلا للفهم لعامه الناس.

و فضلا عن هذا فإن القرآن الكريم يعلن أنه نور موضّح لكل شىء،و فى مقام التحدى،يطالب بتدبّر آياته،إذ ليس فيه أى اختلاف أو تناقض،و إذا كان بامكانهم معارضته،و الإتيان بمثله فليفعلوا ذلك إن استطاعوا.

و من الواضح أن القرآن لو لم يكن مفهوما لدى العامه فإن مثل هذه الآيات لا اعتبار لها.

و ليس هناك مجال للظن فى أن هذا الموضوع(القرآن يفهمه عامه الناس)يتنافى مع الموضوع السابق(إن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته،هم مراجع علميه للمعارف الإسلاميه،و التى هى حقيقه يدل عليها القرآن الكريم).

يشير القرآن الكريم إلى كليات بعض المعارف الإسلاميه و هى الأحكام و القوانين التشريعيه،كالصلاه و الصوم و المعاملات و سائر العبادات،و يتوقّف تفصيلها بالرجوع إلى السنه(حديث الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السّلام).

و البعض الآخر کالاعتقادات و الأخلاق،و إن کانت مضامینها و تفاصیلها یفهمها العامه،لکن إدراک و فهم معانیها،یستلزم اتخاذ نهج أهل البیت علیهم السّلام مع الاستعانه بالآیات،فإنها تفسّر بعضها بعضا،و لا یمکن الاستعانه برأی خاص،و الذی أصبح من العادات و التقالید،و باتت النفس تستأنس به.

یقول الإمام علی علیه السّلام:«کتاب الله تبصرون به،و تنطقون به، و تسمعون به و ینطق بعضه ببعضه،و یشهد بعضه علی بعض» (۱).

یقول النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم:«القرآن یصدق بعضه بعضا» (۲)و کذا قوله صلی اللّه علیه و آله و سلم«من فسّر القرآن برأیه فلیتبوأ مقعده من النار» (۳).

هناک أمثله بسیطه لتفسیر القرآن بعضه ببعض،و ذلک فی قوله تعالی فی قصه لوط «وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِینَ» (۴).

و فی آیه أخری جاءت کلمه«ساء»بکلمه«حجاره»کما فی الآیه الکریمه «...وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ حِجارَهً مِنْ سِجِّیلٍ» (۵).

یتّضح من الآیه الثانیه أن المراد من الآیه الأولی«فساء مطر» هو«حجاره سجّیل»،و الذی یتابع أحادیث أهل البیت بدقه و کذا الروایات المنقوله عن مفسّری الصحابه و التابعین،لا یتردّد بأن طریقه تفسیر القرآن بالقرآن تنحصر فی طریقه أئمه أهل البیت علیهم السّلام.

۱- ۱) نهج البلاغه خطبه رقم ۱۳۳.

۲- ۲) الدرّ المنثور:ج ۲:۶.

۳- ۳) تفسیر الصافی ص /۱۸البحار ج ۱۹:۲۸.

۴- ۴) سوره الشعراء الآیه ۱۷۳.

۵- ۵) سوره الحجر الآیه ۷۴.

ظاهر القرآن و باطنه

اتّضح أن القرآن الكريم بألفاظه و بيانه،يوضّح الأغراض الدينيه،و يعطى الأحكام اللازمه للناس فى الاعتقادات و العمل بها،و لكن لا تنحصر أغراض القرآن بهذه المرحله،فإن فى كنه هذه الألفاظ و هذه الأغراض،تستقرّ مرحله معنويه،و أغراض أكثر عمقا،و الذى يدركه الخواص بقلوبهم الطاهره المنزّهه.

فالنبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و هو المعلّم الإلهى للقرآن يقول:«ظاهره أنيق و باطنه عميق» (۱)و يقول أيضا«للقرآن بطن و ظهر و لبطنه بطن،إلى سبعه بطون» (۲)،و قد ورد الكثير عن باطن القرآن،فى أقوال أهل البيت عليهم السّلام (۳).

فالأصل فى هذه الروايات،هو التشبيه الذى قد ذكره الله تعالى فى سوره الرعد الآيه ۱۷.و الذى يشبّه فيه الإفاضات السماويه بالمطر الذى يهطل من السماء يقول سبحانه و تعالى:

أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَهٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَهٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ* كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ*فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ

(۴)

.

۱- ۱) تفسير الصافى ص ۴.

۲- ۲) سفينه البحار/تفسير الصافى ص /۱۵الكافى/تفسير العياشى/معانى الأخبار /و روايات أخرى.

۳- ۳) البحار ج ۱۱۷:۱.

۴- ۴) سوره الرعد الآيه ۱۷.

و تشیر هذه الآیه إلی أن استیعاب الناس و قدرتهم علی اکتساب المعارف السماویه و التی تنیر النفوس،و تمنحها الحیاه متفاوته.

فهناک من لا یعطی الأصاله لهذا العالم-الذی سرعان ما یزول-إلّا للماده و الحیاه المادیّه،و لا یرجو سوی ما تشتهیه نفسه من الحیاه المادیّه،و لا یخشی إلا الحرمان منها،و هؤلاء علی اختلاف فی مراتبهم.

و الحد الأدنی الذی یمکن قبوله من المعارف السماویه،هو الاعتقاد بشکل مجمل و أداء أحکام الإسلام العلمیه ظاهرا،و عباده الله جلّ شأنه أملا فی الثواب و خوفا من العقاب.

و هناک أناس اثر صفاء فطرتهم لا یرون السعاده بالرکون إلی لذائذ هذه الحیاه بأیامها القلیله الزائله،و ما الفائده و الضرر، و البهجه و البؤس فی هذه الحیاه إلّا ظن مغر،و ما أولئک الذین کانوا بالأمس سعداء،و أصبحوا الیوم قصصا تروی،سوی دروس و عبر لهم،تلقی فی أذهانهم باستمرار و علی الدوام.

و هؤلاء بالطبع یتجهون بقلوبهم المنزهه إلی العالم الأبدی و ینظرون إلی هذا العالم بما فیه من مظاهر مختلفه،بأنها دلالات و إشارات لا غیر،و لیست فیها أیه أصاله أو استقلال.

و عند ما تفتح لهم أبواب من المعرفه و الإدراک المعنوی للآیات و الظواهر الأرضیه و السماویه،و تشرق فی نفوسهم أنوار غیر متناهیه من عظمه و جلال الخالق سبحانه،و تعجب نفوسهم و قلوبهم الطاهره برموز الخلیقه إعجابا،فتعرج أرواحهم فی الفضاء غیر المتناهی للعالم الأبدی بدلا من انغماسها فی مصالحها المادیه الخاصه.

و عنـد مـا يسـتمعون عن طريق الوحى الإلهى،أن الله تعالى قـد نهى عن عباده الأوثان،و ظاهر الآيه مثلا تجنب تقـديس الأصـنام، فـإنهم يـدركون أن العباده تختص بالله سـبحانه،و ليست لأحـد سواه،لأن حقيقه العباده هى العبوديه المطلقه،و أكثر من هـذا فهم يدركون أن الخوف و الرجاء لا يكون إلّا من الله و لله وحده،و يجب ألّا يستسلموا لأهواء النفس،و لا يجوز التوجه إلّا لله تعالى.

و عند ما يتلى عليهم حكم وجوب الصـلاه،و ظاهر الحكم إقامه هذه العباده الخاصه،لكن بحسب الباطن يدركون أن هذه الصلاه يجب أن تتحقق بقلوبهم و بكلّ وجودهم،و أكثر من هذا يجب عليهم أن ينسوا أنفسهم و يتفانوا فى عباده الله وحده،فهم لا شىء تجاه الخالق.

و كما هو واضـح أن المعنى الباطنى المسـتفاد من المثالين السابقين، لم يكن مـدلولا لفظيا للأمر أو النهى بـذاته بل-للـذى جعل مجال فكره متسعا-يرجّع النظر إلى العالم و الكون على النظر فى نفسه،و ما تنطوى عليه من أنانيه و حب للذات.

و مع هـذا البيان،يتبين معنى ظاهر القرآن و باطنه،و كـذلك يتضح أن باطن القرآن لا يلغى و لا يبطل ظاهره،بل إنه بمنزله الروح التى تمنح الجسم الحياه،و بما أن الإسـلام دين عام،شامل و أبدى،فهو يهتم أولا و قبل كل شـىء بإصـلاح المجتمع البشرى،و لا يتخلّى عن الأحكـام الظـاهريه و الـتى مؤدّاهـا إصـلاح المجتمع،و كـذا لا يتخلّى عن الاعتقـادات البسـيطه و الـتى تعتـبر حارسـه للأحكام المشار إليها.

فكيف يمكن لمجتمع أن ينال السعاده بالاقتناع أن الإنسان يكفيه

أن یکون منزها،و لیس هناک ثمه اعتبار للعمل،فیعیش فی حیاه محاطه بعدم التنظیم و الاستقرار؟

و کیف یمکن لفکر سقیم و أقوال سقیمه أن تخلق قلوبا طاهره زکیه،أو أن یظهر من قلب زکی،أقوالا سقیمه؟

و یقول تعالی فی کتابه العزیز: اَلطَّیِّبٰاتُ لِلطَّیِّبِینَ وَ الطَّیِّبُونَ لِلطَّیِّبٰاتِ (۱).

و یقول أیضا: وَ الْبَلَدُ الطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِی خَبُثَ لاٰ یَخْرُجُ إِلاّٰ نَکِداً... (۲).

و یستفاد مما ذکرنا أن للقرآن الکریم ظاهرا و باطنا،و باطنه أیضا ذو مراتب مختلفه،و أما الحدیث فهو المبین لمفاهیم القرآن الکریم.

تأویل القرآن

و مما کان مشهورا عند إخواننا أهل السنه فی صدر الإسلام، إمکان الرجوع عن ظاهر القرآن الکریم،إذا وجد دلیل،و أن تحمل الآیه علی خلاف الظاهر،هذا ما یسمّی ب«التأویل»فکلمه التأویل فی القرآن الکریم،کانت تفسّر بهذا المعنی.

و مما یشاهد فی کتب أهل السنه،أن المناظرات الدینیه المختلفه،کانت تؤیّد بإجماع علماء المذاهب،أو بدلیل آخر،فإذا ما خالفت-أدلتهم-ظاهر آیه من آیات القرآنیه،کانوا یلجئون إلی

۱- ۱) سوره النور،۲۶.

۲- ۲) سوره الأعراف الآیه ۵۸.

تأویـل الآـیه،حملاـ لخلاـف ظاهرها،و أحیانا کان یلجأ کل من الطرفین المتخاصـمین،إلی الآیات القرآنیه،و الاحتجاج بها،و کل منها کان یؤوّل آیه الطرف المتخاصم.

و قلما تسرّب هذا النوع من الاحتجاج إلی الشیعه،و قد ذکر فی بعض کتبهم فی علم الکلام...و مما یستفاد من الآیات القرآنیه و أحـادیث أهل البیت بعـد تـدبّرها أن القرآن الکریم مع صـراحته و وضوح بیانه،لا یریـد أن تکون الآیات مبهمه و تبقی لغزا دون حل، و کل ما جاء إلی الناس من أحکام و مسائل،فهی بألفاظ تناسب ذلک الموضوع.

و مـا یـذکره القرآن بکلمه«تأویـل»لم یکن مـدلولا للفـظ بـل حقـائق و واقعیـات أعلی شأنـا من فهم عـامه النـاس،و هی الأساس للمسائل الاعتقادیه و الأحکام العلمیه للقرآن.

نعم أن لکـل آیـات القرآن تأویلاـو لاـ یـدرک تـأویله عن طریق التفکّر مباشـره،و لا یتّضـح ذلک من ألفاظه،و ینحصـر فهمه و إدراکه بالأنبیاء و الصالحین من عباد الله،الذین نزّهوا أنفسهم من کل رجس،فإنهم یستطیعون إدراکه عن طریق المشاهده،نعم إن تأویل القرآن سوف ینکشف یوم تقوم الساعه.

نحن نعلم جیدا أن تلبیه حاجات المجتمع المادی،دفعت الإنسان إلی الکلام،و وضع الکلمات و کذا کیفیه الاستفاده من الألفاظ.

فالإنسان مضطر فی حیاته الاجتماعیه لکی یفصح عما فی ضمیره من مفاهیم إلی أبناء نوعه،أن یستمدّ العون عن طریق الصوت و الأذن،و قلما استفاد من الإشاره أو حرکه العین،و من هنا نجد أنّ

التفاهم لا يحصل بين أفراد صمّ و عمى،لأن ما يقوله الأعمى لا يسمعه الأصم،و ما يقوم به الأصمّ من الإشارات لا يراها الأعمى.

فعلى هذا فإن وضع الكلمات،و تسميه الأشياء ما هو إلّا لرفع الاحتياجات الماديه،و قد اصطنعت الكلمات للأشياء و الأوضاع و الأحوال الماديه التى تقع فى متناول الحسّ،أو على مقربه من المحسوس.

و كما نشاهد ففى بعض الموارد،التى يكون فيها المخاطب فاقدا لإحدى الحواسّ،و أردنا التكلّم معه عن طريق ذلك الحسّ المفقود، نلجأ إلى نوع من التمثيل و التشبيه،إذا أردنا أن نصف لشخص أعمى منذ الولاده،النور و الضياء،أو أن نصف لطفل لم يبلغ سن البلوغ،لذه العمل الجنسى،فإننا نقوم بنوع من المقارنه و التشبيه المناسب.

و عليه إذا افترضنا أن هناك فى الكون واقعيات ليست بماده (و واقع الأمر هكذا)،فهناك من البشر-لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد-فى كل عصر،من لهم القدره على إدراكها و مشاهدتها،و هذه الأمور لا يمكن توضيحها للآخرين عن طريق البيان اللفظى و الفكر الاعتيادى،و لا يسعنا الإشاره إليه إلا بالتمثيل و التشبيه.

فالله تعالى يقول فى كتابه العزيز إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (۱)أى لا يتوصل إليه الفهم الاعتيادى،و لا يبلغه.

۱- ۱) سوره الزخرف الآيه ۳-۴.

و يقول أيضا: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (۱).

و يقول أيضا فى شأن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السّلام: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۲).

وفقا لـدلالات هـذه الآيات،فإن القرآن الكريم يصدر من ناحيه تعجز أفهام الناس عن الوصول إليها،و التوغّل فيها،فلا يدركها إلاّ من كان من المخلصـين و عباده المقربين،و أوليائه الصالحين، و أهل بيت النبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلم خير مصداق لذلك.

و يقول عزّ من قائـل: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ (۳).أى ترى الأشياء بالعيان يوم القيامه.

و يقول أيضـا فى آيه أخرى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ (۴).

تتمه البحث عن الحديث

إن اعتبار أصاله الحديث،و الذى يؤيده القرآن الكريم،تقرّه

۱- ۱) سوره الواقعه الآيه ۷۷-۷۹.

۲- ۲) سوره الأحزاب الآيه ۳۳.

۳- ۳) سوره يونس الآيه ۳۹.

۴- ۴) سوره الأعراف الآيه ۵۳.

الشیعه و سائر المذاهب الإسلامیه،و لکن أثر التفریط فی حفظه و الذی حصل من قبل الولاه و الحکام فی صدر الإسلام و أثر الإفراط الذی حدث من الصحابه و التابعین فی نشر الأحادیث، کانت عاقبه الحدیث مؤسفه مؤلمه.

فمن جهه منع خلفاء ذلک الزمان من کتابه الحدیث و تدوینه، فکانوا یحرقون الأوراق التی دونت علیها الأحادیث،ما وسعهم ذلک،و أحیانا کانوا یمنعون من نقل الأحادیث،فأدی هذا إلی أن الکثیر من الأحادیث أصابها التغییر و التحریف و النسیان و نقلت الأحادیث بمضامینها.

و من جهه أخری،قام صحابه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم الذین حضروا مجلسه،و استمعوا إلی حدیثه،و کانوا مورد احترام هؤلاء الخلفاء و عامه المسلمین،بنشر الأحادیث حتی آل الأمر إلی أن یصبح الحدیث ذا أهمیه أکثر من القرآن،و أحیانا کان الحدیث ینسخ الآیه (۱).

و کان یتفق أن نقله الأحادیث،کانوا یتحمّلون مصاعب الطریق و السفر لاستماع حدیث واحد.

و قد تزیّا البعض من غیر المسلمین بزیّ الإسلام،و تلبّس به، و بدءوا بوضع الأحادیث و تغییرها،فأسقطوا الحدیث من الاعتبار، و من الوثوق به (۲).

۱- ۱) موضوع نسخ القرآن بالحدیث أحد مواضیع علم الأصول،و یؤیده جمع من علماء أهل السنه،و یتضح من قضیه(فدک)أن الخلیفه الأول یؤید ذلک أیضا.

۲- ۲) ما یؤید هذا القول مصنفات کثیره وضعها العلماء فی الأحادیث الموضوعه،و کذا فی کتب الرجال اشتهر جماعه من الرواه بأنهم کذابون وضاعون.

و لهذا السبب فكّر علماء الإسلام و مفكروه بوضع حلّ لهذه المعضله،فوضعوا علمين:علم الرجال و علم الدرايه،ليميّزوا الحديث الصحيح من السقيم.

و الشيعه فضلا عن أنهم يسعون لتنقيح سند الحديث،يرون وجوب مطابقه الحديث للقرآن الكريم فى صحه اعتباره.

و قد ورد فى أخبار كثيره (۱)و بأسانيد قطعيه عن طريق الشيعه عن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و أئمه أهل البيت عليهم السّلام،إن الحديث الذى يخالف القرآن لا اعتبار له،و الحديث المعتبر هو ما وافق القرآن.

لذا،لا يعمل الشيعه بالأحاديث التى تخالف القرآن،أما الأخبار التى (۲)لا يعلم مدى مخالفتها أو موافقتها،فإنها توضع جانبا،دون ردّ أو قبول،و يعتبر مسكوتا عنه،و يستدل على هذا الأمر بأحاديث أخرى لأئمه أهل البيت عليهم السّلام،و لا يخفى أن هناك فئه من الشيعه،مثل ما هو موجود عند أهل السنه،يعملون بأىّ حديث يقع فى متناول أيديهم.

الشيعه و العمل بالحديث

الأحاديث التى سمعت من النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم أو أئمه أهل البيت عليهم السّلام دون واسطه،حكمها حكم القرآن الكريم،أما الأحاديث التى وصلت إلينا بواسطه،فإن الشيعه تعمل بها كالآتى:

فيما يتعلق بالمسائل الاعتقاديه،و الذى يصرّح به القرآن،

۱- ۱) البحار ج ۱:۱۳۹.

۲- ۲) البحار ج ۱:۱۷۱.

یستلزم العلم و القطع بالخبر المتواتر،أو الخبر الذی تتوفر فی صحته الشواهد القطعیه،فإنه یعمل به،وعدا هذین النوعین و الذی یسمی الخبر الواحد،فلا اعتبار له.

و لکن فی استنباط (۱)الأحکام الشرعیه،نظرا للأدله القائمه، فضلا عن الخبر المتواتر و الخبر القطعی،فإنه یعمل أیضا بالخبر الواحد الذی یکون موثّقا.

إذن فالخبر المتواتر و الخبر القطعی مطلقا عند الشیعه،یکون حجه و لازم الاتّباع،أما الخبر غیر القطعی کالخبر الواحد فإنه حجه بشرط أن یکون موثّقا فی نوعه،و ینحصر ذلک فی الأحکام الشرعیه.

التعلّم و التعلیم العام فی الإسلام

إن تحصیل العلم من الوظائف الدینیه فی الإسلام،و خیر دلیل علی ذلک،قول النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم:«طلب العلم فریضه علی کل مسلم و مسلمه»و وفقا للأخبار التی تؤیّد بالشواهد القطعیه، یکون المراد من العلم،هو معرفه أصول الدین الثلاثه:«التوحید، النبوّه-المعاد»مع ما یلازمها،من معرفه الأحکام و القوانین الإسلامیه بصوره مفصله،کل حسب احتیاجه.

و من الواضح أن تحصیل العلم فی أصول الدین،و إن کان مع دلیل مجمل،فهو میسور للجمیع،و لکن تحصیل العلم مع تفاصیل

۱- ۱) مبحث حجیه الخبر الواحد فی علم الأصول.

الأحكام و القوانين الدينيه،لا يتحقق إلّا بالاستنباط الفقهى من المصادر الأصليّه،و هى الكتاب و السنه(الفقه الاستدلالى)و هذا ما لا يتيسر للجميع.

و الإسلام لا يشرّع حكما فيه حرج،لذا فإن تحصيل العلم بالأحكام و الشرائع الدينيه عن طريق الدليل يعتبر واجبا كفائيا، يختص بالبعض الذى له الكفاءه و القدره،أمّا عامه الناس،فيجب عليهم الرجوع إلى هؤلاء البعض.وفقا للقاعده العامه،و هى وجوب رجوع الجاهل إلى العالم،(قاعده الرجوع إلى أهل الخبره)،و هو مراجعه من يسمّون ب«المجتهدين الفقهاء»و يطلق على هذه المراجعه كلمه(التقليد)و لكن هذا الرجوع و التقليد ليس فى أصول الدين (۱).

و مما تجدر الإشاره إليه،أن الشيعه،لا تجيز التقليد الابتدائى من المجتهد الميّت،و الشخص الذى لا يعلم مسأله ما عن طريق الاجتهاد،فإنه وفقا لوظيفته الدينيه يجب أن يقلّد المجتهد،و لا يستطيع الرجوع إلى فتوى المجتهد المتوفى،ما لم يكن قد قلّد فى هذه المسأله مجتهدا حيّا،و بعد وفاه المرجع و المقلّد بقى على تقليده، و هذه المسأله هى إحدى العوامل المهمه التى تجعل الفقه الإسلامى الشيعى يمتاز بالحيويه،لهذا السبب يسعى جماعه للحصول على درجه الاجتهاد،و التحقيق فى المسائل الفقهيّه.

و لكن إخواننا أهل السنه إثر الإجماع الذى حصل فى القرن

۱- ۱) يراجع فى هذا الموضوع مبحث الاجتهاد و التقليد من علم الأصول.

الخامس الهجرى،الداعى بلزوم اتّباع مذهب من الفقهاء الأربعه و هم:أبو حنيفه و المالكى و الشافعى و أحمد بن حنبل،فهم لا يجيزون الاجتهاد الحرّ،و كذا التقليد من غير هؤلاء الأربعه،و فى النتيجه بقى فقههم كما كان عليه قبل حوالى ألف و مائتى سنه، و أخيرا انعزل جماعه من المنفردين عن الإجماع المذكور،و اتجهوا نحو الاجتهاد الحرّ.

الشيعه و العلوم النقليه

العلوم الإسلاميه التى دوّنها علماء الإسلام،تنقسم إلى قسمين:عقليه و نقليه،فالعلوم النقليه،هى التى يعتمد عليها فى النقل،مثل اللغه و الحديث و التأريخ و ما شابهها،و العلوم العقليه مثل الفلسفه و الرياضيات.

و لا شك أن الدافع الأصلى لظهور العلوم النقليه فى الإسلام، هو القرآن الكريم،عدا علمى التأريخ و الأنساب و علم العروض.

أما سائر العلوم فهى وليده هذا الكتاب الإلهى.

دوّن المسلمون هذه العلوم بتتبعهم الدينى،و أهم ما فيها هو، الأدب العربى و علم النحو و الصرف،و علم البلاغه،و علم اللغه، و ما يتعلق بالظواهر الدينيه،مثل علم فن القراءه و التفسير و الحديث و الرجال و الدرايه و الأصول و الفقه.

و الشيعه لهم دورهم و مشاركتهم المهمه فى تأسيس و تنقيح هذه العلوم،و يمكن القول بأن المؤسس و المبتكر لكثير منها،هم الشيعه.كما نجد ذلك فى علم النحو،فقد صنفه«أبو الأسود

الدؤلی»و هو أحد صحابه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و علی علیه السّلام بعد أن أملاه علیه الإمام علی علیه السّلام.و یعتبر الصاحب بن عباد الشیعی من کبار مؤسسی (۱)علم الفصاحه و البلاغه،و کان من وزراء آل بویه.و أوّل کتاب صنف فی علم اللغه هو«کتاب العین» (۲)،لمؤلفه العالم المعروف«الخلیل بن أحمد البصری الشیعی»،و هو واضع علم العروض،و أستاذ«سیبویه النحوی»فی علم النحو.

و تنتهی قراءه«عاصم»للقرآن إلی علیّ علیه السّلام بواسطه،و أما عبد الله بن عباس و الذی یعتبر من أفضل الصحابه فی التفسیر،فهو تلمیذ الإمام علیّ علیه السّلام،و لا ینکر أحد ما بذله أهل البیت علیهم السّلام و شیعتهم من جهد فی علم الحدیث و الفقه،کما أن اتصال الفقهاء الأربعه و غیرهم بالإمام الخامس و السادس(الباقر و الصادق علیهما السلام)للشیعه فمعروف،و ما حصل علیه الشیعه من تقدم فی أصول الفقه فی زمن«الوحید البهبهانی»(المتوفی سنه ۱۲۰۵ ه-ق)و بالأخص علی ید«الشیخ مرتضی الأنصاری»، (المتوفی سنه ۱۲۸۱ ه-ق.)یثیر الإعجاب.و لا یقارن بأصول الفقه لدی إخواننا أهل السنه.

۱- ۱) الوفیات لابن خلکان ص ۷۸-أعیان الشیعه ج ۱۱:۲۳۱.

۲- ۲) الوفیات ص ۱۹۰-و أعیان الشیعه و سائر الکتب و التراجم.

الطريق الثانی:

اشاره

المباحث العقليه

التفكر العقلی و الفلسفی و الكلامی

قد أشرنا سابقا (۱)،أن القرآن الكريم يؤيد التفكر العقلی، و يعتبره جزء من التفكّر الدينی.و التفكّر العقلی بعد أن يصادق علی صدق نبوّه النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلم،يجعل الظواهر القرآنيه بما فيها الوحی السماوی،و أقوال النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم و أهل البيت عليهم السّلام من موارد الحجج العقليه.و الحجج العقليه التی يثبت بها الإنسان نظرياته،مع ما لديه من فطره إلهيّه تنقسم إلی قسمين:البرهان و الجدل.

و البرهان: حجه،و مقدماته واقعيه،و إن لم تكن مشهوده أو مسلّمه،و بعباره أخری،هی أمور يدركها الإنسان بداهه مع ما عنده من فطره إلهيه،و يصادق عليها،كما نعلم أن عدد الثلاثه أصغر من عدد الأربعه،فهذا النوع من التفكّر،يدعی التفكّر العقلی،و إذا تحقق هذا التفكر و حصل فی كليات العالم و الكون، كالتفكر فی بدء الخلقه،و عاقبه العالم،فهو ما يسمی بالتفكر الفلسفی.

و الجدل: حجه،إذا حصلت مقدماته من المشهودات و المسلّمات،

۱- ۱) الفصل الأول من الكتاب.

كما هو متعارف بين معتنقى الأديان و المذاهب،فهم يثبتون آراء و نظريات مذهب ما مع الأصول المسلّمه لذلك المذهب.

و القرآن الكريم يستفيد من الطريقتين،و هناك آيات كثيره فى هذا الكتاب السماوى لكل من هاتين الطريقتين.

فهو أولا: يأمر بالتدبّر و التفكّر المطلق فى كليات عالم الطبيعه و فى النظام العام للعالم،و كذا فى النظام الخاص مثل،نظام السماء و النجوم و الليل و النهار و الأرض و النبات و الحيوان و الإنسان و غيرها،و يثنى على التتبعات العقليه الحرّه ثناء كثيرا.

و ثانيا: يأمر بالتفكر العقلى الجدلى،و يسمّى عاده بالمباحث الكلاميه،بشرط أن يتم ذلك بأحسن وجه ممكن«و ذلك لإظهار الحق بدون لجاجه و أن يكون مقرونا بالأخلاق الحسنه».كما فى قوله تعالى: اُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ (۱).

مدى تقدم الشيعه فى التفكر الفلسفى و الكلامى فى الإسلام

منذ اليوم الذى انفصلت فيه الأقليه الشيعيه عن الأكثريه السنيه،كانت الشيعه تقيم الاحتجاجات مع مخالفيها،فى النظريات و الخاصه بها التى كانت تتبناها.

صحيح أن الاحتجاج ذو طرفين،و أن المتخاصمين شريكان فى دعواهم،و لكن الشيعه كانت تقف موقف الهجوم،و الآخرون كانوا

۱- ۱) سوره النحل الآيه ۱۲۵.

فی موقف الدفاع،فالذی یقف موقف الهجوم یجب أن یکون قد هیّأ الوسائل الکافیه للمخاصمه،و من ثم الحمله و الهجوم.

و کذا فی التقدم الذی حظیت به المباحث الکلامیه بصوره تدریجیه،فی القرن الثانی و أوائل القرن الثالث،فقد وصل فی رقّیه إلی القمه مع انتشار مذهب الاعتزال،فعلماء الشیعه و محققوهم،و الذین هم تلامیذ مدرسه أهل البیت علیهم السّلام،کانوا فی مقدمه المتکلمین.

فضلا عن أن متکلمی أهل السنه (۱)،من الأشاعره و المعتزله و غیرهم،یصلون فی تدرجهم هذا إلی الإمام الأول للشیعه،و هو الإمام علی علیه السّلام،و أما أولئک الذین عرفوا آثار الصحابه،و اطّلعوا علیها،یعلمون جیدا أن من بین جمیع هذه الآثار التی تنسب إلی الصحابه(و قد دوّنت أسماء اثنی عشر ألفا)لم نجد أثرا واحدا یشتمل علی التفکر الفلسفی.بل ینفرد الإمام علی علیه السّلام بخطابه و بیانه المبهر فی معرفه الله تعالی،بأنه یتّصف بالتفکیرات الفلسفیه الشدیده العمق.

لم تکن للصحابه و لا التابعین الذین جاءوا بعدهم،أو العرب بصوره عامه فی تلک الأیام أیّه معرفه بالتفکر الفلسفی الحرّ، و لم نجد فی أقوال العلماء فی القرنین الأولین للهجره،نماذج من التدقیق و التتبع،بینما نجد الأقوال الرصینه لأئمه الشیعه علیهم السّلام،و خاصه الإمام الأول(الإمام علی علیه السّلام)و الثامن

۱- ۱) شرح ابن أبی الحدید،أوائل المجلد الأول.

(الإمام على الرضا عليه السّلام)،تحتوى على كنوز من الأفكار الفلسفيه، و هم بدورهم ربوا تلاميذهم على هذا اللون من التفكير.

نعم كان العرب بعيدين عن التفكّر الفلسفى،حتى ظهرت نماذج من هذا التفكير عبر ترجمه بعض الكتب الفلسفيه اليونانيه،إلى اللغه العربيه فى أوائل القرن الثانى للهجره،و بعدها ترجمت كتب متعدده من اليونانيه و السريانيه و غيرها إلى اللغه العربيه،و حينها أصبحت طريقه التفكر الفلسفى فى متناول أيدى العموم،و مع هذا،فإن الكثير من الفقهاء و المتكلمين،لم يبدوا اهتماما بالفلسفه و سائر العلوم العقليه،التى وردت إليهم حديثا، رغم الاهتمام الخاص الذى كانت تبديه السلطه الحاكمه آنذاك لمثل هذه العلوم.

و لكن بعد فتره من الزمن تغيّرت الأوضاع و الأحوال،فمنعت دراسه هذه العلوم،و ألقيت بعض الكتب الفلسفيه فى البحر،و ما كتاب رسائل«إخوان الصفا»و هو نتاج فكرى لعدد من المؤلفين،إلّا مذكّر بتلك الفتره،فهو خير دليل على الأوضاع المضطربه فى ذلك الزمن. و بعد هذه الفتره،أى فى أوائل القرن الرابع الهجرى، ظهرت الفلسفه و نمت،على يد«أبى نصر الفارابى».و فى أوائل القرن الخامس للهجره،و أثر مساعى الفيلسوف المشهور«أبى على سينا»اتّسعت الفلسفه اتساعا بالغا،و فى القرن السادس أيضا،نقّح الشيخ«السهروردى»فلسفه الإشراق،و قد قتل بهذه التهمه،و بأمر من الحاكم«صلاح الدين الأيوبى»،و بعدها ضعفت الفلسفه عند الكثيرين،و لم ينبغ فيلسوف شهير،حتى جاء القرن

السابع الهجرى،فظهر فى«الأندلس»«ابن رشد الأندلسى»و سعى فى تنقيح الفلسفه.

الشيعه يسعون دائما بحقل الفلسفه و سائر العلوم العقليه

الشيعه-كما أشرنا-كانوا عاملا مؤثرا فى إيجاد الفكر الفلسفى،و هم يعتبرون عاملا مهما فى تقديم هذا الفكر،و كانوا يسعون دوما فى نشر العلوم العقليه،و مع وفاه«ابن رشد»ذهبت الفلسفه من بين الأكثريه من أهل السنه،و لكنها لم تذهب من بين الشيعه،فبعدها اشتهر فلاسفه كبار مثل«خواجه نصير الدين الطوسى»و«ميرداماد»و«صدر المتألهين»و سعى كل من هؤلاء، الواحد بعد الآخر فى تحصيل العلوم الفلسفيه و تدوينها.

و كذلك فى سائر العلوم العقليه ظهر كل من«الخواجه الطوسى»و«البيرجندى»و غيرهم.كل هذه العلوم و خاصه الفلسفه الإلهيه،تقدمت تقدما باهرا اثر المساعى الدءوبه لعلماء الشيعه و مفكريهم،و يتّضح ذلك،بمقارنه آثار كل من«الخواجه الطوسى»و«شمس الدين تركه»و«الميرداماد»و«صدر المتألهين» مع مؤلفات القدماء.

لما ذا استقرت الفلسفه عند الشيعه؟

فكما أن العامل المؤثر فى وجود و نشأه الفكر الفلسفى و العقلى بين الشيعه هو آثار أئمه الشيعه و علمائهم،فإن بقاء و استقرار هذا اللون من الفكر،يرجع إلى وجود تلك الذخائر العلميه،التى

يهتم بها الشيعه و يبدون لها احتراما و تقديسا،و لكى يتضح الأمر، يكفينا مقارنه الذخائر العلميه لأهل البيت عليهم السّلام مع الكتب الفلسفيه التى صنّفت مع مرور الزمن،فإننا سنرى بوضوح،أن الفلسفه كانت تقترب من هذه الكنوز العلميه فى أكثر الموارد، و حتى بدايه القرن الحادى عشر،فإنها كانت متقاربه جدا،بل منطبقه،و لم يكن هناك من فارق سوى الاختلاف فى المصطلحات.

خمسه من نوابغ علماء الشيعه

١-ثقه الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى،المتوفى سنه ٣٢٩ للهجره.

هو أول عالم شيعى،استخرج و رتّب الموضوعات الفقهيه و الاعتقاديه من الروايات الشيعيه التى كانت مدونه فى الأصول، (الأصل هو ما جمعه المحدّث من روايات أهل البيت عليهم السّلام فى مصنّف خاص)فسمى كتابه ب«الكافى»و ينقسم إلى أقسام ثلاثه:

الأصول و الفروع و الروضه(المتفرقات)،و يشتمل على ١۶١٩٩ حديثا،و يعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب الحديث التى عرفت فى عالم التشيّع،و هناك ثلاثه كتب،تأتى بعد«الكافى»من حيث الأهميه و هى:

كتاب«من لا يحضره الفقيه»للشيخ«الصدوق محمد بن بابويه القمى»المتوفى سنه ٣٨١ للهجره.و كتاب«التهذيب»و كتاب «الاستبصار»لمؤلفهما«الشيخ الطوسى»المتوفى سنه ۴۶٠ للهجره.

۲-أبو القاسم جعفر بن حسن بن يحيى الحلّى المعروف بالمحقق المتوفى سنه ۶۷۶ للهجره.

يعتبر من نوابغ علم الفقه،و من أشهر مشاهير فقهاء الشيعه، و يعتبر كتاب«المختصر النافع»و كتاب«الشرائع»من أروع ما حرّره فى الفقه،و منذ ۷۰۰ سنه و حتى الآن لا يزال مورد إعجاب و تقدير الفقهاء.

و من الكتب التى تأتى بعد الكافى هو كتاب«اللمعه الدمشقيه» لمؤلفه المحقق الشهيد الأول«شمس الدين محمد بن مكى»استشهد فى دمشق سنه ۷۸۶ للهجره،بتهمه التشيع،و قد دوّن كتابه هذا بمستوى رفيع،فى السجن،خلال سبعه أيام.

و يعتبر كتاب«كشف الغطاء»للشيخ«جعفر كاشف الغطاء النجفى»من أجود مؤلفات هذا العالم.

۳-الشيخ مرتضى الأنصارى التسترى المتوفى سنه ۱۲۸۱ للهجره.

نقّح علم أصول الفقه،و حرّر طرق الأصول العلميّه،و التى تعتبر من أهم أقسام هذا الفن،و لا تزال مدرسته قائمه،و موضع تقدير العلماء منذ ۱۰۰ عام.

۴-الخواجه نصير الدين الطوسى،المتوفى سنه ۶۷۶ للهجره.

و هو أول من أظهر علم الكلام،بصيغته الفنيه الكامله،و من أشهر مؤلفاته و أجودها كتاب«تجريد الاعتقاد»و لا يزال و منذ أكثر من ۷۰۰ سنه،معتبرا و ذا قيمه بين روّاد هذا الفن،و قد طبع الكتاب مع شروح و حواش عديده من قبل العامه و الخاصه.

و هو فضلا عن نبوغه فی علم الکلام،یعتبر من نوابغ عصره فی علم الفلسفه و الریاضیات أیضا،و خیر شاهد علی ذلک،هو الکثیر من مؤلفاته المهمه فی مختلف العلوم العقلیه،و قد قام بإنشاء مرصد فلکی أیضا.

۵-صدر الدین محمد الشیرازی،المولود سنه ۹۷۹،و المتوفی سنه ۱۰۵۰ للهجره.

هو أول فیلسوف قام بتصنیف و ترتیب المسائل الفلسفیه کالمسائل الریاضیه(بعد سیرها قرونا متمادیه فی العصر الإسلامی)بعد أن کانت مبعثره،فحصلت النتائج التالیه:

أولا: فسح المجال للفلسفه بأن تطرح و یحل فیها مئات من المسائل الفلسفیه،و التی لم یکن لها المجال لأن تطرح فی السابق.

ثانیا: أتیح المجال لعرض مجموعه من المسائل العرفانیه، (و التی کانت حتی ذلک الوقت تعتبر مواضیع خارجه عن نطاق العقل،و فوق مستوی الفکر الإنسانی)و ثم بحثها و تمحیصها بأیسر السبل.

ثالثا: اتضحت کثیر من الظواهر الدینیه،و العبارات الفلسفیه العمیقه لأئمه أهل البیت علیهم السّلام،و التی بقیت لقرون متتالیه تتصف باللغز الذی لا یحلّ،و کانت تعتبر من المتشابهات غالبا، و بهذا اتصلت الظواهر الدینیه بالعرفان و الفلسفه فی أکثر الموارد، و سلکت سویا،طریقا واحدا.

و هناک من قام بهذه المهمه قبل«صدر المتألهین»أیضا،مثل الشیخ«السهروردی»مؤلف کتاب«حکمه الإشراق»و هو من

فلاسفه القرن السادس،و«شمس الدين محمد تركه»من فلاسفه القرن السادس الهجرى،حيث قاما بدراسات مثمره،إلا أنهما لم يوفقا توفيقا كاملا،كالذى حظى به«صدر المتألهين».

و قد وفّق صدر المتألهين اثر اتخاذ هذه الطريقه إلى إثبات نظريه الحركه الجوهريه،و اكتشف البعد الرابع و النظريه النسبيّه (خارج عن نطاق الذهن و الفكر)،و صنّف ما يزيد عن خمسين كتابا و رساله.و من أهم كتبه فى الفلسفه،كتاب(الأسفار)فى تسعه مجلدات.

الطريق الثالث:

اشاره

الكشف

الإنسان و إدراكه للعرفان

فى الوقت الذى تسعى الأكثريه من الناس فى أمور معاشهم، و رفع احتياجاتهم اليوميه للحياه،غير مبالين بالمعنويات،فإن هناك غريزه فى وجودهم،تدعى غريزه حبّ الذات،نراها تنمو عندهم،تجبرهم على إدراك مجموعه من القضايا المعنويه.

كل إنسان(على الرغم من أن السوفسطائيين و الشكاكين يسمّون كل حقيقه و واقعيه خرافه)يؤمن بواقعيات ثابته،و نراه، ينظر بفطرته و ضميره المنزّه إلى هذه الواقعيات الثابته فى الكون،هذا من جهه،و من جهه أخرى،يشعر الإنسان بفناء أجزاء هذا العالم،فيرى العالم و ظواهره كالمرآه التى تعكس الواقعيات

الثابته الخلابه،و عند إحساس لذاتها،تصبح اللذائذ الأخرى حقيره فی نظره،و بالتالی تجعله ینصرف عن الحیاه الفاتنه الفانیه.

هـذا هو مـدی جاذبیه العرفان،التی تسـلک بالمؤمن إلی العالم العلوی،و تقرّ فی قلبه عظمه الله و جلاله،فینسـی کل شـیء،و یغفل عن کل شیء،فتحرضه هذه الجاذبیه علی أن ینبذ کل ما یتمناه و یرجوه فی هذه الحیاه،و تدعوه إلی عباده الله الذی لا یری،و هو أوضح من کل ما یری و یسمع.

و فی الحقیقه أن هذه الجاذبیه الباطنیه،هی التی قد أوجدت فی الإنسان،سـبل عباده الله تعالی.و العارف هو الذی یعبد الله سبحانه عن حبّ و إخلاـص،لاـ عن طلب للثـواب و لاـ عن خـوف و رهبه من العـذاب.من هنـا یتضـح أن العرفـان لیس مـذهبا فی قبـال المذاهب الأخری،بل أن العرفان طریق من طرق العباده (عباده الحب و الإخلاص،لا للخوف و الرجاء)و هو طریق لإدراک و فهم حقائق الدین،فی قبال طریق الظواهر الدینیه و طریق التفکر العقلی.

ظهور العرفان فی الإسلام

من بین صحابه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (و قد جاء ذکر ما یقارب من اثنی عشر ألفا منهم فی کتب الرجال)ینفرد الإمام علی علیه السّـلام ببیانه البلیغ عن حقائق العرفان،و مراحل الحیاه المعنویه،إذ یحتوی علی الذخائر الجمّه،ما لم نجد مثلیه فی الآثار التی بین

أیدینا عند بقیه الصحابه،و أشهر أصحاب الإمام علی علیه السّلام و تلامیذه«سلمان الفارسی»و«أویس القرنی»و«کمیل بن زیاد»و «رشید الهجری»و«میثم التمّار»و العرفاء عامه فی الإسلام یجعلون هؤلاء أئمه و هداه لهم.

و هناک طائفه أخری تأتی فی الدرجه الثانیه،و هم«طاوس الیمانی»و«مالک بن دینار»و«إبراهیم الأدهم»و«شقیق البلخی» الذین ظهروا فی القرن الثانی الهجری،و کانوا یعرفون بالزهاد و أولیاء الله الصالحین،دون أن یتظاهروا بالعرفان و التّصوف، و علی أیه حال،فإنهم لم ینکروا ارتباطهم و مدی تأثرهم بالطائفه الأولی.

و هناک طائفه ثالثه ظهرت فی أواخر القرن الثانی و أوائل القرن الثالث للهجره مثل«أبا یزید البسطامی»و«المعروف الکرخی»و«جنید البغدادی»و غیرهم،من الذین سلکوا طریق العرفان،و تظاهروا بالعرفان و التصوف،و لهم أقوال تدل علی مدی المکاشفه و المشاهده لدیهم،و لما کانت هذه الأقوال تتصف بظاهرها اللاذع،فإنها قد أثارت علیهم الفقهاء و المتکلمین فی ذلک العصر،و سببت المشاکل و الفتن فأدّت إلی أن یزجّ بعضهم فی السجون،و البعض الآخر یقدّم إلی أعواد المشانق.

و أمام هذا الوضع فقد أبدوا التعصب لطریقتهم مقابل المخالفین،و هکذا کانت طریقتهم تتسع و تنتشر یوما بعد یوم، و نجدها قد وصلت إلی ذروتها فی القدره و الانتشار،فی القرنین السابع و الثامن الهجریین،حیث کانت تتسم بالرفعه و العلوّ تاره،

و السقوط و الانحطاط تاره أخرى،و لا تزال تمارس حياتها حتى اليوم (۱).

و الظاهر أن أكثر مشايخ العرفان الذين جاء ذكرهم فى كتب العرفان،كانوا على مذهب أهل التسنن،و الطريقه التى نشاهدها اليوم(و التى تشتمل على مجموعه من عادات و تقاليد،لم نجد فى الكتاب و السنه أساسا لها)تذكّرنا بتلك الأيام،و إن كان البعض من تلك العادات و التقاليد انتقلت إلى الشيعه.

و كما يقال،إن هؤلاء كانوا يعتقدون أن الإسلام يعوزه منهج للسير و السلوك،و المسلمون استطاعوا أن يصلوا إلى طريقه معرفه النفس،و هى مقبوله لدى البارى عزّ و جلّ،مثل ما فى الرهبانيه عند المسيحيين،إذ لم يوجد أساس له فى الدعوه المسيحيه،فأوجدها النصارى و حبّذها جمع فانتهجها (۲).

و يستنتج مما ذكر،أن كلا من مشايخ الطريقه،جعل ما رآه صلاحا من عادات و تقاليد،فى منهج سيره و سلوكه.و أمر متبعيه بذلك،و بمرور الزمن أصبح منهاجا و سعيا مستقلا،مثل مراسم الخضوع و الخشوع،و تلقين الذكر و الخرقه و الاستفاده من الموسيقى و الغناء عند إقامه مراسم الذكر،حتى آل الأمر فى بعض الفرق منها أن تجعل الشريعه فى جانب،و الطريقه فى جانب آخر،و التحق متبعو هذه الطريقه بنهج الباطنيه.أما معايير النظريه الشيعيه،

۱- ۱) يراجع كتب التراجم و تذكره الأولياء و الطرائق و غيرها.

۲- ۲) قوله تعالى فى سوره الحديد الآيه ۲۷: «وَ رَهْبانِيَّهً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ....»

فاستنادا إلى المصادر الأساسيه للإسلام(الكتاب و السنه)تقرّ خلاف ذلك،و من المستحيل أن النصوص الدينيه قد تغافلت عن هذه الحقيقه أو أنها أهملت جانبا من جوانب هذا النهج و الطريق (معرفه النفس و السير و السلوك)،و يستحيل عليها أيضا أن تغض النظر عن شخص(أىّ كان)فى الواجبات أو المحرمات.

إرشاد الكتاب و السنه إلى معرفه النفس،و مناهجها

إن الله تعالى جلّ شأنه،يأمر الناس فى آيات متعدده فى كتابه المجيد،أن يتدبّروا القرآن،و يعملوا به،و لا يقنعوا لأنفسهم بالفهم و الإدراك السطحى للقرآن،و بيّن فى كثير من آياته أن فى عالم الطبيعه آيات و دلالات له جلّ جلاله.

فلو تأملنا و تدبرنا معنى الآيه و الدلاله،يتضح أن الآيه و الدلاله هى التى تشير إلى شىء آخر لا إلى نفسها،فعلى سبيل المثال،إن الذى يرى الضوء الأحمر،المشعر بالخطر.

فإنه مع مشاهدته للضوء،يتبادر إلى ذهنه الخطر ذاته،و لا يلتفت إلى الضوء نفسه،و إذا ما فكر فى الضوء نفسه،أو ماهيه الزجاج أو لونه،فذهنه يصوّر له الضوء أو الزجاج أو اللون،و لا يصور له مفهوم الخطر.

فإذا،كان العالم و ظواهره،آيات و دلالات لخالق العالم،فإن وجودهما ليس مستقلا،و لو شوهدت بأىّ شكل أو أيّه صوره، فإنما ترشد إلى وجوده سبحانه.

و الذى ينظر إلى العالم بهذا المنظار،و وفقا لتعاليم القرآن

الكريم و هدايته،لا يرى إلّا الله سبحانه،و بدلا من أن يرى جمال العالم،فإنه يرى جمالا أزليا غير متناه،و هذا العالم تجلّ لهذا الجمال الأزلى عندئذ يهب حياته،و ينسى ذاته،و يفنى فى حبّ الله جلّ شأنه.

و هذا الإدراك-كما يتّضح-لا يحصل عن طريق الحواس، كالعين و الأذن،و لا عن طريق الخيال و العقل،لأن هذه لم تكن سوى آيات و دلالات،فهى فى غفله عن هذه الدلاله و الهدايه.

و هذا الطريق،الذى لا بدّ لسالكه أن ينسى كل شىء سوى الله تعالى،عند ما يستمع إلى قوله فى كتابه المجيد: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱).

سيعلم أن الطريق الرئيسى الذى ينتهى به إلى الهدايه الواقعيه و الكامله،هو طريق النفس الإنسانيه،و المرشد الحقيقى له،هو الله تعالى،فقد كلّفه بمعرفه نفسه،و أن يسير فى هذا السبيل، بتركه للسبل الأخرى ليرى الله من هذه الطريق،فإنه سيدرك مطلوبه الحقيقى.

و النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول:«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

و يقول أيضا:«اعرفكم بنفسه،أعرفكم بربه».

و أما طريقه السير و السلوك،و هى طريقه الكثير من الآيات القرآنيه التى تأمر بذكر الله تعالى،كقوله: فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ (۲)

۱- ۱) سوره المائده الآيه ۱۰۵.

۲- ۲) سوره البقره الآيه ۱۵۲.

و غیرها من الآیات فی الکتاب،و الأقوال فی السنه،فقد جاءت مفصّله،و یختتمها بقوله: لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (۱).

فهل یمکن أن یتصوّر،أن الإسلام،یعرّف لنا الطریق إلی الله تعالی،و لا یحثّ الناس علی تتبعه،أو یعرّفه و یغفل عن تبیان نهجه،فی حین نجده یقول عزّ من قائل: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ (۲).

۱- ۱) سوره الأحزاب الآیه ۲۱.

۲- ۲) سوره النحل الآیه ۸۹.

الفصل الثالث:

اشاره

المعتقدات الإسلاميه من وجهه نظر الشيعه الإماميه

ص :۱۰۹

معرفه الله

ضروره وجود الله تعالى

النظر إلى الكون عن طريق المخلوقات و الواقعيات.

إن أول خطوه يخطوها الإدراك و الشعور لدى الإنسان-و اللذان وجدا منذ وجوده-تبين له حقيقه وجود الخالق و المخلوق،باستثناء أولئك الذين يشكّون فى وجودهم و فى كل شىء،و يعتبرون العالم ظنا و خيالا،إن الإنسان منذ وجوده يلازمه الإدراك و الشعور،يرى نفسه و العالم أجمع،فلا يشك بوجوده و لا يشك بأشياء أخرى غيره و هذا الإدراك و الشعور يمكن فيه،و ليس هناك مجال للشك و التردد.

هذه الواقعيه و الوجود الذى يثبته الإنسان أمام السوفسطائيين و المشككين،أمر ثابت لا يعتريه البطلان،و فى الحقيقه أن كلام السوفسطائيين و المشككين الذى ينفى الواقعيه القائمه بحدّ ذاتها، هو كلام باطل،لا يحمل على الصحه اطلاقا،بل إن العالم و الكون ينطوى على واقعيه ثابته.

و لكن كل هذه الظواهر التى تنطوى على واقعيه،و التى نشاهدها عيانا،تفقد واقعيتها و تصير إلى الفناء،خلال أدوار حياتها.

و من هنا يتّضح أن العالم المشهود و أجزاءه،لم تكن عين الواقعيه(و التى لا يمكن إنكارها)،بل تعتمد و تستند إلى واقعيه

ثابته،و بتلک الواقعیه،تتصف بالواقعیه،و تتصف بالوجود،و ما دامت مرتبطه و متصله بها،فهی موجوده و باقیه،و ما إن تنقطع عنها حتی تزول و تفنی (۱)،و نحن نسمّی هذه الواقعیه الثابته التی لا یعتریها البطلان ب(واجب الوجود)أو الله سبحانه.

.نظره أخری عن طریق ارتباط الإنسان بالعالم.

إن الأسلوب الذی اتبع فی الفصل السابق،لإثبات وجود الله تعالی أسلوب بسیط،یستطیع الإنسان أن ینتهج هذا الأسلوب بفطرته التی أودعه الله إیاها،و لیس هناک أیّ رادع أو مانع یمنعه من ذلک،و لکن معظم الناس،نتیجه ارتباطهم المستمر بالمادیات، و تفانیهم فی اللذائذ المحسوسه،یصعب علیهم الرجوع إلی الفطره،و هی الفطره الإلهیه البیّنه.

فعلی هذا یعلن الإسلام أن شریعته عامه،و الکل سواسیه أمام الدین و مقاصده،فهو یثبت وجود الله تعالی لهؤلاء الناس من طریق و أسلوب آخر،و هو الفطره الواضحه،و التی غفل عنها البشر،فیخاطب البشر بها،و یعرّف الله جلّ شأنه عن طریقها.

فالقرآن الکریم،یتخذ طرقا لإیصال البشر کافه إلی معرفه الله،فهو یلفت الأنظار،و یوجه الأفکار غالبا إلی خلقه العالم، و النظام و التنسیق القائم فیه،و یدعو إلی ملاحظه و دراسه الآفاق و الأنفس،ذلک لأن الإنسان فی حیاته المحدوده،لا یتخلف و لا

---

۱ - ۱) و فی کتابه العزیز إشاره إلی هذا البرهان بقوله تعالی «قٰالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» سوره إبراهیم الآیه ۱۰.

يخرج عن الطبيعه و النظام الحاكم فيها مهما سلك من سبل،و لن يغض النظر-بما أوتى من شعور و إدراك-عن المشاهد الخلابه، سواء فى الأرض أو فى السماء.

إن عالم الوجود (۱)بما يتصف من سعه فإن كل جزء منه،بل و جميع أجزائه معرّضه للتغيير و التبديل المستمرين،و تظهر فى كل لحظه بشكل جديد غير سابقتها

و وفقا للقوانين التى لا تقبل الاستثناء،فإن هذا العالم بأسره، ينطوى على نظام واضح بيّن،يجرى وفقا لقوانين مدهشه و محيّره للعقول،تسيّر عمله من أدنى حاله إلى أكملها،كى توصله إلى الهدف الاسمى و هو الكمال.

و فوق الأنظمه الخاصه،توجد أنظمه أعمّ،و هى النظام العام للكون،الذى يربط أجزاءه العديده التى لا تحصى بعضها ببعض، و يوفق بين الأنظمه الجزئيه،و يربط بعضها بالبعض الآخر،فهى فى سيرها المستمر لن تتصف بالاستثناء أو الاختلال.

فنظام الخلقه مثلا عند ما أوجد الإنسان على سطح الأرض، فقد جعل خلقته تتناسب مع المحيط الذى يعيش فيه،و جعل المحيط بشكل يتناسب و ذلك المخلوق،كالمربّيه العطوف التى تربى النشأ بكل عطف و حنان،فالعالم بما فيه من شمس و قمر و نجوم و ماء و تراب و ليل و نهار،و الفصول السنويّه،و السحب و الرياح

---

۱ - ۱) يقول جلّ ثناؤه إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ* وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ* وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ،وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ سوره الجاثيه الآيه(۳-۶).

و الأمطار،و الكنوز التى تحت الأرض و فوقها،و بالتالى كل ما تملك من قوه،سخّرت لراحه الإنسان و سعادته،و إننا نلاحظ هذا الارتباط و التعاون فى كل مظهر من مظاهر الطبيعه،و فى كل ما يجاورنا من قريب أو بعيد،و حتى فى البيت الذى نعيش فيه.

و مثل هذا الاتصال و الارتباط قائم فى جميع أجزاء الأجهزه الداخليه لكل مظهر من مظاهر هذا العالم،فالطبيعه لمّا منحت الإنسان الخبز مثلا،منحته الرجلين للسعى إليه،و اليدين لتناوله، و الفم لأكله،و الأسنان لمضغه،و ربطته بسلسله من الوسائل المرتبطه بعضها بالبعض الآخر كالسلاسل،و التى ترتبط بالهدف الغائى و هو البقاء و الكمال لهذا المخلوق.

و لم يشك أحد من علماء العالم أن الارتباطات اللامتناهيه، و التى توصلوا إليها اثر الدراسات العلميه لآلاف السنين،ما هى إلا طليعه و بدايه مختصره لأسرار الخلقه،و كل كشف جديد، بمثابه إنذار للبشريه عن مجهولات لا حصر لها.

و هل يمكن القول بأن هذا الكون الرحب،مع استقلال أجزائه، يمتاز بوحده و اتصال و مع ما فيه من اتقان مدهش،لا يدلّ على علم و قدره غير متناهيه.و هل يمكن القول بأنه وجد دون خالق، و لم يكن هناك سبب أو هدف من إيجاده؟

و هل يمكن التصديق بأن كل هذه الأنظمه سواء الجزئيه منها أو الكليه،و كذا النظام العام القائم فى الكون،مع ما يتصف به من ارتباط محكم غير متناه.

و الذى يسير وفق نظام دقيق خاص،لا يقبل التغيير

و الاستثناء،كل هذا قد جاء دون حساب،و إنما مجرد المصادفه هى التى لعبت دورها فى خلقه و إيجاده؟أم أنّ كلا من هذه الظواهر سواء الصغيره منها أو الكبيره فى العالم،قد اتخذت لها نهجا قبل حدوثها و خلقتها،و بعد أن وجدت سلكت ذلك السبيل و النهج؟

أم أن هذا الكون مع وحدته الكامله الشامله،و الاتصال و الارتباط القائم فيما بينها،فهو لا يعدو مجموعه واحده متكامله، قد أنشئت و خلقت نتيجه لعوامل متعدده مختلفه،و يسير وفقا لقوانين متباينه؟

من الطبيعى أن الشخص الذى يرجع كل ظاهره لمسبب و كل معلول لعله،فإنه عند مشاهده عده أحجار بصوره منتظمه و منسقه،ينسبها مباشره إلى علم و قدره قامت بصنعها،و بذلك ينفى المصادفه مطلقا،و يحكم بوجود تخطيط هادف،و لا يدّعى أن المصادفه هى التى أوجدت هذا النظام و التنسيق.

لذا فإن الكون،بما فيه من أنظمه مهيمنه،مخلوقه لخالق عظيم،هو الذى أوجدها بعلمه و قدرته غير المتناهيه،و يسيّرها إلى الغايه.و ما العوامل البسيطه التى تنشئ الحوادث البسيطه، فى العالم إلاّ منتهيه إليه،فهى تحت قدرته و هيمنته و تسخيره، و كل ما فى الكون محتاج إليه،و هو غير محتاج لأحد أو لشىء،و لم يكن معلولا لعله،و لا سببا لمسبب.

وحدانیه الله تعالی

کل واقعیه من واقعیات العالم،تعتبر واقعیه محدوده،أی أنها تتمتع بالوجود علی«فرض وجود السبب و الشرط»،و تعتبر أیضا وفقا لغرض عدم السبب و الشرط»عدما،و لحقیقه وجودها حدّ محدود،إذ لا توجد خارج ذلک الحدّ،فالله جلّ شأنه هو المنزّه عن الحدّ و المحدودیه لأن واقعیته مطلقه،فهو موجود بأیّ تقدیر،و لم یکن محتاجا لأیّ سبب و شرط و لا مرتبطا بأیّه علیه.

و لا یسعنا أن نفترض عددا لأمر غیر محدود و غیر متناه،فإذا ما افترض ثان،فإنه غیر الأول،و فی النتیجه،الاثنان محدودان متناهیان.

و سیضع کل منهما حدا فاصلا للآخر،فلو افترضنا علی سبیل المثال حجما غیر محدود و غیر متناه،لا یسعنا افتراض حجم آخر إزاءه،و لو قدّر أن افترضنا هذا فإن الثانی هو الأول،فعلی هذا، فإن الله تعالی أحد لا شریک له (۱)...

۱- ۱) یروی أن أعرابیا قام یوم الجمل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام،فقال:یا أمیر المؤمنین أ تقول إن الله واحد،فحمل الناس علیه و قالوا:أ ما تری ما فیه أمیر المؤمنین من تقسّم القلب،فقال أمیر المؤمنین علیه السلام:دعوه فإن الذی یریده الأعرابی هو الذی نریده من القوم،ثم قال:یا أعرابی إن القول فی أن الله واحد علی أربعه أقسام،فوجهان منها لا یجوزان علی الله عزّ و جل،و وجهان یثبتان فیه،فأما اللذان لا یجوزان علیه،فقول القائل واحد یقصد به باب الأعداد فهذا ما لا یجوز،لأن ما لا ثانی له یدخل فی باب الأعداد،أ ما تری أنه کفر من قال إنه ثالث ثلاثه،و قول القائل هو واحد من الناس یرید به النوع و الجنس فهذا ما لا یجوز،-

الذات و الصفات

اشاره

لو نظرنا إلى الإنسان مثلا من زاويه العقل،سنرى له ذاتا، و هذه الذّات هى عين إنسانيته الخاصه به،و يمتاز بصفات أيضا، و هذه الصفات التى تعرّف كنه ذاته،فمثلا أنه ابن لفلان،عالم قادر،طويل،جميل،أو صفات أخرى مغايره.

فبعض هذه الصفات،كالأولى،لا تنفصل عن الذّات،و بعضها الآخر،كالعلم مثلا،يمكن أن تنفصل عن الذّات أو تتغير،و على أيه حال،فإن كلا من هذه الصفات،ليست بالذّات،كما أن كلّ واحده منها غير الأخرى.

و هذا الموضوع(الذّات مغايره للصّفات،و الصّفات تختلف فيما بينها)خير دليل على أن الذّات التى تتصف بصفه،و الصفه التى تعيّن و تعرّف الذّات،كلاهما محدودتان و متناهيتان،لأن الذّات إذا كانت غير محدوده و غير متناهيه،لكانت تشمل الصفات و كذا الصفات كانت كل واحده منها تشتمل على الأخرى،فتصبح فى النتيجه كلها شيئا واحدا،فمثلا لو كانت الذّات الإنسانيه هذه

(۱

-لأنه تشبيه و جلّ ربنا تعالى عن ذلك.و أما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له فى الأشياء شبه،كذلك ربنا،و قول القائل إنه عزّ و جلّ أحدىّ المعنى يعنى به أنه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا و هم كذلك ربنا عزّ و جلّ.بحار الأنوار ج ۲:۶۵. و يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:معرفته(الله)عين ذاته،أى أن إثبات وجود الله تعالى،و هو وجود غير متناه و غير محدود،كاف فى إثبات وحدانيه،لأن الثانى لا يتصور لغير المتناهى.

ص :۱۱۷

تنحصر فی القدره،و کانت القدره و العلم و کذا طول القامه، و الجمال کل واحده منها عین الأخری،لکانت کل هذه المفاهیم لا تعدو المفهوم الواحد.

فیتّضح مما سبق بأنه لا یمکن إثبات صفه(بالمعنی السابق) لذات الله عز و جل،لأن الصفه لا تتحقق من غیر تحدید لها، و ذاته المقدسه منزّهه من أیّ تحدید(حتی من هذا التنزیه الذی یعتبر فی الحقیقه اثبات صفه له).

معانی صفات الله تعالی

نعلم أنّ فی العالم الکثیر من الکمالات التی تظهر بشکل صفات،فهذه الصفات المثبته متی ما ظهرت فی شیء،تسعی فی تکامل المتّصف،و تمنحه قیمه أکثر،کما یتّضح ذلک من مقارنه جسم حیّ کالإنسان مع جسم غیر حیّ کالحجر.

مما لا شک فیه أن هذه الکمالات قد منحها الله تعالی،و لو کان مفتقدا لها لما منحها لأن فاقد الشیء لا یعطیه،و لما جعلها تتدرج فی طریق الکمال،فعلی هذا یجب أن یقال،و وفقا لحکم العقل السلیم،أن الخالق،یتّصف بالعلم و القدره و کل کمال حقیقی.

و فضلا عن هذا،فإن آثار العلم و القدره و بالتالی آثار الحیاه واضحه فی نظام الخلقه.

و بما أن ذات الله غیر محدوده و غیر متناهیه،فالکمالات هذه أن اعتبرت صفات له،فإنها فی الحقیقه عین ذاته،و کذا کل

واحده منها هی عین الأخری (۱)،و أما الاختلاف الذی یشاهد بین الذّات و الصّفات،و بین الصّفات نفسها فتنحصر فی المفهوم،و فی الحقیقه لیس هناک سوی مبدأ واحد غیر قابل للانقسام.

فالإسلام یلزم متبعیه کی لا یقعوا فی مثل هذا الاشتباه (المحدودیه بالتوصیف،أو نفی أصل الکمال)و یضعهم بین النفی و الإثبات (۲)و یأمرهم بهذا الاعتقاد،فالله عالم لا کعلم غیره،و له القدره،و لیست کقدره الآخرین،فهو یسمع لا بإذن،و یری لا بعین، و هکذا...

مزید من التوضیح فی معانی الصفات

الصفات نوعان:صفات کمال و صفات نقص.فالصفات الکمالیه-کما أشرنا إلیها-معان إثباتیه،تمنح المتصف بها قیمه وجودیه أکثر،و آثارا وجودیّه أوسع،و یتّضح ذلک من مقارنه موجود حیّ عالم قادر،مع موجود آخر غیر حیّ،غیر عالم و غیر قادر، و أما صفات النّقص،فهی صفات تغایرها.

۱- ۱) عن الإمام الصادق علیه السّلام أنه قال:لم یزل الله جلّ و عزّ ربنا و العلم ذاته و لا معلوم و السمع ذاته و لا مسموع و البصر ذاته و لا مبصر و القدره ذاته و لا مقدور.البحار ج ۲: ۱۵۲.

۲- ۲) عن أبی جعفر و أبی عبد الله علیهما السلام:إن الله نور لا ظلمه فیه و علم لا جهل فیه،و حیاه لا موت فیه.البحار ج ۲:۱۲۹. و قد سئل الإمام الرضا علیه السلام عن التوحید فقال:...إن للناس فی التوحید ثلاثه مراتب،إثبات بتشبیه و مذهب النفی و مذهب إثبات بلا تشبیه،فمذهب الإثبات بتشبیه لا یجوز،و مذهب النفی.لا یجوز،و الطریق فی المذهب الثالث إثبات بلا تشبیه.البحار ج ۲:۹۴.

عنـد مـا نمعن النظر فی صـفات النقص،نجـدها بحسب المعنی منفیه.تفتقر إلی الکمـال،و إلی نوع من قیم الوجود،مثـل:الجهـل و العجز و القبح و السّقم و أمثالها.

و حسب ما تقدم أن نفی صفات النقص تعنی صفات الکمال، کما أن نفی الجهل یعنی العلم،و نفی العجز یعنی القدره،و من هنا نجد القرآن الکریم یثبت کل صفه کمالیه لله تعالی بشکل مباشر، و ینفی کل صفه نقص عنه،

کما فی قوله تعالی: وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ؛ و هُوَ الْحَیُّ؛ لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ؛ وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللّهِ .

و ممـا تجـدر ملاـحظته أن الله تعـالی واقعیّه مطلقه،فلیس له حـدّ و نهـایه،فعلی هـذا (۱)فـإن أیّه صـفه کمـالیه تطلق علیه،لا تعنی المحدودیه،فإنه لیس بماده و جسم و لا یحدّد بزمان أو مکان، و منزه من کل صـفه حالیه حادثه،و کل صفه تثبت له حقیقه فهی بعیده عن المحدودیه و هو القائل: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ (۲).

صفات الفعل

فالصّفات(فضلا عما سبق)تنقسم انقساما آخر،و هی صفات الذّات و صفات الفعل.

۱- ۱) یقول الإمام جعفر الصادق علیه السّـلام:لا یوصل الله تعالی بزمان أو مکان و لا حرکه و لا انتقال و لا سـکون،بل هو خالق الزمان و المکان و الحرکه و السکون و الانتقال.البحار ج ۲:۹۶.

۲- ۲) سوره الشوری الآیه ۱۱.

فالصفه أحيانا تكون قائمه بالموصوف،مثل الحياه و العلم و القدره،فتتحقق هذه فى الإنسان الحىّ القادر،و نرى تاره أنه لا يتحقق بالموصوف فحسب،فإذا أراد الموصوف أن يتصف بصفه لا بد من تحقق شىء آخر،مثل الكتابه،الخطابه،الطلب،و نظائرها، لأن الإنسان إنما يستطيع الكتابه عند ما يتوفر لديه القلم و الدواه و الورق مثلا،و يستطيع أن يكون خطيبا عند حضور المستمع، و يستطيع أن يكون طالبا عند ما يتوفر المطلوب،و لا يكفى أن نفترض للإنسان تحقق هذه الصفات.

من هنا يتضح أن الصفات الحقيقيه لله تعالى(كما سبقت الإشاره إليها عين الذات)هى من النوع الأول و أما النوع الثانى، و الذى يستلزم تحققه لشىء آخر،فإن كل شىء غيره مخلوق له، و يأتى بعده فى مرحله الوجود،و كل صفه يوجدها مع وجوده،لا يمكن أن تعتبر صفه لذاته أو عين ذاته تعالى.

فالصّفات التى يتصف بها تعالى عند تحقق الخلقه،هى الخالقيه،الربانيه،و الإحياء،و الإماته،و الرازقيه،و أمثالها،لم تكن عين ذاته،بل زائده على الذات و صفات للفعل.

و المقصود من صفات الفعل هو أن تتخذ معنى الصفه من الفعل لا من الذات،مثل الخالقيه،أى يتصف بهذه الصفه بعد تحقق الخلقه للمخلوقات،فهو قائم منذ قيامها(أى موجود منذ وجودها)،و لا علاقه لها بذاته تعالى،كى تتغير من حال إلى حال عند تحقق الصفه.

تعتبر الشيعه صفتى الإراده و الكلام،(الإراده بمعنى الطلب،

و الكلام بمعنى الكشف اللفظى عن المعنى)من صفات الفعل (۱)و الغالبيه من أهل السنه يعتبرونها بمعنى العلم،و صفات لذاته تعالى.

القضاء و القدر

إن قانون العليه سار فى الكون،و مهيمن،بحيث أنه لا يقبل الاستثناء،و وفقا لهذا القانون كل مظهر من مظاهر هذا العالم، يرتبط بعلل عند وجودها،و هى الأسباب و الشروط اللازمه لتحققها،و مع توفر كل تلك الشروط(و التى تدعى بالعله التامه) يتحتم وجود تلك الظاهره(المعلول المفروض).و لو فرضنا عدم تحقق تلك الأسباب كلها أو بعضها،فإنه يستحيل تحقق وجود تلك الظاهره.

عند الإمعان فى هذه النظريه،يتّضح لنا موضوعان:

الأول: لو قدّر أن نقارن بين ظاهره«المعلول»مع العله تامه بأجمعها،و كذلك مع الأجزاء لتلك العله التامه،تكون النسبه بينها و بين العله التامه،نسبه الضروره(الجبر)و لكانت النسبه بينها و بين كل من أجزاء العله التامه(و التى تعتبر علّه ناقصه)نسبه الإمكان،لأن جزء العله بالنسبه إلى المعلول يعطى إمكان التحقق و الوجود،و لا يعطى ضروره الوجود.

۱- ۱) قال أبو عبد الله عليه السّلام:لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته و لا معلول و لم يزل قادرا بذاته و لا مقدور،قلت جعلت فداك،فلم يزل متكلما،قال الكلام محدث كان الله عزّ و جلّ و ليس بمتكلم ثم أحدث الكلام».البحار ج ۲:۱۴۷. قال الرضا عليه السّلام:«الإراده من المخلوق الضمير و ما يبدو له بعد ذلك من الفعل و أما من الله عزّ و جلّ فإرادته أحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروى و لا يهمّ و لا يتفكر».البحار ج ۲:۱۴۴.

على هذا فالكون و جزء من أجزائه يستلزم عله تامه فى تحقق وجوده،و الضروره مهيمنه عليها بأسرها،و قد نظّم هيكلها من مجموعه حوادث ضروريه و قطعيه،فمع هذا الوضع،فإن صفه الإمكان فى أجزائها(الظواهر التى ترتبط مع غير العله التامه لها)محفوظه.

فالقرآن الكريم فى بيانه يسمى هذا الحكم الضرورى بالقضاء الإلهى،لأن الضروره هذه تتبع من وجود الخالق،و لهذا يكون حكما و قضاء عادلا حتميا غير قابل للتخلف،إذ لا يقبل الاستثناء أو التبعيض.

يقول جلّ شأنه: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ (۱).

و يقول سبحانه و تعالى: وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۲).

و يقول سبحانه و تعالى: وَ اللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (۳).

الثانى: إن كلا- من أجزاء العله،لها مقدارها الخاص تمنحه إلى المعلول،و تحقق المعلول و ظهوره يطابق مجموع المقادير التى تعيّنها العله التامه،فمثلا- العلل التى تحقق التنفس للإنسان،لا- تحقق التنفس المطلق،بل يتنفس الإنسان مقدارا معينا من الهواء المجاور لفمه و أنفه و فى زمان و مكان معينين،و وفق طريقه معينه،و يتم ذلك عن طريق مجرى التنفس،حيث يصل الهواء إلى الرئتين،و هكذا

۱- ۱) سوره الأعراف الآيه ۵۴.

۲- ۲) سوره البقره الآيه ۱۱۷.

۳- ۳) سوره الرعد الآيه ۴۱.

الرؤیه و الإبصار،فإن العلل الموجوده لها فی الإنسان(و الذی هو جزء منها)لم تحقق إبصارا من دون قید أو شرط،بل تحقق إبصارا معینا من کل جهه،بواسطه الوسائل اللازمه له،و هذه الحقیقه ساریه فی کل ظواهر الطبیعه،و الحوادث التی تتفق فیها لا تتخلف.

و القرآن الکریم یسمّی هذه الحقیقه ب«القدر»و ینسبها إلی خالق الکون و مصدر الوجود،بقوله تعالی: إِنّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (۱).

و یقول: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲).

و کما أن کل ظاهره و حادثه فی نظم الخلقه تعتبر ضروریه الوجود وفقا للقضاء الإلهی،و یتحتم وجودها،فکذلک وفقا للقدر فإن کل ظاهره أو حادثه عند تحققها لا تتخلف عن المقدار المعیّن لها من قبل الله تعالی.

الإنسان و الاختیار

کل ما یقوم به الإنسان من فعل،یعتبر ظاهره من ظواهر عالم الخلقه،و یرتبط تحققه کسائر الظواهر بالعله ارتباطا کاملا،و بما أن الإنسان هو جزء من عالم الخلقه،و یرتبط مع سائر الأجزاء الأخری من العالم،فإنها بدورها تؤثر فی أفعال الإنسان.

۱- ۱) سوره القمر الآیه ۴۹.

۲- ۲) سوره الحجر الآیه ۲۱،قال أبو عبد الله علیه السّلام:إن الله إذا أراد شیئا قدّره و إذا قضاه أمضاه.البحار ج ۳:۳۵.

و على سبيل المثال،فإن قطعه الخبز التى يريد الإنسان تناولها، فإنه يستلزم وجود الوسائل كاليد و الفم و العلم و القدره و الإراده، و أيضا وجود الخبز فى الخارج،و عدم وجود أى مانع يمنع من الوصول إليه،و شروط أخرى من زمان أو مكان.و مع فقدان إحداها يتعذّر تحقق الفعل،و مع تحقق كل تلك العوامل(تحقق العله التامه)فإن تحقّق الفعل ضرورى.

و كما أشرنا آنفا،فإن ضروره الفعل بالنسبه إلى مجموع أجزاء العله التامه تعتبر نسبه إمكان،و لا يتنافى مع نسبه الفعل إلى الإنسان الذى هو أحد أجزاء العله التامه.

إن الإنسان له اختيار الفعل،و ضروره نسبه الفعل إلى مجموع أجزاء العله،لا يستلزم الضروره بالنسبه إلى فعل بعض من أجزائها و هو الإنسان.

و الإدراك البسيط للإنسان يؤيد هذا القول،فإننا نراه يميّز بحكم الفطره الإلهيه المودّعه لديه،يميّز بين الأكل و الشرب، و الذهاب و الإياب،و بين الصحه و السقم،و الكبير و الصغير، و القسم الأول الذى يرتبط بإراده الإنسان ارتباطا مباشرا،يعتبر من إراده الشخص،فيحاسب فى مواضع الأمر و النهى و المدح و الذم،خلافا للقسم الثانى،الذى يترتب فيه تكليف على الإنسان.

و قد وجد فى صدر الإسلام،بين أهل السنه،مذهبان معروفان بالنسبه إلى أفعال الإنسان،ففريق كان يرى أن أفعال الإنسان متعلقه بإراده الله تعالى لا تخلّف فيها،فكان يدّعى أن الإنسان مجبور فى أفعاله،و لا أثر لما يمتاز به من اختيار و إراده،و الفريق

الآخر،كان يدّعى أن الإنسان مستقل فى أفعاله،و ليس له ارتباط بإراده الله سبحانه،و يعتبرونه خارجا عن حكم القدر.

و مما يروى عن أهل البيت عليهم السّلام،و هو مطابق مع ظاهر تعاليم القرآن،إن الإنسان مختار فى أفعاله،ليس بمستقل،إذ أن الله تعالى قد أراد الفعل عن طريق الاختيار،و هذا ما عبرنا عنه سابقا،بأن الله سبحانه،أراد الفعل عن طريق مجموع أجزاء العله التامه،و التى إحداها إراده الإنسان،و أصبحت ضروره،و فى النتيجه،أن مثل هذا الفعل الذى يرتبط بإراده الله تعالى ضرورى، و الإنسان أيضا مختار فيه،أى أن الفعل يعتبر ضروريا بالنسبه إلى مجموع أجزاء علته،و لكنه اختيار و ممكن بالنسبه إلى أحد أجزائه و هو الإنسان.

و الإمام الصادق عليه السّلام يقول:«لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين» (۱).

---

۱ - ۱) عن أبى جعفر أبى عبد الله عليه السّلام:قال:إن الله عزّ و جلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذّبهم عليها،و الله أعزّ من أن يريد أمرا فلا يكون.البحار ج ۳:۱۵. عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون و الله أعزّ من أن يكون فى سلطانه ما لا يريد.البحار ج ۳:۱۵.

معرفه النبیّ

نحو الهدف الهدایه العامه

تبدأ حبه الحنطه بالنمو عند توفر العوامل المساعده لها،فبعد أن توضع فی التربه،و بمرور الزمن تتحول من حاله إلی أخری، و فی کل لحظه تتخذ حاله و شکلا غیر ما کانت علیها قبل لحظات،و تسلک طریقا وفقا لنظام خاص،حتی تزداد نموا، فتصبح سنبله،و إذا ما سقطت حبه قمح علی الأرض،سلکت الطریق ذاته،و إذا ما سقطت بذره فاکهه علی الأرض،تبتدئ بالحرکه و النمو فیخترق الغشاء نتوء أخضر،و یسلک طریقا خاصا منتظما،حتی یزداد فی نموه و یصبح شجره مثمره.

و إذا ما استقرت نطفه حیوان فی بیضه أو فی رحم أمّ،تشرع بالنمو و التکامل،و تسلک سلوکا،تختصّ به تلک النطفه،حتی تصل إلی فرد کامل من ذلک النوع.

إنّ هذا السلوک الخاص و المنتظم یشاهد فی کل من أنواع الکائنات الحیّه فی العالم،و یعتبر من مییزاتها و فطرتها الخاصه، و لن تجد فی الحیاه نقیضا لهذه السنّه،أی یستحیل أن تتبدل حبه قمح إلی حیوان،و نطفه حیوان إلی شجره.و إذا ما حدث تغییر فی تکوین حیوان أو نبات بأن نقص منها عضو أو جزء فإن السبب فی ذلک یعود إلی مرض أو ما شابه.

إن النظام القائم و المستمر فی الکون،و خلقه الأجسام المتنوعه،

و اختصاص کل نوع منها فی سلوک خاص،نحو التطور و التکامل، یحتاج إلی نظام خاصّ به،لا ینکره أیّ محقق متتبع،و من هذه النظریه البیّنه نستنتج موضوعین:

۱- أنه فی جمیع المراحل التی یطویها نوع من أنواع الکائنات الحیه فی العالم،هناک اتصال و ارتباط قائم بینها،و کأنّ هناک قوه تسیّرها هذا المسیر الخاص فی کل مراحلها التطوریه.

۲- إن هذا الاتصال و الارتباط یهدف فی مرحلته الأخیره إلی تکوین بنی نوعه،فکما أن البذره عند ما توضع فی التربه تهدف فی طریقها منذ مراحلها الأولی إلی أن تنشأ شجره،و کذا النطفه فی رحم الأمّ،تهدف من مراحلها الأولیه إلی أن تکون حیوانا متکاملا، و للوصول إلی التکامل نراها تسلک نهجا خاصا فی حیاتها.

و القرآن العظیم فی تعلیماته یؤید هذه الحرکه و هذا الاندفاع، کما أن أنواع الکائنات الحیه فی العالم تهتدی بهدی الله تعالی فی طریق تکاملها و کمالها،و یستدل بآیات من الذکر الحکیم فی هذا الشأن کما فی قوله تعالی:

قالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ

(۱)

.

و فی سوره الأعلی،الآیه ۲ و ۳ یقول جلّ ذکره: اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّیٰ* وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ .

و کذا یشیر إلی النتائج التی ذکرت آنفا فی سوره البقره الآیه ۱۴۸:یقول جلّ شأنه:

وَ لِکُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّیهٰا .

۱- ۱) سوره طه الآیه ۵۰.

و يقول جلّ من قائل فى سوره الدخان الآيه ۳۸ و ۳۹: وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ* ما خَلَقْناهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

الهدايه الخاصه

بديهى أن النوع الإنسانى لا يستثنى عن هذه الهدايه التكوينيه التى تهيمن على جميع الكائنات فى العالم،فهى تسيطر على الإنسان أيضا،و بما أن كلّ كائن يطوى فى طريقه نحو التكامل بما لديه من قدره و قابليه،فكذلك الإنسان يساق نحو الكمال الواقعى بواسطه الهدايه التكوينيه.

قد يشترك الإنسان فى كثير من صفاته و مميزاته مع سائر أنواع الكائنات الحيّه من حيوان أو نبات،لكنه يتميّز بخصائص خاصه به،تجعله يمتاز عن غيره،و أهمها العقل.

فالعقل يدعو الإنسان إلى التفكّر و التدبّر،و الانتفاع من كل وسيله ممكنه،لتحقيق أهدافه و أغراضه،فهو يعرج إلى السماء حينا،فيسير فى الفضاء اللامتناهى،و يغوص فى أعماق البحار أحيانا،و يدأب فى الاستفاده من أنواع الحيوان و النبات و الجماد على ظهر البسيطه،و قد يتجاوز هذا الحدّ بأن يتجه إلى استغلال بنى نوعه.

و الإنسان حسب طبعه الأولى،يرى حريته المطلقه فى سعادته و كماله،و بما أن وجوده وجود اجتماعى،و متطلباته فى الحياه متعدده،بحيث لا يمكن أن ينالها لوحده،بل بالتعاون مع أبناء

نوعه الذين يتصفون بالغرائز ذاتها،بما فيها حبّ الذّات و الحريه.

فتفرض عليه طبيعه المجتمع أن يضحّى بقسط من حريته فى هذا السبيل مقابل المنافع التى يحصل عليها من الآخرين،فهو يقدم خدمه،و ينتفع بما يقدمه الآخرون من خدمات،أى أنه يتقبل، رغما عنه،الحياه الاجتماعيه التى تتصف بالتعاون.

و هذه الحقيقه تظهر جليّه لدى الأطفال و الفتيان،إذ هم فى البدايه،يحققون ما تصبو إليه نفوسهم بالرفض تاره و البكاء تاره أخرى.فيرفضون كل قانون أو عاده أو ما شاكل ذلك،و لكن مع مرور الوقت،و حسب تطورهم الفكرى يدركون أن الحياه لا تتلاءم مع الرفض و الطغيان،فيمارسون ما يمارسه الفرد فى المجتمع بشكل تدريجى،حتى يصلوا إلى ما يصل إليه الفرد فى مجتمعه، من اتّباع العادات و السنن و القانون،فهم بعد نضوجهم يألفون المجتمع.

و الإنسان بعد تقبله الحياه الاجتماعيه التى قوامها التعاون، يرى ضروره القانون الحاكم على الحياه،و هو الذى يعيّن واجبات كل فرد من أفراد المجتمع،و يضع الجزاء لكل من يخالف القانون، فإذا عمّ القانون و ساد المجتمع،عندئذ ينال كل فرد من أفراد المجتمع السعاده المطلوبه،التى طالما تمناها.

هذا القانون هو القانون العملى الذى ما برح البشر منذ نشأتهم و إلى يومنا هذا يرجونه و يرغبون فى الوصول إليه،و طالما كانوا يستلهمون منه أهدافهم و أغراضهم،و يسعون لتحقيقها،

و من الطبیعی أنه إذا کان الأمر یستحیل تحققه علی البشریه،و لم یکن مفروضا علیها،لما کانت تهدف إلیه دوما (۱).

و الله جل شأنه یشیر إلی حقیقه المجتمع البشری بقوله:

نَحْنُ قَسَمْنا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِیَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِیًّا

(۲)

.

و قد أشار الذکر الحکیم إلی حبّ النفس و الأنانیّه بقوله تعالی:

إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَ إِذا مَسَّهُ الْخَیْرُ مَنُوعاً

(۳)

.

العقل و القانون

لو تأملنا جیدا،لرأینا أن القانون الذی ما برح البشر ینتظرونه، و یطلبونه مع ما لدیهم من إدراک فطری إلهی،و إدراک للزوم إجرائه کی یضمن لهم سعادتهم،هو القانون الذی یستطیع أن یسیّر البشریه إلی السعاده دون انحیاز أو تبعیض و أن ینشر بینها الکمال،و یرسی قواعده.و من البدیهی بأن البشریه لم تدرک حتی الآن طوال أجیال متعاقبه مضت من حیاه البشریه،مثل هذا

۱- ۱) ترغب البشریه عاده و حتی الشعوب البدائیه،حسب طبعها فی أن یعیش الجمیع فی جو ملؤه الصلح و الراحه و الاطمئنان.و من الوجهه الفلسفیه،فإن الطلب و المیل و الرغبه ما هی إلا أوصاف و ارتباطات قائمه علی طرفین،کالطالب و المطلوب،و المحبّ و المحبوب و....و واضح أن لم یکن هناک محبوب،فالکلام عن المحبّ عبث. و صفوه القول إن الأمور هذه ترجع إلی إدراک نقص فی الوجود الإنسانی،فإذا تعذر الکمال،لم یکن هناک معنی للنقص.

۲- ۲) سوره الزخرف الآیه ۳۲.

۳- ۳) سوره المعارج الآیه ۱۹-۲۱.

القانون الـذی قوامه العقل،و الذی لو قدّر له أن یخرج إلی حیّز الوجود لفهمته البشـریه فی حیاتها الطویله بما تمتاز به من تعقّل و تدبّر،و لکانت التزمت به فی مجتمعاتها.

و بعباره أوضح،لو کان هناک قانون کامل عام،بحیث یسـتجیب لما تصـبوا إلیه البشریه من سعاده،و یرشدها إلیه من حیث الفطره و التکوین،لأدرکه کل إنسان بما لدیه من إمکانات عقلیه،کما یدرک ما ینفعه أو یضرّه،و لکن مثل هذا القانون لم یتحقق بعد.

و القوانین التی توضع من قبل شـخص حاکم أو أشـخاص،أو جوامع بشریه،نجدها مورد احترام و تصدیق لدی فئه،و مورد رفض و اعتراض لدی آخرین و هناک من اطلع علیها و عرفها،و آخرون لم یطّلعوا.و لن تجد وجه اشتراک فی المجتمعات البشریه-بما أنهم یشترکون فی کونهم بشر،و یتصفون بالفطره الإلهیّه-فی إدراک هذه القوانین.

الشعور المرموز،أو ما یسمی.(الوحی)

و مما تقدم یتّضح،أن القانون الذی یضمن السعاده للبشریه،لا یدرکه العقل،و بمقتضی نظریه الهدایه العامه،التی تری ضروره هذا الإدراک فی النـوع البشـری،لا- بـدّ من وجود جهـاز آخر فی النوع الإنسـانی یـدرک ذلـک،کی یرشـده إلی الواجبـات الواقعیه للحیاه،و تکون فی متناول ید الجمیع،و هذا الشـعور و الإدراک هو غیر العقل و الحسّ،إنه ما یسـمی ب«الوحی»و من الطبیعی أن وجود مثل هذه القوه فی البشر لا یتحتّم أن یکون فی جمیع أفراد

البشر،كما هو فى القوه المودعه فى الإنسان للتناسل،فى حين أن إدراك لذه الزواج،و التأهب له،يتحقق فى الأفراد عند بلوغهم، و شعور«الوحى»الذى لا يظهر لدى الأفراد،هو شعور مرموز،كما هو الحال فى إدراك و شعور اللذّه فى الزواج عند من لم يصل إلى سنّ البلوغ،فيبقى هذا الإدراك غير معروف لديه.

و الله تعالى يشير فى خطابه عن(الوحى)بالنسبه إلى الشريعه و عجز العقل،بقوله: إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ (۱)رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (۲).

الأنبياء و عصمه النبوه

إنّ ظهور الأنبياء يؤيد نظريه(الوحى)الذى سبق ذكره.إنّ أنبياء الله تعالى كانوا ممن ادّعوا«الوحى»و النبوه،و فى ادعائهم هذا أقاموا الحجج و البراهين،و بلّغوا الناس ما تحتويه شريعه الله سبحانه،ألا و هو القانون الذى يمنحهم السعاده و جعلوها فى متناول أيدى الجميع،و لما كان الأنبياء يمتازون ب«الوحى»و النبوه، فعند ظهورهم فى كل زمن كانوا قله،فجعل الله هدايه الناس على عاتق هؤلاء،بما أمروا من دعوه و إبلاغ،و ما ذلك إلا لتعمّ و تتم و تكتمل تلك الدعوه.

و من هنا يتضح وجوب عصمه الأنبياء،فهم مصونون من الخطأ

۱- ۱) سوره النساء آيه ۱۶۳.

۲- ۲) سوره النساء آيه ۱۶۵.

فی تلقی«الوحی»من جانب الله تعالی،و فی حفظه،و إیصاله إلی الناس،فإنهم بعیدون کل البعد عن المعصیه و الخطأ؛لأن تلقی الوحی-کما ذکر-و حفظه و إبلاغه،یشتمل علی الأرکان الثلاثه للهدایه التکوینیه،و لا معنی بأن یکون هناک خطأ فی التکوین.

فضلا عن أن المعصیه و التخلّف عن أداء الدعوه و الإبلاغ،عمل یخالف الدعوه،و یوجب سلب ثقه الناس و اطمئنانهم،بصحه الدعوه و صدقها،و نتیجه لذلک ینتفی الغرض و الهدف الأساسی للدعوه.

و الخالق جلّ شأنه یشیر إلی عصمه الأنبیاء فی کتابه المجید بقوله: وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱).

و هو القائل أیضا: عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (۲).

الأنبیاء و الشرائع السماویه

إن ما حصل علیه الأنبیاء عن طریق(الوحی)و إبلاغه للناس علی سبیل الخبر و الأحکام الإلهیّه هو الدین،و اتخاذهم إیاه نهجا لهم فی سبیل الحیاه و الوظائف و الواجبات الإنسانیه،یضمن لهم السعاده (۳).

۱- ۱) سوره الأنعام الآیه ۸۷.

۲- ۲) سوره الجن الآیه(۲۶-۲۸).

۳- ۳) یراجع مقدمه الکتاب.

یشتمل التشریع الإلهی بشکل عام علی جانبین:الاعتقادی و العملی:فالجانب الاعتقادی یحتوی علی مجموعه معتقدات أساسیه،تفرض علی الإنسان أن یتخذها أساسا لحیاته،و هی الأسس العامه الثلاثه،التوحید و النبوه و المعاد،و إذا أهملت إحداها لم یتحقق اتّباع الدّین.

و الجانب العملی،یتألف من مجموعه وظائف أخلاقیه عملیه تحتوی علی وظائف معیّنه یتقید بها الإنسان أمام الله تعالی و أمام المجتمعات البشریه.

و من هنا تنقسم الواجبات الفرعیه فی الشرائع السماویه،إلی قسمین:الأخلاق و الأعمال،و کل من هاتین،تنقسم إلی قسمین أیضا.

فأما الأخلاق و الأعمال التی ترتبط بالله الخالق فهی،الخلق و صفه الإیمان و الإخلاص و التسلیم و الرضی،و الخشوع،و کذا الصلاه و الصوم و الفدیه و غیرها،و هذه المجموعه من الأعمال تسمّی العبادات،و تعبّر عن خشوع الإنسان و عبودیته لربه.

و أما ما یتعلق بالمجتمع من الأخلاق و الأعمال،فهی الصّفات الحسنه،کحبّ النوع،و المساعده،و العداله،و السخاء و ما یرتبط بآداب المعاشره،و المعامله و غیرها،و هذه الأعمال الخاصه هی ما تسمّی ب«المعاملات».

و من جهه أخری فإن النوع الإنسانی یتّجه نحو الکمال بصوره تدریجیه،و المجتمع البشری یتکامل بمرور الزمان،و أن ظهور هذا الشکل من التکامل ضروری فی الشرائع السماویه،و یؤید القرآن

الكريم هذا التكامل التدريجى(و يمكن الوصول إليه عن طريق العقل)،و مما يستفاد من آياته،أن الشرائع اللاحقه أكمل من الشرائع السابقه،بقوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ (۱).

و مما تبيّنه النظريات العلميّه،و يصرّح به القرآن الكريم،إن حياه المجتمعات البشريه فى هذا العالم ليست أبديّه،و من الطبيعى أن التكامل لبنى نوعها لم يكن غير متناه،فمن هذه الجهه،ستتوقف جميع الوظائف الإنسانيه من حيث الاعتقاد و العمل فى مرحله معينه،و تبعا لهذه الحقيقه،فإن النبوه و الشريعه أيضا يوما ما ستصل إلى آخر مرحله من مراحل الكمال و الاعتقاد،و بثّ القوانين العلميه،و بذلك تكون النهايه و الخاتمه لها.

و من هنا نرى القرآن الكريم يوضّح هذه الحقيقه و يصرّح بأن الإسلام،هو الدين الذى اختاره لمحمد صلى اللّه عليه و آله و سلم هو آخر الأديان السماويه و أكملها،و بأن الكتاب العزيز لا ينسخ،و أن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم هو خاتم الأنبياء،و الإسلام يحتوى على كافه الوظائف و الواجبات،كما فى قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ* لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ (۲).

و يقول أيضا: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (۳).

و قوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ (۴).

۱- ۱) سوره المائده الآيه ۴۸.

۲- ۲) سوره فصلت الآيه ۴۱-۴۲.

۳- ۳) سوره الأحزاب الآيه ۴۰.

۴- ۴) سوره النحل الآيه ۸۹.

الأنبياء و دليل(الوحى)و النبوه

إنّ الكثير من علماء اليوم الذين حققوا فى موضوع(الوحى) و النبوه،قد فسّروا موضوع(الوحى)و النبوه و الأمور المرتبطه بهما، على الأسس التى يقوم عليها علم النفس و علم الاجتماع،بقولهم أن الأنبياء كانوا أناسا أطهارا،ذوى همم عاليه،محبّى البشريه، و لغرض تقدمها و تطورها من الناحيه الماديه و المعنويه،و كذا تزكيه المجتمعات المنحطه خلقيا،نظّموا و وضعوا قوانين خاصه،و دعوا الناس إليها،و لما كان الناس فى ذلك الوقت لم يخضعوا بعد للمنطق و العقل،فما كان من الأنبياء إلا أن ينسبوا أفكارهم و أنظمتهم إلى العالم العلوى كى يستطيعوا بذلك أن يجلبوا رضى الناس، و يخضعوهم لقيادتهم.و كان اعتقاد البعض منهم أن روحهم هى روح القدس و ما الفكر الذى يتجلى إلا«الوحى و النبوه»،و ما الوظائف و الواجبات التى تستنتج من ذلك إلّا(الشريعه السماويّه)،و الكلام الذى يتضمن ذلك كان يسمى«الكتاب السماوىّ».

فالذى ينظر بتأمل و إنصاف إلى الكتب السماويه،و خاصه القرآن الكريم،و كذا إلى الشرائع التى جاء بها الأنبياء،لا يشك فى بطلان هذه النظريه،و ذلك أن الأنبياء لم يكونوا رجال سياسه، بل كانوا رجالا يتصفون بالصدق و الصفاء و الخلوص،و كل ما كانوا يدركونه كانوا يتفوهون به،و كل ما كانوا يقولون به كانوا يعملون به،و ما كانوا يزعمونه هو أن هناك شعورا مرموزا،و إمدادا غيبيا، يفيض عليهم،و أنهم فى هذا الطريق يتلقون الوظائف الاعتقاديه و العلميه من جانب الله تعالى،لإبلاغ الناس و إرشادهم.

ص :١٣٧

و من هنا يتضح أن ادعاء النبوه يحتاج إلى حجه و دليل،و لا يكفى أن تكون الشريعه التى جاء بها النّبى توافق العقل،فإن صحه الشريعه لها طريق آخر للإثبات،و هو أنه على اتصال بالعلم العلوى(الوحى)و النبوه،و قد أنيطت به هذه المسئوليه من قبل الله تعالى،و هذا الادعاء يحتاج إلى دليل عند إقامته.

لذا نجد أن البسطاء و ذوى الفطره السليمه من الناس(كما يخبرنا به القرآن الكريم)كانوا يطالبون الأنبياء بالمعجزه لصدق دعواهم.

و يستنتج من هذا المنطق أن الوحى الذى يدعيه المرسل،لم يكن ليحصل عند سائر الناس،بل لا بدّ من قوه غيبيّه يودعها الله تعالى فى نبيّه بنحو يخرق به العاده.

و يتّضح أن مطالبه الناس الأنبياء بالمعجزه أمر يوافق المنطق الصحيح،و على الأنبياء لإثبات نبوتهم أن يأتوا بالمعجزه إما ابتداءً أو وفقا لما يطالب به المجتمع.

و القرآن الكريم يؤيد هذا المنطق،و يشير إلى معاجز الأنبياء إما ابتداءً أو بعد مطالبه الناس إياهم.

و تجدر الإشاره إلى أن علل و أسباب الحوادث التى حصلنا عليها حتى الآن كانت بالتجربه و الفحص،و ليس لدينا أى دليل أنها دائميه،و لن تتحقق أيه حادثه أو ظاهره إلاّ بعللها و أسبابها، و أما المعاجز التى تنسب إلى الأنبياء لم تكن مخالفه للعقل أو يستحيل إقامتها،لكنها خرق للعاده فى حين أن موضوع خرق العاده يرى و يسمع من أصحاب الرياضيات الروحيه أيضا.

عدد الأنبياء

مما ينقل فی تاریخ الماضین،أن أنبیاء کثر أرسلوا و بعثوا،و یؤید القرآن الکریم کثره الأنبیاء،و یذکر أسماء بعضهم،إلّا أنه لم یصرح بعددهم.

و لم نحصل علی عددهم من الروایات بصوره قطعیه،إلاـ أن الروایه المعروفه و التی تنقل عن«أبی ذر الغفاری»عن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم،یبین فیها أن عدد الأنبیاء مائه و أربعه و عشرون ألف نبی.

الأنبیاء أولو العزم،حمله الشرائع السماویه

و مما یستفاد من القرآن الکریم،أن الأنبیاء کلّهم لم یأتوا بشرائع،بل أن خمسه منهم قد جاءوا بشرائع سماویه،و هم نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم،و هؤلاـ هم أولو العزم، و أما سائر الأنبیاء فإنهم یتبعون أولی العزم فی شرائعهم.

و قوله تعالی:

شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ مٰا وَصّیٰ بِهِ نُوحاً وَ الَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ وَ مٰا وَصَّیْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ وَ عِیسیٰ...

(۱)

.

و یقول تعالی:

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ النَّبِیِّینَ مِیثٰاقَهُمْ وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِیثٰاقاً غَلِیظاً

(۲)

.

۱- ۱) سوره الشوری الآیه ۱۳.و لو کان هناک غیرهم.لذکرهم تعالی فی الآیه.

۲- ۲) سوره الأحزاب الآیه ۷.

نبوّه محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم

یعتبر نبینا محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم آخر الأنبیاء الذین کانوا یمتازون بالکتب و الشرائع،و قد آمن به المسلمون.

ولد النبی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم قبل بدء التاریخ الهجری القمری بثلاث و خمسین سنه،فی مدینه«مکه»،فی قبیله«بنی هاشم»من قریش،و هی من أشرف القبائل العربیه.

أبوه«عبد الله»و أمّه«آمنه»و قد فقد أبویه منذ أوائل طفولته، و تکفّله جده لأبیه«عبد المطلب»و سرعان ما وافاه الأجل،حتّی تعهد تربیته عمه«أبو طالب»و أسکنه معه فی داره.

ترعرع و نشأ فی بیت عمّه،و قد صحب عمّه فی سفره تجاریه إلی الشام و ذلک قبل سنّ البلوغ.کان النبی محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم أمیّا،و لکنه بعد البلوغ و الرشد،اشتهر بعقله و أدبه و أمانته،و نتیجه لذلک، جعلته(خدیجه)و التی کانت من أثری القریشیات،مشرفا علی أموالها،و إداره أمورها التجاریه.

سافر محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم للمره الثانیه إلی الشام لغرض التجاره، و بسبب نبوغه فقد نال أرباحا جمّه،و لم تمض فتره،حتی اقترحت خدیجه علیه موضوع الزواج،فوافق محمد صلی اللّه علیه و آله و سلم علی اقتراحها،و بعد الزواج حیث کان فی سن الخامسه و العشرین و حتی بلوغه سنّ الأربعین،کان یمارس عمله،فحصل علی شهره فی تدبیره و أمانته و لم یکن یعبد صنما،(علما بأن الدین السائد فی ذلک الوقت هو عباده الأصنام)و أحیانا کان یعتکف للعباده.

فاختاره الله للنبوه فی الأربعین من عمره عند ما کان متفرغا

للعباده فی غار«حراء» (۱)و أمر أن یبلّغ،و نزلت علیه أول سوره من سور القرآن (۲)،و رجع إلی بیته فی الیوم نفسه،فرأی ابن عمه «علیّ بن أبی طالب علیه السّلام»فی الطریق،فعرض علیه الإسلام فآمن به،و بعد دخوله البیت،أسلمت زوجته خدیجه.

و النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم عند بدء دعوته،واجه من الناس مواجهه عنیفه مؤلمه،حتی اضطر إلی کتمان دعوته و جعلها سریه،ثم أمر ثانیه أن یبلّغ دعوته إلی عشیرته الأقربین،و لکنها لم تجد،إذ لم یؤمن به سوی«علیّ بن أبی طالب علیه السّلام» (۳).

و بعد ذلک،أعلن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم دعوته بأمر من اللّه تعالی،و ما إن أعلن النبی الدعوه حتی شاهد ردود الفعل من أهل مکه مقرونه بالأذی و التعذیب بالنسبه له و للمسلمین الذین أسلموا حدیثا،مما اضطر بعض المسلمین ترک دیارهم اثر حملات الاضطهاد التی کانت تقوم بها قریش،فهاجروا إلی الحبشه،و تحصّن النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم مع عمه«أبو طالب»و أفراد من قبیلته بنی هاشم فی «شعب أبی طالب» (۴)لمده ثلاث سنین،فی غایه من الضغط و الشدّه،فلم یتعامل معهم،و لم یعاشرهم أحد،و لم یستطیعوا فی تلک الفتره الخروج من الشعب.

۱- ۱) غار فی جبال(تهامه)علی مقربه من مکه.

۲- ۲) سوره العلق.

۳- ۳) وفقا لروایات أهل البیت علیه السّلام و لأشعار قالها أبو طالب،تعتقد الشیعه أن أبا طالب أسلم،و بما أنه کان المدافع الوحید عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم کان یکتم إسلامه،کی یحتفظ بقدرته الظاهریه أمام قریش.

۴- ۴) حصار کان فی إحدی ودیان«مکه».

و لم یکتف کفار مکه و عبده أصنامها،بالإیذاء و الإهانه و الاستهزاء بل کانوا یلجئون أحیانا إلی الاستماله،و الوعد بالأموال الطائله کی یصرفوا النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم عن دعوته،فقد اقترحوا علیه الرئاسه و السلطان،و لکن وعدهم و وعیدهم کان سیّان عند النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و کان مما یزید فی عزمه و إرادته.

و قد اقترحوا علیه مره المال الکثیر و الرئاسه،فأجابهم النبی قائلا:«و الله لو وضعوا الشمس فی یمینی،و القمر فی یساری علی أن أترک هذا الأمر ما ترکته حتی یظهره الله،أو أهلک فیه».

خرج النبی من«شعب أبی طالب»حوالی السنه العاشره من بعثته و لم یمض زمن حتی توفی عمه أبو طالب،و توفیت زوجته الوفیه أیضا.

فلم یکن للنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ملجأ،مما دعا کفار مکه إلی أن یخططوا لقتله،فحاصروا داره من کل جانب،کی یحملوا علیه فی آخر اللیل،و یقطّعوه إربا إربا فی مضجعه.

و لکن الله جلّ شأنه أطلعه بالأمر،و أمره بالهجره إلی«یثرب» (۱)فاستخلف علیا علیه السّلام فی فراشه،و خرج لیلا برعایه الله و عنایته من داره و اجتاز الأعداء،و اختفی فی غار یبعد عده فراسخ عن مکه المکرمه،و خرج من الغار بعد ثلاثه أیام،بعد أن یئس الأعداء من الوصول إلیه،عادوا أدراجهم،إلی مکه،و عندها أکمل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم طریقه إلی یثرب.

۱- ۱) منطقه تقرب من «المدینه».

أما أهل«یثرب»فقد آمنوا به صلی اللّه علیه و آله و سلم کبارهم و أسیادهم،فبایعوه، و استقبلوه بحفاوه بالغه،و قدموا له أموالهم و أنفسهم.

فأسس الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم و لأوّل مره؛أول مجتمع إسلامی صغیر، فی مدینه(یثرب)و عقد مع الطوائف الیهودیه التی کانت تستقر فی المدینه و أطرافها معاهدات،و کذا مع القبائل العربیّه القویّه المتواجده فی تلک المنطقه،و قام بنشر دعوته الإسلامیه،و عرفت مدینه«یثرب»ب«مدینه الرسول».

و علی مرّ الأیام،قویت شوکه الإسلام،و استطاع المسلمون الذین عانوا من اضطهاد القرشیین أن یترکوا دورهم و مساکنهم فی مکه،فبدءوا بالهجره إلی المدینه شیئا فشیئا،و التفوا حول النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و سمّوا ب«المهاجرین»کما اشتهر أصحابه و أعوانه فی یثرب ب«الأنصار».

نال الإسلام تقدما سریعا،لکن عبده الأصنام من قریش، و الطوائف الیهودیه المستقره فی الحجاز،کانت ما تزال حجره عثره أمام هذه الحرکه،فحاولوا القیام بأعمال تخریبیه لصدّ النبی و المسلمین،بمساعده المنافقین،الذین کانوا فی صفوف المسلمین، و لم یعرفوا بأیّ شکل من الأشکال،فکانوا یخلقون المشاکل،و یسبّبون المصائب،و الحوادث المستحدثه،حتی آل الأمر إلی الحرب،فنشبت الحروب المتعدده بین الإسلام و عبده الأصنام و الیهود،فکانت الغلبه غالبا لجیش الإسلام،و یقرب إحصاء تلک الحروب من ثمانین و نیف معرکه بما فیها المعارک الدامیه الکبری،و الصغیره منها،و فی کل هذه المعارک،کان النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم یشارک المسلمین فی قتالهم،کمعرکه

بدر و أحد و الخندق و خيبر و غيرها،و كانت الغلبه فی معظمها تتم علی يد«علی عليه السّلام».فهو الوحيد الذی ما تراجع و لا فشل فی أی معركه،و طوال هذه المعارك التی دامت عشر سنوات بعد الهجره النبويه،قتل من المسلمين أقلّ من مائتين،و من الكفار ما يقرب الألف. و نتيجه المثابره و التضحيه و الفداء الذی عرف به المهاجرون و الأنصار خلال السنوات العشر بعد الهجره،عمّ الإسلام(شبه الجزيره العربيه)و بعثت الرسائل إلی ملوك الدول الأخری مثل (إيران)و(الروم)و(مصر)و(الحبشه)تدعوهم إلی الإسلام.

كان النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم يواسی الفقراء فی معيشتهم،فلا تختلف حياته عن حياتهم،و كان يفتخر بالفقر (1)،و كان يستغلّ أوقاته،فلا تمر عليه لحظه إلا و هو دائب فی عمل،و كان صلی اللّه عليه و آله و سلم يقسّم أوقاته إلی ثلاثه أقسام:الأول للعباده و ذكر الله تعالی،الثانی:له و لعياله و بيته،الثالث:للناس،فكان يسعی فی نشر المعارف الإسلاميه و تعليمها،و تصحيح الأهداف و السبل التی تؤدی إلی إصلاح المجتمع الإسلامی،و كذا السعی فی رفع حوائج المسلمين،و تحكيم العلاقات الداخليه و الخارجيه،و سائر الأمور المرتبطه بها.

و بعد إقامته صلی اللّه عليه و آله و سلم عشر سنوات فی المدينه،فارق الدنيا علی اثر سم دسّ فی طعامه علی يد امرأه يهوديه،طرحه فی الفراش أياما،و مما جاء فی الروايات أن آخر ما تكلم به النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم، وصيته فی العبيد و النساء.

۱- ۱) و فی روايه مشهوره يقول(ص)«الفقر فخری».و لمزيد الاطلاع فی هذا الفصل يراجع كتاب سيره ابن هشام و السيره الحلبيه و كتاب البحار ج ۶ و غيرها.

النبیّ الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و القرآن

کان الناس یطالبون النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم بالمعجزه،کما کانوا یطالبون سائر الأنبیاء فکان صلی اللّه علیه و آله و سلم یؤید المعاجز التی کانت لدی الأنبیاء، و القرآن الکریم یصرح بذلک.

و تذکر للنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم معاجز کثیره،إلّا أن البعض منها لا تتصف بالقطعیه فی روایتها،و لم تکن مورد قبول و اعتماد،و لکن المعجزه الباقیه له صلی اللّه علیه و آله و سلم و التی لا- تزال حیّه هی«القرآن الکریم»کتابه السماوی.فالقرآن الکریم کتاب سماوی یشتمل علی سته آلاف و نیف آیه،و ینقسم إلی مائه و أربع عشره سوره بما فیها الطویله و القصیره.

نزلت الآیات القرآنیه الکریمه بصوره تدریجیه خلال أیام بعثته و دعوته صلی اللّه علیه و آله و سلم طوال ثلاث و عشرین سنه،و کانت(توحی)إلیه صلی اللّه علیه و آله و سلم بصور مختلفه،من سوره أو آیه أو أقل من آیه،و فی أوقات متفاوته،فی لیل أو نهار،فی سفر أو حضر،فی الحرب أو السلم، و فی أیام الشدّه أو الرخاء.

و القرآن الکریم بنفسه،یصرّح أنه معجزه و قد تحدّی العرب فی ذلک الیوم،فکان فی القمه من الفصاحه و البلاغه،هذا ما یشهد به التأریخ،و کان فی المقدمه من حیث البیان و التعبیر،یقول تعالی فی کتابه العزیز:

فَلْیَأْتُوا بِحَدِیثٍ مِثْلِهِ إِنْ کانُوا صادِقِینَ

(۱)

.

۱- ۱) سوره الطور الآیه ۳۴.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(۱)

.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(۲)

.

فتحداهم القرآن بهذه الآيات،قائلا إذا كنتم تظنون أنه من كلام البشر،أو من عند محمد،أو أنه قد أخذه من أحد،فأتوا بمثله.أو بعشر سور منه أو بسوره واحده من سوره،و استعينوا بأيّه وسيله شئتم لتحقيق هذا الأمر،و ما كان جواب الفصحاء و البلغاء من العرب إلا أن قالوا إنه لسحر و يعجز من مثلنا أن يأتى به (۳).

إن القرآن الكريم لم يتحدّ العلماء من جهه الفصاحه و البلاغه فحسب،بل تحداهم من جهه المعنى أيضا،و تحدّى الجن و الإنس بما يمتلكون من قدرات فكريّه خلاّقه،لأنه يشتمل على البرنامج الكامل للحياه الإنسانيه،و لو محص تمحيصا دقيقا،لوجد أنه الأساس و الأصل فى مجالات الحياه الإنسانيه كلها،بما فيها الاعتقادات و الأخلاق و الأعمال التى ترتبط بالإنسان فإنه يعالج كل جانب من جوانبها بدقه تامه،فهو من الله الحقّ،و دينه دين الحق أيضا.

الإسلام دين يستلهم أحكامه و مواده من الله الحقّ و ليس من رغبه أكثريه الناس أو من فكر شخص حاكم قدير.

۱- ۱) سوره هود الآيه ۱۳.

۲- ۲) سوره يونس الآيه ۳۸.

۳- ۳) و مما نقل عن أشهر مشاهير العرب فى القرآن فى قوله تعالى «فَقالَ إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ» .سوره المدثر الآيه ۲۴-۲۵.

إن الركن الأساسی لهذا القانون الشامل هو الكلمه الحقه و هو الإيمان بالله الأحد،و أن جميع العلوم تنبثق من التوحيد،و من ثمّ تستنبط الأخلاق الإنسانيه المثلی من هذه الأصول،و تصبح جزء من هذا القانون،ثمّ تنظّم و تنسّق الكليات و الجزئيات و التی هی خارجه عن نطاق إحصاء البشر،و تدرس الوظائف التی ترتبط بها،و التی تنبع من التوحيد،و تصدر منه.

فی الدين الإسلامی ارتباط و ثيق بين الأصول و الفروع علی نحو يرجع كل حكم فرعی من أیّ باب-إذا ما محص-إلی كلمه التوحيد و ينتهی إليه.

و طبيعی أن التنظيم و التنسيق النهائی لمثل هذا القانون الواسع الشامل،مع ما يمتاز به من وحده و ارتباط،خارج عن قدره شخص ضليع فی علم الحقوق و القانون،و إن كان من أشهر مشاهيرهم، فضلا من أن الفهرست الابتدائی له ليس بالأمر اليسير،فكيف برجل يعيش فی زمن يتصف بالحياه البدائيه،فی خضم الآلاف من المشاكل و المصائب التی تهدّد الأموال و الأرواح و الفتن الداخليه و الخارجيه،و فی النهايه يبقی منفردا أمام العالم أجمع.

هذا فضلا من أن النبی صلی اللّه عليه و آله و سلم،لم يتعلّم القراءه و الكتابه عند معلم،لقد قضی ثلثی عمره و حياته قبل دعوته (۱)فی بيئه تفتقر

۱- ۱) و فی القرآن الكريم عن النبی(ص) «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» . سوره يونس الآيه ۱۶،و يقول أيضا: «وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ» سوره العنكبوت الآيه ۴۸. و يقول أيضا: «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمّٰا نَزَّلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ» .سوره البقره الآيه ۲۳.

إلی حضاره،و لم تسمع بمدنیه أو حضاره،کانوا یعیشون فی أرض صحراء قاحله،و جو مهلک،مع أتعس الظروف الحیاتیه،علما بأنها کانت تستعمر من قبل الدول المجاوره بین آونه و أخری،و مع کل هذه الظروف و الأحوال نجد القرآن الکریم یتحدّی من طریق آخر،و هو أنه أنزل بصوره تدریجیه مع ظروف متفاوته مختلفه، فی أیام الفتن و الأیام الاعتیادیه،فی الحرب و الصلح،و فی أیام القدره و أیام الضعف و غیرها،خلال ثلاث و عشرین سنه.

و لو لم یکن من کلام الله تعالی،و کان من صنع البشر،لوجد فیه تناقضا و تضادا کثیرا،فلا بدّ أن یأتی آخره أجود و أحسن من أوله،و أکثر تطورا،و هذا مما یؤیده التکامل التدریجی للبشر،فی حین نری أن الآیات المکیه و المدنیه علی نمط واحد،لم یختلف آخرها عن أوّلها،کتاب متشابه الأجزاء،یحیّر العقول فی قدره بیانه و وحده تنسیقه (۱).

ص: ۱۴۸

۱- ۱) فی قوله تعالی شأنه: «أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً» سوره النساء الآیه ۸۲.

معرفه المعاد

الإنسان روح و جسم

إن كلمه الروح و الجسم و النفس قد كثر استعمالها فی القرآن و السنه،علما بأن تصوّر الجسم و البدن الذی یتم عن طریق الحس قد یکون أمرا بسیطا،إلاّ أن تصور الروح و النفس لا یخلو من إبهام و غموض.

إن الباحثین و المتکلمین و الفلاسفه سواء من الشیعه أو من السنه،لهم نظریات متفاوته فی حقیقه الروح،و لکن الروح و البدن من وجهه نظر الإسلام هما حقیقتان متضادتان،فالبدن یفقد خواصه الحیاتیه بالموت،و یضمحل بصوره تدریجیه،و لکن الروح لیست هکذا،فإن الحیاه أصاله للروح،و ما دامت الروح فی الجسم،فإن الجسم یستمد حیاته منها،و عند ما تفارق الروح البدن،و تقطع علاقتها به،لا یقوی البدن علی القیام بأی عمل،إلا أن الروح تستمر فی حیاتها.

و مما یستنبط من تدبر الآیات القرآنیه،و کلام أهل بیت العصمه علیه السّلام أن الروح الإنسانیه غیر مادیه،و لکنها تؤلف نوعا من العلاقه و الوحده مع الجسم،إذ یقول الله تعالی فی کتابه المبین:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِینٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَکِینٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَهَ عَلَقَهً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَهَ مُضْغَهً

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَهَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

(۱)

.

و يتّضح من سياق الآيات،أن أوائلها تصف الخلقه الماديه بشكلها التدريجى،و أواخرها تشير إلى خلقه الروح أو الشعور و الإراده؛و تصفها بأنها خلقه أخرى،تختلف عن خلقتها الأولى.

و فى آيه أخرى فى الردّ على من يستبعد«المعاد»أو ينكره يشرح القرآن الكريم كيف أن الإنسان تستعاد خلقته بعد موته و تفتت أجزائه،و تمازجها مع أجزاء التربه،و يرجع كما كان إنسانا كاملا، يقول الله سبحانه و تعالى: قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (۲).أى أن الأرواح تقبض على يد ملك الموت من أبدانكم،و تحفظ عندنا.

و يعرّف القرآن الكريم الروح بصورتها المطلقه غير الماديه، بقوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى (۳).و فى آيه أخرى من الذكر الحكيم،يتطرق إلى موضوع الأمر بقوله:

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

(۴)

.و بمقتضى هذه الآيات أن أمر الله تعالى فى خلقته للأشياء لم يكن تدريجا،و لم يكن محددا بزمان أو مكان،و لما كانت الروح أمرا من الله إذن فهى ليست بماده،و لم يكن فى كنهها خاصه الماده التى تتصف بالتدرّج و الزمان و المكان.

۱- ۱) سوره المؤمنون الآيه ۱۲-۱۴.

۲- ۲) سوره السجده الآيه ۱۱.

۳- ۳) سوره الإسراء الآيه ۸۵.

۴- ۴) سوره يس الآيه ۸۲.

مبحث فی حقیقه الروح من منظار آخر

إن الاستدلالات العقلیّه تؤید القرآن الکریم أیضا فی موضوع الروح.کلّ واحد منا یدرک حقیقه من وجوده،و التی نعبّر عنها بال «أنا»و هـذا الإدراک موجود فی الإنسان بصوره مستمره،و أحیانا ینسی بعض أعضاء جسـمه من رأس أو ید أو سائر الأعضاء، و حتی جسمه کلیا،و لکن یدرک ال«أنا»عند ما یکون هو موجودا.

و هذا«المشـهود»کما هو مشـهود،غیر قابل للانقسام و التجزئه،مع أن جسم الإنسان فی تغیّر و تحوّل دائم،و یتخذ أمکنه مختلفه، و تمرّ علیه أزمنه مختلفه إلّا أنّ الحقیقه المـذکوره و هی ال(أنا) ثابته فی حقیقتها لا تقبل التغییر أو التبـدیل،و واضح بأنها لو کانت ماده،لتقبلت الماده،بما فیها الانقسام و تغیّر الزمان و المکان.

نعم إن الجسم یتقبـل کـل هـذه الخواص،و بمـا أن هـذه الخواص لهـا ارتبـاط روحی،فتنسب إلی الروح.و لکن مع تأمل و تـدبر یتجلی للإنسان،إن هـذا المکان و ذلک المکان،و هـذا الشـکل و ذلک الشـکل، و کلها من خواص البدن،و الروح منزهه عنها،و کل من هذه الصفات إنما تنتقل إلی الروح عن طریق البدن.

یسـری هذا البیان فی خاصـیه الإدراک و الشعور علی(العلم) و الذی هو من ممیزات الروح.و بدیهی أن العلم إذا کان یتصف بما تتصف به الماده،لکان تباعا یتقبل الانقسام و التجزئه و الزمان و المکان.

إن هذا البحث العقلی واسع مطوّل،تتبعه أسئله و أجوبه،و لا یسعه کتابنا هذا،و هذا المقدار من البحث إنما أدرج هنا علی

سبیل الإشاره،و لغرض استقصائه و استقرائه یستلزم الرجوع إلی الکتب الفلسفیه الإسلامیه.

الموت من وجهه نظر الإسلام

إن النظره العابره تفترض أن موت الإنسان فناؤه و عدمه، و تحدید حیاه الإنسان بالأیام التی یعیشها فیما بین ولادته و وفاته، فی حین نری أن الإسلام یعتبر الموت انتقالا من مرحله حیاتیه إلی مرحله حیاتیه أخری،فللإنسان حیاه أبدیّه لا نهایه لها،و ما الموت الذی یفصل بین الروح و الجسم إلا لیورده المرحله الأخری من حیاته،و أن السعاده و الشقاء فیها یعتمدان علی الأعمال الحسنه أو السیئه فی مرحله حیاته قبل الموت،و یروی عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،ما مضمونه،تظنون أنکم تفنون بالموت،و لکنکم تنتقلون من بیت لآخر (۱).

عالم البرزخ

و مما یستفاد من القرآن الکریم و السنه،إن الإنسان یتمتع بحیاه مؤقته و محدوده فی الحدّ الفاصل بین الموت و یوم القیامه، و التی تعتبر رابطه بین الحیاه الدنیا و الحیاه الأخری (۲).

و الإنسان بعد موته،یحاسب محاسبه خاصه من حیث الاعتقاد،و الأعمال الحسنه و السیئه التی کان علیها فی الدنیا،

۱- ۱) بحار الأنوار ج ۳:۱۶۱.الاعتقادات للصدوق.

۲- ۲) البحار ج ۲ باب عالم البرزخ.

و بعد هذه المحاسبه المختصره،و وفقا للنتيجه التى يحصل عليها، يحكم عليه بحياه سعيده أو شقيّه،و يكون عليها إلى يوم القيامه (۱).

و حاله الإنسان فى عالم البرزخ تشابه كثيرا حاله الشخص الذى يراد التحقيق معه لما قام به من أعمال،فيجلب إلى دائره قضائيه كى تتم مراحل الاستجواب و الاستنطاق منه،لغرض تنظيم ملفّ له و بعدها يقضى فتره ينتظر خلالها وقت محاكمته.

روح الإنسان فى عالم البرزخ،تعيش بالشكل الذى كانت عليه فى الدنيا،فإذا كانت صالحه،تتمتع بالسعاده و النعمه و جوار الصلحاء و المقرّبين لله تعالى،و إذا كانت شقيه،فإنها تقضى هذه الفتره فى النقمه و العذاب،و مصاحبه الأشرار،و أهل الضلال.

فالله جلّ شأنه يصف حاله بعض السعداء بقوله:

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ

(۲)

.

و فى وصف حاله مجموعه أخرى،من الذين كانوا ينفقون أموالهم و ثرواتهم فى مشاريع غير مشروعه فى الحياه الدنيا، يصفهم بقوله تعالى:

حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ

۱- ۱) البحار ج ۲ باب عالم البرزخ.

۲- ۲) سوره آل عمران الآيه ۱۶۹-۱۷۱.

صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّهٰا كَلِمَهٌ هُوَ قٰائِلُهٰا وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(۱)

.

يوم القيامه.المعاد

ينفرد القرآن الكريم بين الكتب السماويه،بالتحدث عن المعاد و الحشر تفصيلا،فى حين أن«التوراه»لم يشر إلى هذا اليوم و هذا الموقف،و كتاب«الإنجيل»يشير إليه إشاره مختصره،فإن القرآن يذكره و يذكّر به فى مئات الموارد،و بأسماء شتّى،و يشرح العاقبه التى تنتظر العالم و البشريه،تاره باختصار و أخرى بإسهاب.

و يذكّر مرارا أنّ الاعتقاد بيوم الجزاء(يوم القيامه)يعادل الاعتقاد بالله تعالى،و يعتبر أحد الأصول الثلاثه للإسلام و منكره (منكر المعاد)،خارج عن شريعه الإسلام و ما عاقبته إلاّ الهلاك و الخسران.

و حقيقه الأمر هكذا،بأنه إذا لم تكن هناك محاسبه و جزاء و عقاب،فإن الدعوه الدينيه بما تحتوى من أوامر الله و نواهيه،لم يكن لها أدنى فائده أو أثر،و أن وجود النبوه و الإبلاغ و عدمه سواء، بل يرجّح عدمه على وجوده،لأن تقبل الدين و اتباع موازين الشرع، لا يخلو من تكلّف و سلب للحريّه،و إذا لم يكن اتباع الدين له أثر أو نتيجه،لن يتحمّل الناس هذا العبء و هذه المسئوليه،و لن يتخلوا عن الحريه الطبيعيّه.

۱- ۱) سوره المؤمنون الآيه ۹۹-۱۰۰.

و من هنا يتّضح أن أهميّه ذكر يوم الحشر و تذكّره يعادل أهميه أصل الدعوه الدينيه.

و يتضح أيضا أن الاعتقاد بيوم الجزاء من أهم العوامل التى تجبر الإنسان على أن ينتهج الورع و التقوى،و أن يتجنب الأخلاق الرذيله،و المعاصى و الذنوب،كما أن نسيانه،أو عدم الاعتقاد به، سوف يكون أساسا و أصلا لكل معصيه أو ذنب،و يقول جلّ من قائل:

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ

(۱)

.

و مما يلاحظ فى الآيه،أن منشأ كل ضلال هو نسيان يوم الحساب.

و بالتدبّر فى خلقه الإنسان و العالم،و كذا فى الهدف من الشرائع السماويه،يتّضح الغرض من اليوم الذى سيلاقيه الإنسان «يوم الجزاء».

و نحن عند ما نتدبر الأعمال و الأفعال فى الطبيعه،نرى أن كل عمل(و الذى يحتوى على نوع من الحركه بالضروره)لا يتم إلّا لغايه و هدف،و ليس العمل نفسه بالأصاله هو المقصود،بل أنه مقدمه لهدف و غايه فيكون مطلوبا لذلك الهدف أو لتلك الغايه، حتى فى الأعمال التى تعتبر سطحيّه مثل الأفعال الطبيعيه و الأعمال الصبيانيه و نظائرها،لو دققنا فيها لوجدنا فيها غايات

۱- ۱) سوره ص الآيه ۲۶.

و أغراضا تناسب نوع الفعل،كما فى الأعمال الطبيعيه التى تتصف بالحركه غالبا،فإن الغايه التى تسعى إليها هذه الحركه تعتبر الغايه و الهدف لها،و أما فى لعب الأطفال و ما يتناسب مع نوع اللعبه،فإن هناك غايه خياليه وهميّه،و الهدف من اللعبه هو الوصول إليها.

و فى الحقيقه أن خلقه الإنسان و العالم،من أعمال الله تعالى و هو منزّه عن أن يقوم بأعمال عبث دون هدف أو غرض،فهو الذى يخلق،و يرزق و يميت،و هكذا يخلق و يهلك فهل يتصور أن يكون خلقه هذا دون هدف معيّن،و غرض محكم يتابعه.

إذن لا بد لخلق الكون و الإنسان،من هدف و غايه ثابته، و الفائده منه لا تعود إلى الله الغنى المتعال،فكل ما فيه يعود للمخلوق نفسه.إذن يجب الاعتراف بأن الكون بما فيه الإنسان يتجه و يسير نحو خلقه معيّنه خاصه،و وجود أكمل،لا يتصفان بالفناء و الزوال.

و إذا أمعنا النظر فى حاله الناس و وضعهم،و مدى تأثرهم بالتربيه الدينيّه،فإننا نرى أن الناس نتيجه الارشادات الإلهيّه، و التربيه الدينيّه،ينقسمون إلى قسمين،و هم الأخيار و الأشرار، و مع هذا فإننا لا نجد أىّ امتياز أو فارق فى هذه الحياه،بل على العكس،غالبا ما تكون الموفقيه للأشرار و الظالمين،أما الأخيار فإنهم مبتلون بالفتن و المشاكل و الحياه السيئه و الحرمان و تحمّل الظلم.

و الحال هذه تقتضى العداله الإلهيه أن تكون هناك نشأه

أخرى،حتى يجد فيها كل من الفريقين المذكورين،جزاء أعمالهم، و يحيون حياه تناسب حالهم،و يشير الله تعالى فى كتابه العزيز إلى هاتين الحالتين بقوله:

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ* مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ

(۱)

.

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا بٰاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّٰارِ* أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّٰارِ

(۲)

.

و يذكر سبحانه و تعالى فى آيه أخرى،جمع فيها الدليلين بقوله جلّ شأنه:

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَ مَمٰاتُهُمْ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ* وَ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

(۳)

.

بيان آخر

قد أشرنا فى الفصل الثانى من الكتاب فى مبحث الظاهر و الباطن القرآنى،إنّ المعارف الإسلاميه فى القرآن الكريم،مبيّنه بطرق مختلفه،و الطرق المذكوره بشكل تنقسم إلى قسمين،الظاهر و الباطن.

۱- ۱) سوره الدخان الآيه ۳۸-۳۹.

۲- ۲) سوره ص الآيه ۲۷-۲۸.

۳- ۳) سوره الجاثيه الآيه ۲۱-۲۲.

و المراد من طريق الظاهر،هو البيان الذى يتناسب مع مستوى أفكار العامه،على خلاف الطريق الباطن الذى يختصّ بالخاصه منهم،و يدرک مع روح الحياه المعنويّه.

و البيان الذى يؤخذ عن طريق الظاهر مؤداه أن الله تعالى الحاكم المطلق لعالم الخلقه،فكل ما فى هذا الكون ملكه،فهو الذى خلق الملائكه التى لا يعلم إحصاؤها كى تكون مطيعه و منفّذه لأوامره، يرسلهم إلى حيث شاء من الكون،و لكل بقعه من عالم الطبيعه و ما يلازمها من نظم ترتبط بمجموعه خاصه من الملائكه موكّلين عليها.

و النوع الإنسانى من مخلوقاته و عباده الذين يجب عليهم اتباع أوامره و نواهيه،و الطاعه له،و ما الأنبياء إلاّ حمله شرائعه و قوانينه،يبعثهم إلى الناس،لبيان و إجراء تلك الشرائع و القوانين.

فالله جلّ ثناؤه،لما جعل الثواب و الأجر لمن آمن و أطاع،جعل العقاب و العذاب لمن كفر و عصى،و هو القائل، وَ لَنْ يُخْلِفَ اللّهُ وَعْدَهُ ،و لما كان عادلا فعدالته تقتضى أن يفصل بين الفريقين فى النشأه الأخرى،و هما الأخيار و الأشرار،و أن يمتّع الأخيار بالنعيم،و للأشرار الشقاء.

و قد وعد الله تعالى بمقتضى عدله،أن يحشر الناس الذين مروا فى الحياه الدنيا دون استثناء،و يحاسبهم حسابا دقيقا فى معتقداتهم و أعمالهم،من صغيره أو كبيره،و يقضى بينهم بالحق و العدل،و فى النهايه،سيوصل لكل ذى حق حقه،و يأخذ لكل مظلوم نصيبه ممن ظلمه،و يعطى أجر عمل كل عامل،و يصدر الحكم لفريق فى الجنه و فريق فى السعير.

هذا هو البيان الظاهرى للقرآن الكريم،و قد جاء مطابقا لفكر الإنسان الاجتماعى،لتكون فائدته أعمّ،و نطاقه أشمل.

أما الذين تعمّقوا فى الحقائق،و لهم القدره على فهم المعنى الباطنى للقرآن الكريم،فهم يدركون الآيات القرآنيه على مستوى أرفع من العامه.و القرآن الكريم،يلمح خلال تعابيره البسيطه أحيانا بالمعنى الباطنى تلميحا.

فالقرآن الكريم بتعابيره المختلفه،يذكر إجمالا أنّ الطبيعه بجميع أجزائها،و الإنسان أحدها،فى سيرها التكوينى(نحو الكمال)تصير إلى الله تعالى،و سيأتى اليوم الذى تنتهى حركتها و سيرها،و تفقد إنيّتها و استقلالها كليا.

و الإنسان هو جزء من أجزاء هذا الكون،فإن طريق كماله الخاص يتم عن طريق الشعور و العلم،مسرعا فى طريقه إلى الله تعالى،و اليوم الذى يختتم به هذا المسير،سيشاهد عيانا حقانيه الله الأحد،و سيرى أن القدره و الملك و كل صفه من صفات الكمال تنحصر فى ذاته القدسيه،و من هذا الطريق،ستتجلّى له حقيقه الأشياء كلها.

و هذا هو أول منزل و موقف من العالم الأبدى،فإذا كان الإنسان فى هذه الدنيا،بإيمانه و عمله الصالح،أوجد ارتباطا و اتصالا بالله تعالى و استأنس به،و بالمقربين من عباده،سيحظى بسعاده لا توصف،و سيكون فى جوار الله سبحانه،و يكون قرين الصالحين فى العالم العلوى،و إذا ما كان ممن تربطهم علاقه وثيقه بهذه الدنيا الدنيئه،و لذائذها الزائله،فقد قطع اتصاله بالعالم العلوى،

و لم تقم بينه و بين خالقه رابطه أو اتصال و لا مع المقربين من عباده،فإنه سيحاط بعذاب دائم،و خزى أبدى.

صحيح أن الأعمال الحسنه و السيئه للإنسان فى هذه الدنيا تزول و تذهب،لكن صور الأعمال هذه تستقر فى باطنه،و أينما رحل فهى معه،و تكون مصدر حياته الآتيه سواء فى السعاده أو الشقاء.

و كل ما ذكر يمكن استنتاجه من الآيات التاليه:

يقول جلّ من قائل: إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ (۱).

و يقول: أَلا إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (۲).

و يقول: وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ (۳):

و يقول: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ* اِرْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَهً مَرْضِيَّهً* فَادْخُلِى فِى عِبادِى* وَ ادْخُلِى جَنَّتِى (۴).

و يخاطب الله سبحانه يوم القيامه بعض أفراد البشر،بقوله:

لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَهٍ مِنْ هٰذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ

(۵)

.

و فى تأويل القرآن الكريم،و الحقائق التى تنبع منه الآيات،يقول جلّ اسمه:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ

۱- ۱) سوره العلق الآيه ۸.

۲- ۲) سوره الشورى الآيه ۵۳.

۳- ۳) سوره الانفطار الآيه ۱۹.

۴- ۴) سوره الفجر الآيه ۲۷-۳۰.

۵- ۵) سوره ق الآيه ۲۲.

قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ

(۱)

.

و يقول تعالى:

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ

(۲)

.

و يقول تعالى شأنه:

يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ

(۳)

.

و يقول تعالى ذكره:

مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ

(۴)

.

و يقول تعالى اسمه:

فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ.فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

(۵)

.

و یقول سبحانه:

یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ اِرْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی

(۶)

.

ص: ۱۶۱

۱- ۱) سوره الأعراف الآیه ۵۳.

۲- ۲) سوره النور الآیه ۲۵.

۳- ۳) سوره الانشقاق الآیه ۶.

۴- ۴) سوره العنکبوت الآیه ۵.

۵- ۵) سوره الکهف الآیه ۱۱۰.

۶- ۶) سوره الفجر الآیه ۲۷-۳۰.

و يقول سبحانه و تعالى:

فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى* وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى* فَأَمَّا مَنْ طَغى* وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى* وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى

(۱)

.

و يتعرض القرآن الكريم لحقيقه جزاء الأعمال قائلا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲).

استمرار الخلقه و تعاقبها

إن عالم الخلقه الذى نشاهده،له عمر محدود،و سيأتى اليوم الذى يفنى فيه و يزول،كما يؤيد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى (۳).

و هل خلق عالم،و هل كان هناك إنسان،قبل ظهور عالمنا هذا و البشر الذى يعيش فيه حاليا؟و هل بعد زوال و فناء هذا العالم بما فيه،و الذى يخبر به القرآن الكريم سينشأ عالم آخر و سيخلق بشر،فهذه أسئله لا نجد جوابها فى القرآن الكريم إلاّ تلميحا، لكن الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام،تجيب بإيجاب عن هذه الأسئله (۴).

۱- ۱) سوره النازعات الآيه ۳۴-۴۱.

۲- ۲) سوره التحريم الآيه ۷.

۳- ۳) سوره الأحقاف الآيه ۳.

۴- ۴) البحار ج ۱۴:۷۹.

معرفه الإمام

معنى الإمام

تطلق كلمه الإمام أو القائد على شخص يقود جماعه أو فئه، و يتحمل عبء هذه المسئوليه،فى المسائل الاجتماعيه أو السياسيه أو الدينيه،و يرتبط عمله بالمحيط الذى يعيش فيه،و مدى سعه المجال للعمل فيه أو ضيقه.

إن الشريعه الإسلاميه المقدسه(كما اتضح فى الفصول السابقه)تنظر إلى الحياه العامه للبشر من كل الجهات،فهى تصدّر أوامرها لإرشاد الإنسان فى الحياه المعنويه،و كذا فى الحياه الصوريّه من الناحيه الفرديه،و تتدخل فى إداره شئونه،كما تتدخل فى حياته الاجتماعيه و القياديه(الحكومه)أيضا.

و على ما مرّ ذكره،فإن الإمام أو القائد الدينى فى الإسلام، يمكن أن يكون مورد نظر من جهات ثلاث:

الأولى: من جهه الحكومه الإسلاميه.

الثانيه: من جهه بيان المعارف و الأحكام الإسلاميه المعنويّه.

تعتقد الشيعه بأن المجتمع الإسلامى يحتاج إلى الجهات الثلاث التى سبق ذكرها،احتياجا مبرما،و الشخص الذى يتصدّى لقياده الجهات الثلاث،بما فيها قياده المجتمع،يجب أن يعيّن من قبل الله و الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم،علما بأن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أيضا يعيّن الإمام بأمر من الله تعالى.

ص :۱۶۳

إن الإنسان بما یمتاز به من مواهب إلهیه،یدرک جیدا و من دون تردّد،إن أی مجتمع متآلف،فی أیّه بقعه أو مملکه أو مدینه أو قریه أو قبیله،و حتی فی بیت واحد یتألف من عده أفراد،لن یستطیع أن یعیش و یستمرّ فی حیاته دون قائد أو ناظر علیه،فهو الذی یجعل الحیاه نابضه،یحرّک عجلات اقتصادها،یحفّز کل فرد من أفراد المجتمع لإنجاز وظیفته الاجتماعیه.فالمجتمع الفاقد لقائد،لا یستطیع أن یستمر فی حیاته،و فی أقل فتره ینهار قوامه،و یسیر نحو الهمجیه و التحلل الخلقی.

فعلی هذا،الشخص الذی یتولی قیاده مجتمع(سواء أ کان کبیرا أم صغیرا)و یعیر اهتماما لمنصبه و مقامه،و یبدی عنایته لبقاء ذلک المجتمع،نجده یعیّن خلفا له فیما لو أراد أن یغیب عن محل عمله (سواء أ کانت الغیبه مؤقته أم دائمه)و لا یتخلی عن مقامه ما لم یعین أحدا،و لا یترک بلاده،أو بقعته دون ناظر أو حارس علیها أو قائد لها،لأنه یعلم جیدا،أنّ غضّ النظر عن هذه المهمه و عدم استخلاف أحد،یؤدّی بمجتمعه إلی الزوال و الاضمحلال،کما لو أراد ربّ البیت أن یسافر عده أیام أو أشهر،فإنه یختار أحد أفراد أسرته(أو غیرهم)مکانه،و یلقی إلیه مقالید الإداره فی البیت،و هکذا الرئیس لمؤسسه أو المدیر لمدرسه،أو التاجر لمحله،و هو یشرف علی موظفین أو صنّاع یعملون تحت أمرته،فلو قدر أن یترک محل عمله لساعات قلیله فإنه یختار أحدهم و یعیّنه مکانه،کی یتسنّی للآخرین الرجوع إلیه،فی المشکلات أو المعضلات،و قس علی هذا...

الإسلام دين قوامه الفطره،و ذلك بنصّ القرآن الحكيم و السنه النبويّه،و هو نظام اجتماعى،يدركه كل من له إلمام بهذا الدين، و من ليس له صله به.و العنايه الخاصه التى قد بذلها الله جلّ و علا،و نبيّه الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم لهذا الدين الجامع،لا ينكرها أحد،و لا يسعنا مقارنتها مع أى أمر آخر.

فالنبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم كان لا يترك المجتمع الذى يدخل فى الإسلام،أو المجتمع الذى قد سيطر عليه الإسلام،و كذا كل بلده أو قريه كانت تقع تحت أمره المسلمين،دون أن يرسل إليها واليا أو عاملا،مباشره،كى يدير شئون تلك المجتمعات أو البقاع،و كان هذا دأب النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،فى الجهاد،فعند ما كان يرسل كتيبه إلى مكان ما،كان يعين قائدا لها،و كان يعين أكثر من قائد أحيانا،كما حدث ذلك فى حرب(مؤته)إذ عيّن صلى اللّه عليه و آله و سلم أربعه،فإذا ما قتل الأول، خلفه الثانى من بعده،و إذا ما قتل الثانى،خلفه الثالث...و هكذا.

و قد أبدى الإسلام بموضوع الخلافه و الاستخلاف عنايه تامه، فلم يتغافل عن هذا الموضوع،و متى ما أراد النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،أن يترك المدينه،كان يستخلف أحدا.و فى الوقت الذى أراد الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم الهجره من مكه إلى المدينه،عيّن عليا خليفه له فى مكه،للقيام بالأعمال الخاصه به لفتره قصيره،كأداء الأمانات إلى أهلها،و قد أوصى صلى اللّه عليه و آله و سلم لعلى عليه السّلام أن يقوم بأداء الديون و ما يتعلق بشئونه الخاصه،بعد وفاته صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و وفقا لهذه القاعده،فإن الشيعه تدّعى أنه لا يتصوّر أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم قبيل وفاته لم يوص لأحد يستخلفه فى شئون الأمه من

بعده،أو أنه لم يعين شخصا يقوم بإداره الدوله الإسلاميه.

و ليس هناك من شك،و الفطره الإنسانيه تقرّ،بأن نشوء مجتمع ما يرتبط بمجموعه من عادات و تقاليد مشتركه تقرّها أكثريه ساحقه لذلك المجتمع،و كذا يرتبط بقاؤها و دوامها بحكومه عادله تتبنّى إجراء تلك العادات و التقاليد إجراء كاملا،و هذا الأمر لا يخفى على الشخص اللبيب أو يغفل عنه،فى حين أنه ليس هناك مجال للشك فى الشريعه الإسلاميه،بما فيها من دقه و نظام،و لما كان يبديه النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم من احترام و تقدير لتلك الشريعه،إذ كان يضحّى بما فى وسعه فى سبيلها،أن يهمل الموضوع أو يتركه.علما بأن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،كان نابغه زمانه،فى قوه تفكره،و فراسته و تدبيره،(فضلا عن مستلزمات الوحى و النبوه و ما تتبعها من تأييدات).

و كما نجد فى الأخبار المتواتره عن طريق العامه و الخاصه،فى كتب الأحاديث و الروايات(باب الفتن و غيرها)،إنه صلى اللّه عليه و آله و سلم كان ينبئ بالفتن و المحن التى ستلاقيها الأمه الإسلاميه بعده،و ما يشوب الإسلام من فساد،كحكومه آل مروان و غيرهم،الذين غيّروا و حرّفوا الشريعه السمحاء،فكيف يعقل أن من يهتم بأمور تحدث بعد سنوات عديده متأخره عن وفاته،و ما تنطوى عليها من فتن و مصائب،أن يتغافل عن موضوع يحدث بعيد وفاته،و فى الأيام الأوّل بعد رحيله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟!او لا يبدى اهتماما لموضوع خطير من جهه، و بسيط من جهه أخرى،فى حين كان يبدى اهتمامه لأبسط الأمور الاعتياديه،كالأكل و الشرب و النوم و ما شاكل،فنجده يصدّر

الأوامر اللازمه لهذه المسائل الطبيعيه،فكيف لا يبدى اهتماما لمسائل أساسيه هامه أو أن يختار الصمت إزاءها،و لا يعيّن أحدا مكانه؟

و على فرض المحال،لو كان تعيين القائد لمجتمع إسلامى فى الشريعه الإسلاميه،منوطا بالمجتمع نفسه،لكان لزاما على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،أن يصرّح فى هذا الخصوص و يشير إليه إشاره وافيه، و يعطى الأمّه الإرشادات اللازمه،كى تصبح واعيه أمام موضوع يضمن لها تقدمها و تكاملها،و تتوقف عليه شعائر دينها.

فى حين أننا لم نجد مثل هذا التصريح،و لو كان هناك نصّ صريح لما خالفه من جاء من بعده،و ذلك ما حدث من الخليفه الأوّل،و انتقال الخلافه إلى الثانى بوصيه منه،و الرابع أوصى لابنه،أما الخليفه الثانى فقد دفع الثالث إلى منصه الخلافه بحجّه أنه أحال الأمر من بعده إلى شورى تتضمن سته أعضاء، و قد عين هؤلاء الأعضاء،و كذا كيفيه انتخابهم.

أما معاويه فقد استعمل الشدّه حتى صالح الإمام الحسن عليه السّلام، و استتب له الأمر،و بعدها صارت الخلافه وراثيه،و تغيّرت الشعائر الدينيه،من جهاد و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و إقامه الحدود و غيرها.كل هذه قد زالت عن المجتمع الإسلامى،فاضحت جهود الشارع هباء (۱).

۱- ۱) فيما يتعلق بموضوع الإمامه و خلافه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و الحكومه الإسلاميه،تراجع المصادر التاليه:تاريخ اليعقوبى ج ۲:۲۶-۶۱-السيره لابن هشام ج ۲:۲۲۳-۲۷۱. تاريخ أبى الفداء ج ۱:/۱۲۶غايه المرام صفحه ۶۶۴ نقلا عن مسند أحمد و غيره.

أما الشيعه فقد حصلت على هذه النتيجه خلال البحث و الدراسه فى الوعى الفطرى للإنسان،و السيره المستمره للعقلاء، و بالتعمّق و الفحص فى الأسس الأساسيه للشريعه الإسلاميه و التى تهدف إلى إحياء هذه الفطره الإنسانيه،و بالتأمل فى الحياه الاجتماعيه التى كان ينهجها النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و كذا بدراسه الحوادث المؤسفه التى حدثت بعد فاته،و التى عانت الأمه الإسلاميه منها عناء بالغا،و دراسه وضع الحكومات الإسلاميه فى القرن الأول،و ما لازمها من قصور عن أداء وظائفها،فإننا نصل إلى هذه النتيجه.

ثم إن هناك نصوصا كافيه قد صرّحت من قبل النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى خصوص تعيين إمام و خليفه من بعده،و أن الآيات و الأخبار المتواتره القطعيه تشير إلى هذا المعنى،كآيه الولايه و حديث غدير خم (۱)و حديث السفينه و حديث الثقلين،و حديث الحقّ و حديث

۱- ۱) و يستدل آيات من الذكر الحكيم لإثبات خلافه على بن أبى طالب(ع)منها الآيه: «إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاٰهَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ» الآيه ۵۵ من سوره المائده. اتفق المفسرون شيعه و سنه،إن الآيه المذكوره،نزلت فى شأن على بن أبى طالب(ع)، و تؤيد ذلك المزيد من الروايات عن طريق العامه و الخاصه. و مما ينقل عن أبى ذر الغفارى أنه قال:«صلّيت مع رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يوما من الأيام صلاه الظهر،فسأل سائل فى المسجد،فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء و قال:اللهم اشهد إنى سألت فى مسجد رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فلم يعطنى أحد شيئا،و كان على راكعا و أومى إليه بخنصره اليمنى،و كان يتختم فيها،فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره،و ذلك بعين النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فلما فرغ من صلاته،رفع رأسه إلى السماء و قال:اللهم،سألك موسى،فقال: «رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى* وَ يَسِّرْ لِى أَمْرِى* وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِى* يَفْقَهُوا قَوْلِى وَ اجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى* هٰارُونَ أَخِى* اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِى* وَ أَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى» .فانزلت عليه قرآنا ناطقا: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ، وَ نَجْعَلُ لَكُمٰا سُلْطٰاناً فَلاٰ يَصِلُونَ إِلَيْكُمٰا بِآيٰاتِنٰا أَنْتُمٰا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰالِبُونَ» -

المنزله و حدیث دعوه العشیره الأقربین و غیرها،و لکن المراد من الآیات و الأحادیث الآنفه الذکر قد أوّل و حرّف لأسباب و دواع.

۱)

-اللهم و أنا محمد نبیک و صفیک،اللهم و اشرح لی صدری،و یسّر لی أمری و اجعل لی وزیرا من أهلی علیا،اشدد به ظهری. قال أبو ذر:فما أنهی الکلمه،حتی نزل علیه جبرئیل(ع)من عند الله تعالی،فقال:یا محمد اقرأ،قال النبی(ص):و ما اقرأ؟قال جبرئیل(ع):اقرأ: «إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاٰهَ وَ هُمْ رٰاکِعُونَ» . و من الآیات التی یستدل بها علی خلافه علی بن أبی طالب(ع)هی الآیه: «الْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ دِینِکُمْ فَلاٰ تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلاٰمَ دِیناً» .المائده الآیه(۳). فظاهر الآیه یدل علی أن الکفار کانوا یأملون فی انتهاء الدعوه الإسلامیه و زوال معالمها،و لکن الله سبحانه و تعالی قد أبدل أمنیاتهم إلی یأس بالآیه المذکوره،لقد أکمل دینه و قوّم بنیانه،و ربما لم یکن الأمر هذا من الأحکام الجزئیه فی الإسلام،بل أمر ینطوی علی أهمیه خاصه،یعتمد علیه بقاء الإسلام و استمراره. لعلّ ظاهر الآیه هذه یرتبط بالآیه الأخیره من السوره ذاتها، «یٰا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَ اللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّٰاسِ» الآیه ۶۷ من سوره المائده. تدل هذه الآیه علی أن هناک أمرا خطیرا،انذر به الرسول الأعظم(ص)لا بد من تحققه،فإذا ما أهمل فیه،فإن رساله الإسلام و أهدافه ستتعرض للخطر،و الأمر بما ینطوی علیه من أهمیه خاصه،فإن الرسول(ص)کان یخشی المعارضه من قبل المخالفین،و کان ینتظر الفرصه المناسبه لبیانه و إظهاره،لذا کان یؤجل إعلان الأمر للأمه الإسلامیه،حتی نزل الوحی من السماء،یطلب فیها ربّ العالمین من الرسول الکریم(ص)أن یبادر فی إعلانه دون تأمل و تهاون،و ألا یخشی أحدا سوی الله جلّ و علا. فالموضوع هذا لم یکن من نسخ الأحکام،لأن عدم تبلیغ الأحکام الإسلامیه أو إعلان بعضها منه،لا یعنی تزلزل الکیان الإسلامی بأسره،هذا من جهه،و من جهه أخری، فإن النبی الأکرم(ص)کان یخشی من تبیان الأحکام الإسلامیه للأمه الإسلامیه. فهذه الشواهد و القرائن،تؤید الأخبار أن الآیات التی ذکرت،قد نزلت فی غدیر خم، فی شأن علی بن أبی طالب(ع)و أیّده الکثیر من المفسرین من إخواننا أهل السنه. و مما یروی عن أبی سعید الخدری أنه قال:إن رسول الله(ص)دعا الناس إلی علی (ع)فی غدیر خم،فأخذ بضبعیه فرفعهما،حتی نظر الناس إلی بیاض ابطی رسول-

(۱

-الله(ص)ثم لم يفترقوا حتى نزلت هذه الآيه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» .فقال رسول الله(ص):الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمه و رضا الرب برسالتى،و الولايه لعلى من بعدى،ثم قال:من كنت مولاه فعلى مولاه،اللهم وال من والاه،و عاد من عاداه،و انصر من نصره،و اخذل من خذله) غايه المرام البحرانى صفحه ۳۳۶. و قد ذكرت سته أحاديث عن طرق العامه،و خمسه عشر حديثا عن طرق الخاصه فى شأن نزول الآيه المذكوره.و صفوه القول،أن أعداء الإسلام الذين طالما حاولوا الإطاحه بالإسلام و قيمه،و تناولوا شتى الوسائل لهذا الغرض،باءت محاولاتهم هذه بالفشل،و قد خيّم اليأس عليهم،فأصبحوا متربصين للأمر،و بعد وفاه الرسول(ص) الذى كان يعتبر حافظا للإسلام و حارسا له،و بوفاته يتزلزل قوام الإسلام،و تنهدم أركانه.إلا أن هذه الأمنيات،فندت فى يوم غدير خم،إذ أعلن نبىّ الإسلام أن عليا خليفته و وصيه الذى سيستخلفه للحفاظ على كيان الإسلام فعرّفه للأمه،و بعد على، أنيطت هذه المسئوليه الخطيره لآل على.و لمزيد من الاطلاع يراجع تفسير الميزان، الجزء الخامس صفحه ۱۷۷-۲۱۴ و الجزء السادس صفحه ۵۰-۶۴،من مصنفات مؤلف هذا الكتاب. حديث الغدير:عند عوده الرسول(ص)من حجّه الوداع،مكث فى مكان يدعى(غدير خم)،فأمر أن يجمع المسلمون العائدون من الحجّ،فاجتمعوا،فخطب فيهم،و نصب عليا قائدا للأمه الإسلاميه من بعده،فأعطاه الولايه،و جعله خليفه للمسلمين من بعده. عن البراء،قال:كنّا مع رسوله الله(ص)فى حجه الوداع،فلما أتينا على غدير خم، كشح لرسول الله(ص)تحت شجرتين و نودى فى الناس،الصلاه جامعه،و دعا رسول الله(ص)عليا،و أخذ بيده فأقامه عن يمينه،فقال:أ لست أولى بكل امرئ من نفسه، قالوا:بلى،قال:«فإن هذا مولى من أنا مولاه،اللهم وال من والاه،و عاد من عاداه»، فلقيه عمر بن الخطاب،فقال:«هنيئا لك أصبحت و أمسيت مولى كل مؤمن و مؤمنه». البدايه و النهايه ج ۵:۲۰۸ و ج ۷:۳۴۶-ذخائر العقبى للطبرى طبع القاهره ۱۳۵۶ صفحه ۶۷- الفصول المهمه لابن الصباغ ج ۲:۲۳ و قد جاء هذا الحديث فى كل من الخصائص للنسائى طبع النجف ۱۳۶۹ صفحه ۳۱-و غايه المرام للبحرانى صفحه ۷۹،عن ۸۹ طريقا من العامه،و ۴۳ طريقا من الخاصه. حديث السفينه:عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:قال رسول الله(ص)«مثل أهل بيتى كسفينه نوح،من ركبها نجا،و من تعلق بها فاز،و من تخلّف عنها غرق».ذخائر العقبى صفحه ۲۰-الصواعق المحرقه لابن حجر طبع القاهره صفحه ۸۴ و ۱۵۰- تاريخ الخلفاء للسيوطى صفحه ۳۰۷-كتاب نور الأبصار للشبلنجى طبع مصر صفحه ۱۱۴-غايه المرام للبحرانى صفحه ۲۳۷-و قد جاء الحديث المذكور فى هذه الكتب،-

تأیید للأقوال السابقه

فی أواخر أیام النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و التی قد مرض فیها،بحضور جمع من الصحابه عنده،قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم:

«هلموا أکتب لکم کتابا لن تضلوا بعده أبدا».

۱)

-بأحد عشر طریقا من العامه،و سبعه طرق من الخاصه. حدیث الثقلین:عن زید بن أرقم قال:قال رسول الله(ص):«کأنّی قد دعیت فأجبت، إنّی قد ترکت فیکم الثقلین،کتاب الله و عترتی أهل بیتی،فانظروا کیف تخلفونی فیهما،فإنهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض».البدایه و النهایه ج ۵:۲۰۹-ذخائر العقبی صفحه ۱۶-الفصول المهمه صفحه ۲۲-الخصائص صفحه ۳۰-الصواعق المحرقه صفحه ۱۴۷-و قد نقل هذا الحدیث فی غایه المرام عن العامه و الخاصه،۳۹ طریقا عن العامه،و ۸۲ طریقا عن الخاصه. و حدیث الثقلین هذا یعتبر من الأحادیث القطعیه،و روی بأسانید کثیره و بعبارات مختلفه و أنه متّفق علی صحته،سنه و شیعه،و یستفاد من الحدیث المذکور و نظائره، أمور منها: ۱-لو بقی القرآن بین الناس حتی قیام الساعه،فالعتره باقیه أیضا،أی لا یخلو زمن من وجود إمام و قائد حقیقی للأمه. ۲-لقد قدّم النبی(ص)عن طریق هاتین الأمانتین کل ما یحتاج إلیه المسلمون من الناحیه العلمیه و الدینیه،و عرّف أهل بیته مرجعا علمیا و دینیا للأمه الإسلامیه،و أیّد أقوالهم و أعمالهم تأییدا مطلقا. ۳-لا یفترق القرآن عن أهل البیت،و لا یحق لمسلم أن یبتعد عنهم،تارکا نهجهم و إرشادهم. ۴-لو أطاع الناس أهل البیت،و تمسّکوا بأقوالهم،لن یضلّوا،و سوف یکون الحقّ حلیفا لهم. ۵-کل ما یحتاج إلیه الناس من علوم و مسائل دینیه،فهی موجوده لدی أهل البیت، و کل من یتابع طریقهم،لن یضل و لن یهلک،و ینال السعاده الحقیقه،أی أن أهل البیت مصونون من الاشتباه و الخطأ،و بهذه القرینه،یتّضح أن المراد من أهل البیت و العتره، لیس کل أقرباء النبی(ص)و أولاده،بل المراد عده معدوده منهم،و هم الذین قد نالوا المقام الاسمی من العلوم الدینیّه،و لم یعتریهم الخطأ و النسیان،کی تتوفر لدیهم صلاحیه القیاده للأمه،و هم علی بن أبی طالب و الأحد عشر من ولده،فإن مقام الإمامه لهم،الواحد بعد الآخر،کما تشیر الروایات إلی هذا المعنی.

قال بعضهم،إن رسول الله قد غلبه الوجع و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله،فاختلف الحضور بالبيت و اختصموا،فمنهم من يقول،قرّبوا يكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده،و منهم من يقول غير ذلك،فلما أكثروا اللغو و الاختلاف،قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم:قوموا (۱).

مع ما تقدم من البحث،و مع الالتفات إلى أنّ الذين مانعوا أمر تدوين كلمه الرسول العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلم،هم أنفسهم قد حظوا فى اليوم التالى بالخلافه الانتخابيه،و كان الانتخاب دون علم على عليه السّلام و أصحابه،فجعلوهم أمام أمر واقع،فهل هناك من شك فى أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يريد تعيين على،ليجعله خليفه له من بعده.

و ما كان الهدف من المعارضه(لتدوين أمر الرسول)إلّا جعل الجو مضطربا.كى ينصرف النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عن الأمر،و لم يكن الغرض وصف النبى بالهذيان،و غلبه المرض عليه،و ذلك لأسباب:

أولا:فضلا من أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم طوال فتره مرضه،لم يسمع منه كلام لا يليق بمقامه،و لم ينقل أحد هذا المعنى،فإنه لا يحقّ لمسلم وفقا للموازين الدينيه أن ينسب إلى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم الهذيان و الكلام العبث،علما بأنه صلى اللّه عليه و آله و سلم مصون و معصوم من قبل الله تعالى.

ثانيا: لو كان المراد من الكلام،المعنى الحقيقى له،فلا حاجه إلى ذكر العباره التى تلتها،«كفانا كتاب الله»إذ لو كان المراد نسبه الهذيان إلى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،لكفى ذكر مرضه،لا أن يؤيد القرآن، و ينفى قول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،و هذا الأمر لا يخفى على صحابى،من

---

۱ - ۱) البدايه و النهايه ج ۵:۲۲۷-شرح ابن أبى الحديد ج ۱:۱۳۳-الكامل فى التاريخ ج ۲: ۲۱۷-تاريخ الرسل و الملوك للطبرى ج ۲:۴۳۶.

أن القرآن الكريم قد فرض على الأمه الإسلاميه اتباع النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، و أنه مفروض الطاعه،و كلامه عدل للقرآن.و الناس ليس لهم أىّ اجتهاد أو اختيار أمام حكم الله و رسول.

ثالثا: إن ما حدث فى مرض الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،قد حدث أيضا فى مرض الخليفه الأول،عند ما كان يوصى إلى الخليفه الثانى من بعده،و عثمان حاضر يحرّر ما يملى عليه الخليفه الأول،إذ أغمى على الخليفه،و الخليفه الثانى لم يعترض عليه كما اعترض على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم (۱).

و فضلا عن هذا كله،فإن الخليفه الثانى قد اعترف فى حديث له لابن عباس قائلا (۲).إننى أدركت أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم يريد أن يوصى لعلى،إلا أن مصلحه المسلمين كانت تستدعى ذلك،و يقول أيضا، أن الخلافه كانت لعلى (۳)،فإذا ما كانت الخلافه صائره إليه، لفرض على الناس اتّباع الحق،و لم ترضخ قريش لهذا الأمر، فرأيت من المصلحه ألا ينالها،و نحيّته عنها.

علما بأن الموازين الدينيّه تصرّح أن المتخلف عن الحقّ يجب أن يعود إليه،لا أن يترك الحق لصالح المتخلف.

و مما تتناقله كتب التاريخ،إن الخليفه الأول أمر بمحاربه القبائل المسلمه التى امتنعت عن إعطاء الزكاه،قال:«و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدّونه إلى رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم لأقاتلنهم على منعه» (۴).

۱- ۱) الكامل لابن الأثير ج ۲:۲۹۲.

۲- ۲) شرح ابن أبى الحديد ج ۲:۱۳۴.

۳- ۳) تاريخ اليعقوبى ج ۲:۱۳۷.

۴- ۴) البدايه و النهايه ج ۶:۳۱۱.

و المراد من هـذا القول،هو أن إقامه الحقّ و إحيائه واجب مهما بلغ الثمن،و بديهى أن موضوع الخلافه حقّ أيضا إلا أنه أغلى من العقال و أثمن.

الإمامه فى العلوم التشريعيه

أشـرنا فى الفصول المتقـدمه،فى معرفه النبى«الرّسول»و قلنـا، وفقا للقانون الثابت و الضـرورى للهـدايه العامه،إن أىّ نوع من أنواع الكائنات يسير نحو الكمال و السعاده المناسبه له و ذلك عن طريق الفطره و التكوين.

و الإنسـان أيضـا أحـد أنواع هـذه الكائنـات لاـ يسـتثنى من القانون العام.و يجب أن يرشـد إلى طريق خاص فى حياته،تضـمن له سعـادته فى الـدنيا و الآـخره،و ذلـك عن طريق الغريزه المتّصـفه بـالنظره الواقعيه للحيـاه،و التأمـل فى حيـاته الاجتمـاعيه،و بعباره أخرى،يجب أن يـدرك مجموعه من المعتقـدات و الوظـائف العمليه، كى يجعلهـا أساسـا له فى حيـاته ليصل بها إلى السـعاده و الكمـال المنشود،و قلنـا أن المنهـاج للحياه و هو ما يسـمى بالـدين لا يتأتّى عن طريق العقل،بل هو طريق آخر و يـدعى الوحى و النبوّه،و التى تظهر فى بعض من أولياء الله الصالحين و هم الأنبياء،و رسل السماء.

فالأنبياء قد أنيطت بهم مسئوليه هدايه النّاس عن طريق الوحى من الله تعالى فإذا ما التزموا بتلك الأوامر و النواهى، ضمنوا السعاده لهم.

يتّضح إن هذا الدليل،فضلا عن أنه يثبت لزوم مثل هذا

الإدراک بین أبناء البشر،یثبت أیضا،لزوم و ضروره وجود أفراد حفظه علی هذا البرنامج،و إیصاله إلی الناس إذا اقتضت الضروره ذلک.

و کذا یستلزم وجود أشخاص قد أدرکوا الواجبات الإنسانیه، و ذلک عن طریق الوحی،و هم بدورهم ینهضون لتعلیم المجتمع،کما یجب أن تبقی هذه الواجبات السماویه،ما دام الإنسان حیا، و تعرض علیه عند الضروره.

فالذی یتحمل عبء هذه المسئولیه،یعتبر حامیا للدین الإلهی، و یعیّن من قبل الله تعالی،و هو من یسمّی ب«الإمام»کما یدعی حامل الوحی الإلهی و الشرائع السماویّه ب«النبی»و هو من قبل الله تعالی أیضا.

یتفق أن تکون النبوه و الإمامه فی شخص واحد،و قد لا یتحقق ذلک،فکما أن الدلیل المتقدم یثبت عصمه الأنبیاء،فإنه یثبت عصمه الأئمه أیضا.

إذ تقتضی رحمه الله و عطفه أن یضع الدین الحقیقی و غیر المحرّف فی متناول أیدی البشر دوما.و لا یتحقق هذا الأمر دون أن تکون هناک عصمه.

الفرق بین النّبی و الإمام

إن تسلم الأحکام و الشرائع السماویه،و التی تتم بواسطه الأنبیاء،إنما یثبت لنا موضوع«الوحی»و هذا ما مرّ علینا فی الفصل المتقدم.و لیس فیه ما یؤید استمراره و بقاءه علی خلاف

الحافظ و الحامی الذی یعتبر أمرا مستمرا،و من هنا نصل إلی نتیجه أن لیس هناک ضروره أن یکون نبی بین الناس بصوره مستمره،لکن یستلزم أن یکون إمام بینهم،و یستحیل علی مجتمع بشری أن یخلو من وجود إمام سواء عرفوه أم لم یعرفوه،و قد أشار الله سبحانه و تعالی فی کتابه: فَإِنْ یَکْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَکَّلْنا بِها قَوْماً لَیْسُوا بِها بِکافِرِینَ (۱).

فکما أشرنا،یتفق أن تجتمع النبوّه و الإمامه فی شخص واحد، فیمتاز بالمقامین النبوه و الإمامه،(تسلم الشریعه و الحفاظ علیها و السعی فی نشرها)و قد لا تجتمع فی واحد،و هناک أدوار من الزمن خلت من وجود الأنبیاء،إلا أن هناک إمام حق فی کل عصر،و من البدیهی أن عدد الأنبیاء محدود،و لم یظهروا فی جمیع الأدوار التی مرّت بها البشریه.

یشیر الله سبحانه و تعالی فی کتابه المبین إلی بعض الأنبیاء الذین امتازوا بصفه الإمامه أیضا،کما فی ابراهیم علیه السّلام إذ یقول:

وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ

(۲)

.

و کذا قوله تعالی: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا (۳).

۱- ۱) سوره الأنعام الآیه ۸۹.

۲- ۲) سوره البقره الآیه ۱۲۴.

۳- ۳) سوره الأنبیاء الآیه ۷۳.

الإمامه فی باطن الأعمال

کما أن الإمام قائد و زعیم للأمه بالنسبه للظاهر من الأعمال، فهو قائد و زعیم بالنسبه للباطن من الاعتقادات و الأعمال أیضا، فهو الهادی و القائد للإنسانیه من الناحیه المعنویّه نحو خالق الکون و موجده.

لکی تتضح هذه الحقیقه لا بدّ من مراعاه المقدمتین التالیتین:

أولا: لیس هناک من شک أو تردد فی أن الإسلام و سائر الأدیان السماویه،تصرّح بأن الطریق الوحید لسعاده الإنسان أو شقائه هو ما یقوم به من أعمال حسنه أو سیئه،فالدّین یرشده، کما أن فطرته و هی الفطره الإلهیه تهدیه إلی إدراک الحسن و القبیح.

فالله سبحانه یبیّن هذه الأعمال عن طریق الوحی و النبوه، و وفقا لسعه فکرنا نحن البشر،و بلغه نفهمها و نعیها،بصوره الأمر و النهی و التحسین و التقبیح فی قبال الطاعه أو التمرد و العصیان، یبشر الصالحین و المطیعین بحیاه سعیده خالده،و قد احتوت علی کل ما تصبو إلیه البشریه من حیث الکمال و السعاده،و ینذر المسیئین و الظالمین بحیاه شقیّه خالده،و قد انطوت علی البؤس و الحرمان.

و لیس هناک أدنی شکّ من أن الله تعالی یفوق تصورنا و ما یجول فی أذهاننا و لکنه لا یتصف بصفه البشر من حیث التفکیر.

و لیس لهذه الاتفاقیه أن یکون هناک سیّد و مسود و قائد و مقود، و أمر و نهی و ثواب و عقاب واقع خارجی سوی فی حیاتنا

الاجتماعیه.أما الجهاز الإلهی فهو الجهاز الکونی الذی یربط حیاه کل مخلوق و کائن بالله الخالق ربطا وثیقا.

و مما یستفاد من القرآن الکریم (۱)و أقوال النبی العظیم صلی اللّه علیه و آله و سلم أن الدین یشتمل علی حقائق و معارف تفوق فهمنا و إدراکنا الاعتیادی، و أن الله جلّ شأنه قد أنزلها إلینا بتعبیر بسیط یلائم تفکیرنا،کی یتسنی لنا فهمها و إدراکها.

یستنتج مما تقدم أن هناک ارتباطا بین الأعمال الحسنه و السیئه من جهه،و الحیاه الأخری بما تمتاز به من خصائص و صفات من جهه أخری ارتباطا واقعیا،تکشف عن سعاده أو شقاء.

و بعباره أوضح،أن کل عمل من الأعمال الحسنه و السیئه تولد فی الإنسان حقیقه،و الحیاه الأخرویه ترتبط بهذه الحقیقه ارتباطا وثیقا.

إن الإنسان فی حیاته یشبه الطفل،سواء أشعر بهذا الأمر أم لم یشعر،حیث تلازمه شئون تربویّه،فهو یدرک ما یملی علیه مربیّه بألفاظ الأمر و النهی،لکنه کلما تقدم فی العمر استطاع أن یدرک ما قاله مربیه،فینال بذلک الحیاه السعیده،و ما ذلک إلا بما اتّصف به من ملکات،و إذا ما رفض و عصی معلمه الذی کان یسعی له بالصلاح،نجد حیاته ملیئه بالمآسی و الآلام.

فالإنسان یشبه المریض الذی دأب علی تطبیق أوامر الطبیب فی الدواء و الغذاء،أو ریاضه خاصه،فهو إذا لم یبال إلّا بما أملاه

۱- ۱) «وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ» سوره الزخرف الآیه ۲-۴.

علیه طبیبه،فعندئذ یجد الراحه و الصحه،و یشعر بتحسن صحته.

و خلاصه القول،إن الإنسان یتصف بحیاه باطنیه غیر الحیاه الظاهریه التی یعیشها،و التی تنبع من أعماله،و ترتبط حیاته الأخرویه بهذه الأعمال و الأفعال التی یمارسها فی حیاته هنا.

إن القرآن الکریم یثبت هذا البیان العقلی،و یثبت فی الکثیر من آیاته (۱)بأن هناک حیاه أسمی و روحا أرفع من هذه الحیاه للصالحین و المؤمنین،و یؤکد علی أن نتائج الأعمال الباطنیه تلازم الإنسان دوما،و النبی العظیم قد أشار إلی هذا المعنی أیضا فی الکثیر من أقواله (۲).

۱- ۱) مثل هذه الآیه: «وَ جٰاءَتْ کُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِیدٌ* لَقَدْ کُنْتَ فِی غَفْلَهٍ مِنْ هٰذٰا فَکَشَفْنٰا عَنْکَ غِطٰاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ) سوره ق الآیه ۲۱-۲۲. و الآیه: «مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثیٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیٰاهً طَیِّبَهً» (سوره النحل الآیه ۹۷). «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاکُمْ لِمٰا یُحْیِیکُمْ» سوره الأنفال،الآیه ۲۴. و فی سوره آل عمران الآیه ۳۰: «یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...» . و الآیه: «إِنّٰا نَحْنُ نُحْیِ الْمَوْتیٰ وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنٰاهُ فِی إِمٰامٍ مُبِینٍ» سوره یس الآیه ۱۲.

۲- ۲) علی سبیل المثال:یقول تعالی فی حدیث المعراج لنبیّه صلی اللّه علیه و آله و سلم:«فمن عمل برضائی أمنحه ثلاث خصال:اعرضه شکرا لا یخالطه الجهل و ذکرا لا یخالطه النسیان و محبّه لا یؤثر علی محبتی محبه المخلوقین،فإذا أحبّنی،أحببته و افتح عین قلبه إلی جلالی و لا أخفی علیه خاصه خلقی و أناجیه فی ظلم اللیل و نور النهار حتی ینقطع حدیثه مع المخلوقین و مجالسته معهم و اسمعه کلامی و کلام ملائکتی و أعرّفه السرّ الذی سترته عن خلقی و ألبسه الحیاء حتی یستحی منه الخلق و یمشی علی الأرض مغفورا له و اجعل قلبه واعیا و بصیرا و لا أخفی علیه شیئا من جنه و لا نار و أعرّفه ما یمرّ علی الناس فی القیامه من الهول و الشده.بحار الأنوار ج ۹:۱۷. عن أبی عبد الله علیه السّلام قال:استقبل رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم حارثه بن مالک بن النعمان الأنصاری فقال له:کیف أنت یا حارثه بن مالک؟فقال:یا رسول الله مؤمن حقا.فقال-

ثانيا: كثيرا ما يحدث أن يرشد شخص أحدا بعمل حسن دون أن يلتزم هو بذلك العمل،فى حين أن الأنبياء و الأئمه الأطهار ترتبط هدايتهم للبشر بالله جلّ و علا،و يستحيل أن يشاهد عندهم هذه الحاله،و هو عدم الالتزام بالقول أو العمل به،فهم العاملون بمبادىء الدين الذى هم قادته و أئمته و هم متّصفون بروح معنويه ساميه،يرشدون بها النّاس،و يهدونهم إلى الطريق القويم.

فإذا أراد الله سبحانه أن يجعل هدايه أمّه على يد فرد من أفرادها،يربّى ذلك الفرد تربيه صالحه تؤهّله للقياده و الإمامه، و لن تجد لسنه الله تبديلا.

مما تقدم نستطيع أن نحصل على النتائج التاليه:

١- إن النبى أو الإمام لكل أمّه،يمتاز بسموّ روحى و حياه معنويّه رفيعه،و هو يريد هدايه الناس إلى هذه الحياه.

٢- بما أنهم قاده و أئمه لجميع أفراد ذلك المجتمع،فهم أفضل من سواهم.

٣- إن الذى يصبح قائدا للأمه بأمر من الله تعالى،فهو قائد للحياه الظاهريه و الحياه المعنويه معا،و ما يتعلّق بهما من أعمال، تسير مع سيره و نهجه (١).

(٢

-له رسول الله،لكل شىء حقيقه فما حقيقه قولك؟فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى و أظمأت هواجرى فكأنى أنظر إلى عرش ربّى و قد وضع للحساب و كأنى أنظر إلى أهل الجنه يتزاورون فى الجنه و كأنى أسمع عواء أهل النار فى النار،فقال رسول الله عبد نوّر الله قلبه الوافى الجزء الثالث صفحه ٣٣.

١- ١) «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ...» سوره الأنبياء الآيه ٧٣. «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا» سوره السجده الآيه ٢۴. و يستفاد من الآيات المتقدمه و ما شابهها،أن الإمام فضلا عن الإرشاد و الهدايه-

أئمه الإسلام و قادته

و مما تقدم يستنتج أنه بعد وفاه الرسول العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلم ما زال و لا يزال إمام معيّن من قبل الله تعالى فى الأمه الإسلاميه.

و هناك المزيد من الأحاديث النبويه (۱)فى وصف الأئمه و عددهم، و أنهم من قريش و من أهل بيته صلى اللّه عليه و آله و سلم،و أن منهم الإمام المهدى و هو آخرهم.

و هناك نصوص صريحه (۲)أيضا من الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى إمامه على عليه السّلام،و أنه الإمام الأوّل و هكذا روايات و أحاديث أخرى عنه صلى اللّه عليه و آله و سلم و عن الإمام على عليه السّلام بشأن الإمام الثانى،و هكذا كل إمام ينبئ بالإمام الذى يليه و يأتى بعده.

۱)

-الظاهريه يختص بنوع من الهدايه المعنويه،و يعتبر من سنخ عالم الأمر و التجرد،فهو بواسطه الحقيقه و النور الباطنى الذى يتصف به،يستطيع أن يؤثر فى القلوب المهيأه، و أن يتصرف بها كيفما شاء،و يسيّرها نحو مراتب الكمال و الغايه المتوخاه،فتأمّل.

۱- ۱) على سبيل المثال عن جابر بن سمره قال:سمعت رسول الله يقول:لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثنى عشر خليفه،قال:فكبّر الناس و ضجّوا ثم قال كلمه خفيّه.قلت لأبى: يا ابه،ما قال:قال:قال كلهم من قريش...صحيح أبى داود ج ۲:۲۰۷،مسند أحمد ج ۵:۹۲ و أحاديث أخرى بهذا المضمون. عن سلمان الفارسى قال:دخلت على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فإذا الحسين على فخذيه و هو يقبّل عينه و يقبّل فاهه و يقول:أنت سيّد ابن سيد،و أنت إمام ابن إمام،و أنت حجه ابن حجه، و أنت أبو حجج تسعه،تاسعهم قائمهم.ينابيع الموده الطبعه السابعه صفحه ۳۰۸.

۲- ۲) يراجع كتاب الغدير تأليف العلامه الأمينى،و كتاب غايه المرام تأليف السيد هاشم البحرانى،و كتاب الهداه تأليف محمد بن حسن الحر العاملى و كتاب ذخائر العقبى تأليف محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبرى.و كتاب المناقب للخوارزمى.و كتاب تذكره الخواص لابن الجوزى.و كتاب ينابيع الموده لسليمان بن ابراهيم الحنفى.و كتاب الفصول المهمه لابن الصباغ و كتاب دلائل الإمامه لمحمد بن جرير الطبرى.و كتاب النص و الاجتهاد لشرف الدين الموسوى.و كتاب أصول الكافى الجزء الأول لمؤلفه محمد بن يعقوب الكلينى.و كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

و بمقتضى هذه النصوص،فإن أئمه الإسلام اثنا عشر بالترتيب التالى:

١-على بن أبى طالب عليه السّلام.

٢-الحسن بن على عليه السّلام.

٣-الحسين بن على عليه السّلام.

۴-على بن الحسين عليه السّلام.

۵-محمد بن على عليه السّلام.

۶-جعفر بن محمد عليه السّلام.

٧-موسى بن جعفر عليه السّلام.

٨-على بن موسى عليه السّلام.

٩-محمد بن على عليه السّلام.

١٠-على بن محمد عليه السّلام.

١١-الحسن بن على عليه السّلام.

١٢-محمد بن الحسن المهدى عليه السّلام.

موجز عن حياه الأئمه الاثنى عشر

الإمام الأول:

هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب،و أبو طالب شيخ بنى إبراهيم و عمّ النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم،و قد ربّى محمدا فى حجره،و بعد أن بعث بالرساله،كان مدافعا عنه،يحميه من شرّ المشركين و خاصه قريش.

ولد على-على أشهر الروايات-قبل البعثه النبويه بعشر

سنوات،و عند ما أصاب مكه و أطرافها الجدب،كان عمره آنذاك ست سنوات،فاقترح النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أن ينتقل من بيت أبيه«أبى طالب» إلى بيته صلى اللّه عليه و آله و سلم ليصبح فى كنفه و تحت رعايته (۱).

نال محمد بعد سنوات عده مقام النبوه،و قد أوحى إليه لأول مره و هو فى غار«حراء»فرجع إلى بيته،و أخبر عليا بما جرى عليه،فآمن علىّ عليه السّلام به (۲).

و قد دعا النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم عشيرته الأقربين إلى دينه الجديد،قائلا:

«من يؤازرنى على هذا الأمر،يكن وصىّ و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى».

فلم يستجب أحد لهذه الدعوه إلاّ علىّ،حيث قام و قال:أنا يا رسول اللّه،فقبل الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم إيمانه،و أقرّ بما وعده إيّاه (۳)،فهو أول من أسلم و قبل الإسلام من الرجال و آمن به،و هو لم يعبد إلاّ اللّه سبحانه.

كان علىّ يرافق النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم دوما،إلى أن هاجر من مكه إلى المدينه،و فى ليله الهجره،عند ما حوصر بيت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و كان الكفار و المشركون قد جهّزوا الحمله للهجوم على بيت النبوه و الرساله،و قتل النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى فراشه،نام علىّ فى فراش الرسول، و خرج الرسول مهاجرا إلى يثرب (۴)،فردّ علىّ الأمانات إلى أهلها

۱- ۱) الفصول المهمه الطبعه الثانيه صفحه /۱۴المناقب للخوارزمى صفحه ۱۷.

۲- ۲) ذخائر العقبى طبعه القاهره سنه ۱۳۵۶ صفحه /۵۸المناقب للخوارزمى طبعه النجف سنه ۱۳۸۵،صفحه ۱۶-/۲۲ينابيع الموده الطبعه السابعه.

۳- ۳) الإرشاد للشيخ المفيد طبع طهران ۱۳۷۷ صفحه /۴ينابيع الموده صفحه ۱۲۲.

۴- ۴) الفصول المهمه صفحه ۲۸-/۳۰تذكره الخواص طبع النجف ۱۳۸۳ صفحه /۳۴ ينابيع الموده ص /۱۰۵المناقب للخوارزمى ص ۷۳-۷۴.

حسب ما وصی به النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و توجّه إلی یثرب مع أمّه،و زوجتی الرسول و ابنته (۱).

کان علی بن أبی طالب ملازما للرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم لا یفارقه، و زوّجه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم ابنته فاطمه سلام الله علیها.

لما أقام النبی عقد الأخوه و أنشأها بین أصحابه،جعل علیا أخا له (۲).

کان علی علیه السّلام یشارک فی جمیع غزوات النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم عدا غزوه تبوک،إذ استخلفه الرسول فی المدینه (۳)،فلم یتراجع فی جمیع تلک الغزوات عن مواجهه الخصم،و لم یخالف النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی أمر.

و قد قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم فی حقّه علیه السلام:«علیّ مع الحقّ و الحقّ مع علی» (۴).

کان عمره الشریف یوم توفی الرسول العظیم ثلاثا و ثلاثین سنه،فنحّی عن منصب الخلافه،علما بأنه کان منارا لجمیع المثل الإنسانیه،ممیزا عن أقرانه و عن کل صحابه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و قد تمسک المخالفون بأعذار منها،أنه شاب لا تجربه له فی الحیاه،و أنه قد قتل صنادید العرب عند محاربه الکفار و هو فی رکاب الرسول الأعظم صلی اللّه علیه و آله و سلم،فاستطاعوا بهذه الحجج الواهیه أن یجعلوه بمنأی و بمعزل عن الخلافه و قیاده شئون المسلمین

۱- ۱) الفصول المهمه صفحه ۳۴.

۲- ۲) الفصول المهمه صفحه ۲۰/تذکره الخواص صفحه ۲۰-۲۴/ینابیع الموده ص ۶۳-۶۵.

۳- ۳) تذکره الخواص صفحه ۱۸/الفصول المهمه صفحه ۲۱/المناقب للخوارزمی صفحه ۷۴.

۴- ۴) مناقب آل أبی طالب تألیف محمد بن علی بن شهرآشوب طبع قم ج ۳:۶۲،۲۱۸. غایه المرام صفحه ۵۳۹/ینابیع الموده صفحه ۱۰۴.

العامه،فانعزل عن المجتمع،و أصبح جليس داره،و شرع بتربيه الخاصه من أصحابه،و بعد مضى خمس و عشرين سنه،و هى الفتره التى حكم فيها الخلفاء الثلاثه بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم،و بعد مقتل الخليفه الثالث،اتجهت الأمه الإسلاميه إلى على عليه السّلام و بايعته بالخلافه.

كان على عليه السّلام طوال حكومته،و التى لم تدم أكثر من أربع سنوات و تسعه أشهر يسير على نهج الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و اتصفت خلافته بلون من الثوريّه إذ قام بإصلاحات أدّت بالإضرار إلى بعض المنتفعين،فنجد أعلام المعارضه ترتفع،و سيوف المعارضين تشهر، يتقدمهم طلحه و الزبير و معاويه و عائشه فجعلوا مقتل عثمان ذريعه لنواياهم السيئه،و قاموا بالأعمال المضلله.

و الإمام على عليه السّلام استعدّ للحرب للقضاء على هذه الفتنه،و قد جهزت أم المؤمنين جيشا و كان طلحه و الزبير خير من يعينها و ينهض معها بالأمر.فوقع القتال بين الطرفين على مقربه من البصره،و اشتهرت الواقعه بحرب الجمل.

و قام الإمام أيضا بحرب مع معاويه فى الحدود العراقيه الشاميه،عرفت بحرب صفّين،و استغرقت سنه و نصف السنه،و شغل بحرب مع الخوارج فى النهروان،اشتهرت بحرب النهروان.

و يمكن القول بأن معظم تلك الفتره التى حكم فيها الإمام على عليه السّلام قد صرفت لرفع الاختلافات الداخليه،و بعدها أصيب بضربه على يد أحد الخوارج فى مسجد الكوفه،و ذلك صبيحه

یوم التاسع عشر من رمضان المبارک لسنه ۴۰ للهجره،و استشهد فی الیوم الواحد و العشرین من الشهر نفسه (۱).

و التاریخ یشهد أن علیا أمیر المؤمنین علیه السّلام لم تکن تنقصه صفه من الکمالات الإنسانیه،و یؤید هذا الادعاء کل عدو و صدیق.فکان مثلا رائعا فی الفضائل و المثل الإسلامیه،و نموذجا حیا کامل لتربیه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و لا نعدو الحقیقه إذا قلنا إن الکتب التی تناولت هذه الشخصیه الفذّه سواء لدی الشیعه أو السنه و غیرهم من المحققین،لم تتناول أیه شخصیه أخری بهذا القدر فی الحیاه البشریه.

کان علی-علیه السلام-أعلم الصحابه،بل أعلم المسلمین،و هو أول من فتح باب الاستدلال الحرّ فی المسائل العلمیه،و استعان بالبحوث الفلسفیّه فی المعارف الإلهیه،و تکلم عن باطن القرآن، و وضع قواعد اللغه العربیه حفاظا علی ألفاظ القرآن الحکیم، و کان أفصح العرب بیانا،و أبلغهم خطابا(کما أشرنا فی الفصل الأول من الکتاب)و کان یضرب به المثل فی شجاعته،و لم یدع للقلق أو الخوف طریقا إلی قلبه،فی تلک الغزوات و الحروب التی مارسها و اشترک فیها.

و التاریخ الإسلامی لا یزال یحمل فی طیاته خبر الصحابه و المقاتلین فی الغزوات،و قد انتابهم الفزع و الخوف،و قد تکررت هذه الحاله فی أکثر من واقعه،کحرب«حنین»و«خیبر»و

۱- ۱) مناقب آل أبی طالب ج ۳:۳۱۲/الفصول المهمه ص ۱۱۳.تذکره الخواص ص ۱۷۲- ۱۸۳.

«الخندق».إذ انهزم الجيش أمام الأعداء،و لكن الإمام كان يتصدى لحملات العدوّ،و لم يسلم كل من نازل الإمام من أبطال العرب و محاربيهم،و كان على العاجز عطوفا،فيترك قتله،و لم يعقّب على الفارّ من ساحه الحرب،و لم يغافل العدوّ ساعه الهجوم عليه،و لم يقطع الماء على الأعداء.

و مما اتفقت عليه كتب التأريخ أنه عليه السلام،فی معرکه خيبر،تناول حلقه الباب،و اقتلع الباب و هزه هزه ثم رمی به جانبا (۱).

و مما ينقل أيضا،إنه فی يوم فتح مكه،عند ما أمر الرسول العظيم تحطيم الأصنام،كان هناك صنم يدعى(هبل)و هو أكبر الأصنام وزنا،و أشدّها ضخامه،و كان قد وضع فوق الكعبه،صعد علیّ على أكتاف النبی صلى اللّه عليه و آله و سلم بأمر منه،و رمى ب«هبل»إلى الأرض (۲).

لم يكن له شبيه فی تقواه و عبادته،و كان الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم يردّ على الذين يحاولون النيل منه بقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:«لا تسبّوا عليا فإنّه ممسوس فی ذات الله» (۳).

و ذات يوم،رأى الصحابی الجليل أبو الدرداء عليا عليه السّلام فی إحدى ضيعات المدينه فظنّ أنه ميّت لما رأى من عدم الحركه و سكون الجسم،فرجع مسرعا إلى دار فاطمه،أنبأها بالحدث، و عزّاها بوفاه زوجها،فأجابته فاطمه عليه السّلام أنه لم يمت،بل أنه

۱- ۱) تذكره الخواص صفحه ۲۷.

۲- ۲) تذكره الخواص /۲۷المناقب للخوارزمی ۷۱.

۳- ۳) مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ج ۳:۲۲۱.

مغشیّ علیه من شده خوفه من الله سبحانه فی عبادته و طاعته، و ما أکثر ما کانت تنتابه هذه الحاله.

و ما أکثر القصص و الروایات التی تشیر إلی رأفته و عطفه بالفقراء و المساکین و المستضعفین،فکان ینفق مما یحصل علی المحتاجین فی سبیل الله تعالی،و هو یعیش عیشه خشنه.

کان یهوی الزراعه،و غالبا ما کان یهتم بحفر الآبار،و عمران الأراضی الموات بتشجیرها،فکان یجعلها وقفا للفقراء و البائسین.

و کانت تطلق علی کل هذه الموقوفات،(صدقات علی)و کانت لها عائدات جمه،و کانت تقدر هذه الموقوفات ب(أربعه و عشرین رطلا ذهبا)فی السنوات الأخیره من عهده علیه السّلام (۱).

الإمام الثانی:

هو الإمام الحسن المجتبی و أخوه الحسین علیهم السّلام،ولدا أمیر المؤمنین علی علیه السّلام من فاطمه الزهراء سلام الله علیها،بنت الرسول الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم.

و قد قال النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم مرارا أن الحسن و الحسین ولدای، و احتراما لهذا القول کان علی علیه السّلام یقول لباقی أولاده:أنتم أولادی،و الحسن و الحسین ولدا رسول الله صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲).

ولد الحسن علیه السّلام فی المدینه السنه الثالثه من الهجره،عاصر جده الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلم مده تزید علی سبع سنوات،کان یتمتع برعایه

۱- ۱) نهج البلاغه الجزء الثالث الکتاب ۲۴.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۱،/۲۵ذخائر العقبی صفحه ۶۷،۱۲۱.

جده و عطوفته،و قد توفيت أمه فاطمه سيده النساء بعد وفاه جده،بثلاثه أو سته أشهر،فتعهده والده بالتربيه.

و بعد استشهاد أبيه على عليه السّلام نال مقام الإمامه الشامخ،و ما ذلك إلا بأمر من الله العلى العليم،و عملا بوصيه الإمام على عليه السّلام،فاحتلّ مقام الخلافه ظاهرا،و عمل فى إراده المسلمين، طوال سته أشهر.

جهّز معاويه الجيش لمحاربه الحسن عليه السّلام،بعد أن قضى فتره فى الحرب ضد أبيه الإمام على عليه السّلام،و كان معاويه من ألدّ أعداء آل على بعد استشهاد الإمام علىّ،(فحارب بحجه الثأر لدم عثمان ابتداء و بعد ذلك صرّح بطلبه للخلافه)،فوجّه الجيش إلى الكوفه، حيث كان مقرّ الخلافه للإمام الحسن عليه السّلام،و استطاع أن يكسب قاده جيش الإمام بالتطميع بالمال،أو الوعد بالمقام و الجاه،فأغوى بهذا عددا من رؤساء و قاده الجيش،الذين تخاذلوا تاركين خلفهم أمامهم،متجهين نحو معاويه و ثرواته.

و فى نهايه الأمر أجبر الإمام الحسن عليه السّلام على الصلح (1)، و أحال الخلافه الظاهريه بالشروط التى اشترطها إلى معاويه، منها أن تكون الخلافه للحسن بعد وفاه معاويه،و أن يصان شيعته و عشيرته من أىّ تعرض أو اعتداء و بهذا استطاع معاويه أن يأخذ بزمام الأمور فى الشام،ثم دخل العراق،و أعلن إلغاءه لشروط الصلح التى أبرمها بالأمس مع الإمام الحسن،و ذلك فى اجتماع

۱- ۱) إرشاد المفيد /۱۷۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۱۳۳.الإمامه و السياسه تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبه ج ۱:۱۶۳ الفصول المهمه /۱۴۵تذكره الخواص ۱۹۷.

عام للمسلمين،و مارس أقسى أنواع الاضطهاد و الشده على أهل بيت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و الشيعه خاصه.

عـاش الإمـام الحسن طوال مـده إمـامته(عشـر سـنوات)حيـاه محـاطه بـالقمع،و لم يكن بمـأمن حتى فى بيته مع عـائله و أهل بيته، فاستشهد على يد زوجته إذ دست إليه السمّ بإيعاز من معاويه، و ذلك سنه ۵۰ للهجره النبويه.

كان الحسن مثالا فـذا لجدّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم و نموذجا كاملا للخلق الأبيّه لأبيه،فكان و أخوه الحسـين ملازمين للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلم،و كان يحملهما على كتفه أحيانا.

و مما يروى عن العامه و الخاصه،أن الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم قال:

الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا،و الروايات عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و على عليه السّلام متوافره بإمامه الحسن بعد أبيه عليهما السلام.

الإمام الثالث:

هو الإمام الحسين(سيّد الشهداء)ثانى ولد على عليه السّلام من فاطمه بنت النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

ولد فى السنه الرابعه الهجريه،و بعد استشهاد أخيه الحسن المجتبى،وصلت إليه الإمامه بأمر من الله جلّ شأنه،و وفقا للوصيه (۱).

تعتبر مده إمامه الإمام الحسين عليه السّلام عشر سنوات،عاشها

۱- ۱) إرشاد المفيد /۱۷۹إثبات الهداه ج ۵:۱۶۸-۲۱۲.إثبات الوصيه للمسعودى طبعه طهران ۱۳۲۰ صفحه ۱۲۵.

مضطهدا.فمعاویه قد استخدم شتی الطرق و الوسائل لتصفیه أهل البیت،و کان یستعین بأعوان و أنصار له فی تحقق هذا الأمر.

فحاول طمس اسم علی و آل علی.و مهّد السبل لخلافه ابنه یزید، فهیّأ المقدمات اللازمه التی لا بدّ من اتخاذها لتشریع حکمه،و إن کانت هناک فئه معارضه لما شاهدوه من فجور یزید و فسقه.إلا أنهم لم یسلموا من غضب معاویه و سخطه،فوجّه إلیهم الضربات قاصمه.

فالحسین عاصر هذه الظروف الحالکه،و تحمّل کلّ الأذی من قبل معاویه و أتباعه،حتی جاء منتصف سنه ستین للهجره،التی مات فیها معاویه،مخلفا ابنه یزید (۱).

کانت البیعه سنّه عربیه تجری فی الأمور الهامه کالملوکیه و الإماره و ما شابه،فیتقدم الساده و کبار القوم بمدّ ید البیعه و الطاعه للملک أو الأمیر،و کان یعتبر التخلّف عن البیعه عارا، و تخلّفا عن معاهده رسمیه،و البیعه کانت معتبره فی زمن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و سیرته تؤید ذلک،هذا إذا کانت تتصف بصفه الاختیار دون الإجبار و الإکراه.

لقد أخذ معاویه البیعه من شرفاء القوم و رؤسائهم،إلا أنه لم یتعرض للحسین علیه السّلام،و لم یحمّله بیعه یزید،و قد أوصی یزید بعدم التعرض للحسین بن علی،إذا امتنع من البیعه له،فکان معاویه أکثر حنکا فی الأمور،و کان یری العقبات التی تترتب علی هذا الأمر

۱- ۱) إرشاد المفید /۱۸۲تاریخ الیعقوبی ج ۲:۲۲۶-/۲۲۸الفصول المهمه ۱۶۳.

و لكن يزيد لما كان يتّصف به من أنانيه،نسى وصيه أبيه،فأمر والى المدينه بعد وفاه أبيه معاويه أن يأخذ البيعه من الحسين،أو يرسل برأسه إليه (۱).

و بعد أن أبلغ والى المدينه بأمر يزيد،و نقله إلى الإمام الحسين عليه السّلام طلب الحسين عليه السّلام مهله لدراسه الموضوع،فخرج من المدينه فى تلك الليله،متّجها إلى مكه،و التجأ بالكعبه التى هى مأمن للمسلمين.

هذا ما حدث أواخر شهر رجب،و أوائل شهر شعبان من سنه ستين للهجره،فالحسين لما قضى ما يقارب الأربعه أشهر فى مكه، فى حاله اللجوء انتشر هذا النبأ شيئا فشيئا،حتى عمّ جميع البلدان الإسلاميه،فأيّد الحسين جمع من الأمه الإسلاميه،لما شاهدوه من ظلم و تعسّف فى زمن معاويه و ابنه يزيد.

هذا من جهه،و من جهه أخرى،فقد انهالت الرسائل الوارده من العراق،و خاصه من الكوفه إلى الحسين بن على،تطلب منه أن يتّجه إلى العراق،ليصبح قائدا لهم،و تتم على يده إزاله معالم الظلم و الجور،فكان من الطبيعى أن يشعر يزيد بخطوره الموقف.

مكث الحسين عليه السّلام فى مكه حتى موسم الحجّ،فكانت تفد جماعات من المسلمين لأداء فريضه الحج.

و علم الحسين عليه السّلام بأن هناك من أعوان يزيد و عملائه من قد وصل إلى مكه و هم يرتدون رداء الإحرام،و قد أخفوا تحته

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج:/۸۸إرشاد المفيد صفحه ۱۸۲ الإمامه و السياسه ج ۱: /۲۰۳تاريخ اليعقوبى ج ۲:/۲۲۹الفصول المهمه /۱۶۳تذكره الخواص صفحه ۲۳۵.

السلاح،لقتله حين قيامه بأداء فريضه الحج (۱).

قرّر الحسين مغادره مكه متجها إلى العراق،فوقف خطيبا (۲)بين جمع غفير من المسلمين،فأوجز فى خطبته و أعلمهم بسفره إلى العراق،و أشار باستشهاده فى هذا الطريق،و طلب العون منهم،فى سبيل أهدافه المقدّسه،و ألا يتوانوا عن نصرته و نصره الإسلام،دين الله الحنيف،و غداه ذاك اليوم،سلك طريق العراق و معه أهله و عياله،و نفر من شيعته و أصحابه.

لقد صمّم الحسين عليه السّلام على عدم البيعه ليزيد،و هو على علم بأن الطريق هذا سينتهى به إلى الاستشهاد و كان يعلم أن الجيش الأموى يتصف بالعده و العدد،و أنه مؤيّد من قبل عامه الناس و خاصه أهل العراق.

و قد جاء إليه جماعه ممن لهم صله به،فذكروا له خطوره الموقف و السفر الذى هو عازم عليه،و النهضه التى هو قائدها، فأجابهم الحسين عليه السّلام بما مضمونه،إننى لن أبايع يزيدا،و لا أقرّ بحكومه جائره،و إنى على علم بأنهم يريدون قتلى أينما أقمت، و ما تركى لهذه البقعه المكرّمه إلا لحرمه هذا المكان المقدّس(بيت الله الحرام)،و ألا تهتك حرم الله تعالى،بإهراق دمى (۳).

سار الحسين عليه السّلام إلى العراق،و فى طريقه،وصله نبأ بواسطه أحد شيعته،عن مقتل رسوله و مبعوثه إلى الكوفه،على يد والى

۱- ۱) إرشاد المفيد ۲۰۱.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۸۹.

۳- ۳) إرشاد المفيد /۲۰۱الفصول المهمه ۱۶۸.

یزید،و قد أمر الوالی بعد قتلهم،أن تربط أرجلهم بالحبال،و یدار بها فی شوارع الکوفه و أزقتها (۱).

فکانت الکوفه و ضواحیها،تحت مراقبه شدیده من قبل الأعداء،تنتظر قدوم الحسین،و الإشارات داله علی قتله لا محاله.و هنا أعلن الحسین علیه السّلام مصرحا بنبإ قتله دون تردد، و استمر فی سیره (۲).

حوصر الحسین علیه السّلام و من معه من قبل الجیش الأموی،علی مسافه سبعین کیلومترا من مدینه الکوفه،فی منطقه تسمی (کربلاء).فکانت تضیّق دائره الحصار علی هؤلاء،و یزداد الجیش الأموی عددا و عده،و آل الأمر إلی أن استقر الإمام مع القله من أصحابه تحت الحصار من قبل ثلاثین ألفا من الأعداء (۳).

حاول الإمام فی هذه الأیام،أن یثبت أنصاره،فأخرج من جنده من أخرج،و أمر بأن یجتمع الأصحاب،فاجتمعوا،فقال الإمام علیه السّلام فی خطاب بهم،أن القوم لم یریدوا إلا قتلی،و أنا رافع بیعتی عنکم،فمن أراد منکم الفرار،فلیتخذ اللیل له سترا،و ینجی بنفسه من الفاجعه الموحشه التی تتربص بنا.

فأمر بإطفاء الأنوار،و تفرق جمع کثیر ممن کان معه،من الذین لم تکن أهدافهم سوی الماده و القضایا المادیه،و لم یبق معه إلا روّاد الحقّ و متبعو الحقیقه،و هم ما یقارب من أربعین شخصا،و عدد

۱- ۱) إرشاد المفید /۲۰۴الفصول المهمه /۱۷۰مقاتل الطالبیین الطبعه الثانیه ص ۷۳.

۲- ۲) إرشاد المفید /۲۰۵الفصول المهمه /۱۷۱مقاتل الطالبین ص ۷۳.

۳- ۳) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۹۸.

من بنى هاشم،و للمره الثانيه،جمع الإمام الحسين عليه السّلام أصحابه، فخطب فيهم قائلا:

«اللهم إنى أحمدك على أن كرمتنا بالنبوه و علمتنا القرآن و فقّهتنا فى الدين،و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئده فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد،فإنى لا أعلم أصحابا أوفى و لا خيرا من أصحابى،و لا أهل بيت أبرّ و لا أوصل من أهل بيتى،فجزاكم الله عنى خيرا،ألا و إنى لا أظن يوما لنا من هؤلاء،ألا و إنى قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حلّ ليس عليكم منى زمام،هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»

فقال له إخوته و أبناؤه و بنو أخيه و ابنا عبد الله بن جعفر،لم نفعل ذلك لنبقى بعدك!؟

قال بعضهم:ما نفعل ذلك،و لكن نفديك بأنفسنا و أموالنا و أهلينا،و نقاتل معك حتى نرد موردك،فقبّح الله العيش بعدك.

فقام مسلم بن عوسجه خطيبا،قال:أ نحن نخلّى عنك و بما نعتذر إلى الله فى أداء حقّك،أما و الله حتى أطعن فى صدورهم برمحى و اضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى،و لو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به،لقذفتهم بالحجاره،و الله لا نخليك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبه رسوله فيك.

أما و الله،لو قد علمت أنى أقتل ثم أحيى ثم أحرق ثم أحيى، ثم أذرى،يفعل ذلك بى سبعين مره،ما فارقتك حتى ألقى حمامى (الموت)دونك،و كيف لا أفعل ذلك،و إنما هى قتله واحده،ثم هى

الکرامه التی لا انقضاء لها أبدا (۱).

وصل الإنذار إلی الإمام فی عصر یوم التاسع من محرم(أمّا البیعه أو القتال)من جانب العدو فطلب الإمام المهله لتلک اللیله لغرض العباده،و تأجیل القتال للیوم التالی (۲).

و فی یوم العاشر من المحرم سنه ۶۱ ه.ق استعد الإمام مع جمعه القلیل(لا یتجاوز عددهم تسعین شخصا،أربعون ممن جاءوا معه،و نیف و ثلاثون التحقوا بالإمام فی لیله الحرب و نهارها من جیش الأعداء،و البقیه کانوا من الهاشمیین،بما فیه ولده و أخوته و أبناء أخوته و أبناء أخواته و أبناء عمومته)استعدوا فی معسکر واحد أمام العدد الغفیر من جیش الأعداء،فاشتعلت نار الحرب.

حارب هؤلاء من الصباح الباکر حتی الظهیره،و استشهد الإمام مع سائر الفتیه الهاشمیین،فلم یبق منهم أحد،(و کان بین القتلی طفلان للإمام الحسن و طفل و رضیع للإمام الحسین علیه السّلام).

أغار الجیش بعد انتهاء الحرب علی حرم الإمام،و أشعلوا النیران فی مخیّماتهم و حزّوا رءوس الشهداء و سلبوا ما علی أبدانهم من رداء و ملابس،و ترکوا الأجساد عاریه علی الأرض، دون أن یواروهم فی التراب،ثم ساروا بأهل بیت الإمام(حرمه) زوجاته و بناته اللواتی لم یکن لهنّ مأوی مع رءوس الشهداء إلی جانب الکوفه(و لم یکن فی الأسری من الرجال سوی القلیل،منهم

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۹۹/إرشاد المفید ص ۲۱۴.

۲- ۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۹۸/إرشاد المفید ص ۲۱۴.

ابن الإمام و هو السجاد شاب فی سن الثانیه و العشرین،و قد اشتدّ علیه المرض،و ولده فی سن الرابعه(محمد بن علی)الإمام الباقر علیه السّلام،و کان ممن بقی أیضا الحسن المثنی ابن الإمام الحسن، و الذی کان صهرا للإمام الحسین علیه السّلام و کان قد أصیب بجراح کثیفه فی جسمه،و کان طریحا بین القتلی و قد عثروا علیه و هو فی آخر رمق من حیاته،و لم یقتل بسبب تشفّع أحد الأمراء،و کان من جمله الأسری الذین جاءوا بهم إلی الکوفه)،و نقلوهم من الکوفه إلی دمشق التی کانت مرکز حکم یزید.

و قد فضحت«واقعه کربلاء»و کذا ما قام به هؤلاء الأسری من خطب،و هم ینقلون من بلد إلی بلد،فی الکوفه و الشام و منهم زینب بنت الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و الإمام السجاد اللذان کانا من جمله الأسری،فضحت نوایا بنی أمیه،و کشفت النقاب عما کان یقوم به معاویه طوال سنوات عده،حتی أدی الأمر بیزید أن یوبّخ عماله و أعوانه فی الملأ علی هذه الواقعه المفجعه.

کانت واقعه کربلاء عاملا مؤثرا عجّل فی إباده حکومه بنی أمیه،و ساعدت علی ترسیخ مبادی الشیعه و کان من نتائجها الحروب الدامیه طوال اثنی عشر عاما!و ما لازمها من ثورات و انتفاضات،و لم یخلص أحد ممن ساهم و شارک فی مقتل الحسین و أصحابه من الانتقام و الأخذ بالثأر.

و لیس هناک أدنی شک لمن یطالع تأریخ حیاه الإمام الحسین علیه السّلام و یزید،و الأوضاع فی ذلک الوقت،و یدقّق النظر فیها بأنه لم یکن هناک سوی طریق واحد،و هو مقتل الحسین علیه السّلام و ما کانت

نتیجه البیعه لیزید إلا هتکا لحرمات الإسلام،و هذا ما لم یرض به الإمام،لأن یزید لا یحترم الإسلام،و لا یتصف بصفات تجعله یتقید أو یراعی شیئا منه،و لا یأبی من سحق و إباده جمیع المقدسات و القوانین الإسلامیه.بعد أن کان أسلافه یحترمون الشعائر الدینیه،فلم یخالفوها فی الظاهر،و ما کانوا یقومون به من أعمال کانت تصطبغ بصبغه دینیه،و کانوا یحافظون علی المظاهر الدینیه،و یفتخرون بالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلم و سائر القاده و الزعماء الدینیین الذین کانت لهم منزله لدی الناس.

و من هنا یتّضح ما یعتقده بعض مفسری الحوادث و الوقائع التاریخیه بأن الحسن و الحسین کانا یتّصفان بصفات متباینه، فالحسن علیه السّلام یحبّذ الصلح علی خلاف الحسین علیه السّلام الذی کان یرجّح الحرب و القتال،حیث أن الأول اتخذ جانب الصلح مع معاویه مع أن جیشه کان مقدرا بأربعین ألفا،و الثانی«الحسین علیه السّلام»نهض بجیشه الذی یتراوح عدده الأربعین فی القتال ضد یزید،و من هنا یتّضح سقم هذا التفسیر،لأننا نری الحسین علیه السّلام الذی لم یرضخ لحکم یزید یوما واحدا،کان یعیش مع أخیه الحسن علیه السّلام(فی حدود العشر سنوات من حکم معاویه)و لم یعلن الحرب علی معاویه.

و مما لا شک فیه،أن الحسن أو الحسین علیهما السّلام إذا کانا یریدان الحرب ضد معاویه لکان القتل نصیبهما،فضلا عن أن هذا القتل لا ینفع الإسلام و المسلمین بشیء،و لا یجد أیّ نفع أمام سیاسه معاویه،الذی کان یصف نفسه بالصحابیّ و کاتب الوحی

و خال المؤمنين،و ما شابه ذلك مما اتخذه كوسيله و ذريعه.

هذا و كان بإمكانه أن يقتلهم بأيادى مقربيهم،و يبدى حزنه، و الانتقام ممن قام بهذا العمل كما فعل مع الخليفه الثالث.

الإمام الرابع:

هو الإمام السجاد(على بن الحسين الملقب بزين العابدين و السجّاد عليه السّلام).

ولد الإمام الرابع،من شاه زنان بنت«يزدجرد ملك إيران»،و هو الولد الوحيد الذى بقى للإمام الحسين عليه السلام بعد واقعه كربلاء،إذ أن أخوته الثلاثه استشهدوا فيها.و قد شهد الواقعه، و لكنه لم يشارك فيها لمرضه،و لم يكن قادرا على حمل السلاح، فحمل مع الأسرى إلى الشام.

و بعد أن قضى فتره الأسر،ارجع مع سائر الأسرى إلى المدينه، و ما ذلك إلا لجلب رضى عامه الناس.فعند ما رجع الإمام الرابع إلى المدينه،اعتزل عن الناس فى بيته،و تفرّغ للعباده،و لم يتصل بأحد سوى الخواص من الصحابه مثل(أبى حمزه الثمالى)و(أبى خالد الكابلى)و أمثالهم،و لا يخفى أن هؤلاء الخاصه كانوا يوصلون ما يصلهم من الإمام من معارف إسلاميه إلى الشيعه و اتسع نطاق ثقافه الشيعه عن هذا الطريق،فنرى ثماره فى زمن الإمام الخامس(الإمام الباقر عليه السّلام).

و مما ألّفه و صنّفه الإمام السجّاد عليه السّلام كتاب يحتوى على أدعيه تعرف به(الصحيفه السجاديه)و تشتمل على سبعه و خمسين

دعاء،و التی تتضمن أدق المعارف الإلهیه و یقال عنها«زبور آل محمد».

کانت مده إمامته علیه السلام خمسا و ثلاثین سنه حسب بعض الروایات الشیعیه،و دسّ إلیه السم (۱)علی ید«الولید بن عبد الملک» و ذلک بتحریض من هشام،الخلیفه الأموی،سنه ۹۵ للهجره.

الإمام الخامس:

هو الإمام محمد بن علی(الباقر)و لفظ الباقر یدل علی تبحره فی العلم،و قد منحه هذا اللقب،النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۲).

هو ابن الإمام السجّاد،ولد سنه ۵۷ للهجره،و کان عمره فی واقعه کربلاء أربع سنوات،و کان ممن حضرها،نال مقام الإمامه بعد والده،بأمر من الله تعالی،و وصیه أجداده.

و فی سنه ۱۱۴ أو ۱۱۷ للهجره(حسب بعض الروایات الشیعیه) دس إلیه السم بواسطه إبراهیم بن الولید بن عبد الملک،ابن أخ هشام الخلیفه الأموی،فقضت هذه الحادثه علی حیاته،و مضی شهیدا.

فی عهد الإمام الباقر،و علی إثر استفحال ظلم بنی أمیه،کانت تبرز ثورات متعاقبه فی کل قطر من الأقطار الإسلامیه،و تحدث الحروب.

و کان الاختلاف فی حکومه بنی أمیه ظاهرا،هذا ما کان

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:/۱۷۶دلائل الإمامه ص /۸۰الفصول المهمه ص ۱۹۰.

۲- ۲) الإرشاد للشیخ المفید ص /۲۴۶الفصول المهمه ص /۱۹۳مناقب ابن شهرآشوب.

يشغل الحكومه آنذاك،فكانت نتيجتها أن يخفّ من التعرض لأهل البيت،هذا من جهه.

و من جهه أخرى،ما حدث من واقعه كربلاء،و ما أبرزت من مظلوميه أهل البيت،متمثله فى الإمام الباقر عليه السّلام،جعل المسلمين يتجهون إلى أهل البيت،و يبدون حبّهم لهم،و إخلاصهم و تعاطفهم معهم.

و هذه العوامل مجتمعه ساعدت على أن ينصرف ذهن العامّه نحو أهل البيت،فصاروا يتجهون إلى المدينه حيث الإمام الخامس، و كانت العوامل مساعده فى انتشار الحقائق الإسلاميه،علوم أهل البيت على يد الإمام الباقر،إذ لم يتحقق هذا لأحد من أجداده، و مما يؤيد هذا الادعاء هو كثره الأحاديث التى نقلت عن الإمام الخامس،و كذا رجال الشيعه الذين تخصصوا فى شتّى العلوم الإسلاميه على يد إمامهم،و لا تزال أسماؤهم فى كتب الرجال مدرجه (۱).

---

۱ - ۱) إرشاد المفيد ص ۲۴۵-/۲۵۳يراجع كتاب رجال الكشى،تأليف محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى،و كتاب رجال الطوسى،تأليف محمد بن حسن الطوسى،و كتاب الفهرست للطوسى و سائر كتب الرجال.

الإمام السادس:

هو الإمام جعفر بن محمـد(الصادق عليه السّـلام)ابن الإمام الخامس،ولد سـنه ۸۳ للهجره،و استشـهد بعد أن دسّ إليه السمّ، سـنه ۱۴۸ للهجره،و ذلک بتحريض من المنصور الخليفه العباسی (وفق الروايات الشيعيه) (۱).

و فی عهد الإمام السادس،و علی اثر الانتفاضات التی حدثت فی الدول الإسلاميه،و خاصه قيام«ثوره العباسيين»ضد دوله بنی أميه للإطـاحه بهـا،و الحروب المـدمره التی أدّت إلی سـقوط الـدوله الأمويه و انقراضـها،و علی اثر کل هـذا کانت الظروف مؤاتيه و مساعده لنشـر حقائق الإسـلام و علوم أهل البيت التی طالما ساهم فی نشـرها الإمام الخامس طوال عشرين سنه من زمن إمامته، و قد تابع الإمام السادس عمله فی ظروف أکثر ملاءمه،و تفهما.

فاسـتطاع الإمـام الصـادق حتی أواخر زمن إمـامته،و التی کانت معاصـره لآخر زمن خلافه بنی أميه و أوائل خلافه بنی العباس،أن ينتهز هـذه الفرصه،لنشـر التعاليم الـدينيه و تربيه العديـد من الشخصـيات العلميه الفذّه فی مختلف العلوم و الفنون سواء فی العلوم العقليه أو العلوم النقليه.

و من أشـهر أولئک الذين تتلمذوا عند الإمام:زراره،و محمد بن مسلم،و مؤمن الطّاق،و هشام بن الحکم،و أبان بن تغلب،و هشام بن سالم،و حريز،و هشاک الکلبی النسابه،و جابر بن حيان

۱- ۱) الأصول الکافی ۱:/۴۷۲دلائل الإمامه /۱۱۱إرشاد المفيد ص ۲۵۴،تاريخ اليعقوبی ج ۳: /۱۱۹الفصول المهمه /۲۱۲تذکره الخواص ۳۴۶ مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۸۰.

الصوفی،الکیمیائی و غیرهم.و قد حضر درسه رجال من علماء إخواننا السنه،مثل سفیان الثوری و أبو حنیفه،مؤسس المذهب الحنفی،و القاضی المسکونی و القاضی أبو البختری و غیرهم.

و المعروف أن عدد الذین حضروا مجلس الإمام و انتفعوا بما کان یملیه علیهم الإمام أربعه آلاف محدث و عالم (۱).

و تعتبر الأحادیث المتواتره عن الإمامین الباقر و الصادق،أکثر مما روی عن النبی الأکرم و العشره من الأئمه الهداه.

لکن الأمر قد تغیر فی أخریات حیاته،حیث بدأ الضغط و التشدید من قبل المنصور الخلیفه العباسی،فقد قام بإیذاء الساده العلویین و عرّضهم لأعنف أنواع التعذیب و أقساها و قتل بعضهم،مما لم یشاهد نظیره فی زمن الأمویین مع ما کانوا یتصفون به من قساوه و تهوّر.مارس العباسیون القتل الجماعی للعلویین و ذلک بسجنهم فی سجون مظلمه،و تعذیبهم حتی الموت.

کما أنهم قاموا بدفنهم و هم أحیاء،فی أسس الأبنیه و الجدران (۲).

أصدر المنصور أمرا طلب فیه إحضار الإمام الصادق من المدینه(و کان الإمام قد أحضر إلی العراق مره بأمر من السفاح الخلیفه العباسی،و قبل ذلک قد أحضر إلی دمشق بأمر من هشام الخلیفه الأموی،مع أبیه الإمام الباقر علیه السّلام).

بقی الإمام مده من الزمن تحت المراقبه،و قد عزموا علی قتله عده مرات،و عذبوه،و فی نهایه الأمر سمحوا له بالعوده إلی

۱- ۱) إرشاد المفید ص /۲۵۴الفصول المهمه ص ۲۰۴.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۲۴۷.

۲- ۲) الفصول المهمه ص /۲۱۲دلائل الإمامه ص /۱۱۱إثبات الوصیه ص ۱۴۲.

المدينه،فرجع،و قضى بقيه عمره هناك،مراعيا التقيه،منعزلا فى داره،حتى استشهد على يد المنصور الذى دسّ السلم إليه.

و بعد وصول نبأ استشهاد الإمام إلى المنصور،أمر و إليه فى المدينه أن يذهب إلى دار الإمام بحجّه تفقده لأهل بيته،طالبا وصيه الإمام ليطلع على ما وصى الإمام و من هو خليفته من بعده، ليقضى عليه و يقتله فى الحال أيضا.

و كان المنصور يهدف من وراء ذلك القضاء تماما على موضوع و مسأله الإمامه و التشيع معا.

و لكن الأمر كان خلافا لتآمر المنصور،و عند ما حضر الوالى وفقا للأوامر المرسله إليه،قرأ الوصيه،رأى أن الإمام قد أوصى لخمس،الخليفه نفسه،و والى المدينه و عبد الله الأفطح ابن الإمام الأكبر و موسى ولده الأصغر و حميده ابنته،و بهذا باءت مؤامره المنصور بالفشل (۱).

الإمام السابع:

هو الإمام موسى بن جعفر(الكاظم)ابن الإمام الصادق عليهم السّلام ولد سنه ۱۲۸ للهجره،و توفى سنه ۱۸۳ اثر تسميمه فى السجن (۲)، تولّى منصب الإمامه بعد أبيه بأمر من الله و وصيه أجداده.

عاصر الإمام الكاظم عليه السّلام من الخلفاء العباسيين المنصور

۱- ۱) أصول الكافى ج ۱:۳۲۰.

۲- ۲) أصول الكافى ج ۱:/۴۷۶إرشاد المفيد ۲۷۰.الفصول المهمه ۲۱۴-/۲۲۳دلائل الإمامه ۱۴۶-۱۴۸.تذكره الخواص ۳۴۸-/۳۵۰مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۲۴. تاريخ اليعقوبى ج ۳:۱۵۰.

و الهادی و المهدی و هارون،عاش علیه السّلام فی عهد مظلم مقرون بالصعوبات،التی کان یواجهها بالتقیه،و حین سافر هارون إلی الحج،و توجه إلی المدینه،فألقی القبض علی الإمام فی الوقت الذی کان مشغولا بالصلاه فی مسجد جدّه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم نقل إلی السجن بعد أن قیّد بالأغلال،ثم نقل إلی البصره و منها إلی بغداد و ظل ینقل به من سجن إلی سجن لعده سنوات،و فی نهایه الأمر قضی علیه بالسم فی سجن سندی بن شاهک (۱)،و دفن فی مقابر قریش،و التی تسمی الیوم بمدینه الکاظمیه.

الإمام الثامن:

هو الإمام علی بن موسی(الرضا)ابن الإمام الکاظم علیهم السّلام ولد سنه ۱۴۸ للهجره(علی أشهر التواریخ)و توفی سنه ۲۰۳ ه.

نال منصب الإمامه بعد أبیه الإمام الکاظم بأمر من الله و نص أجداده،و قد عاصر هارون الرشید الخلیفه العباسی و بعده ابنه الأمین ثم المأمون.

بعد وفاه هارون الرشید،حدث خلاف بین المأمون و الأمین، أدّی إلی حروب بینهما،و کان نتیجتها مقتل الأمین و استیلاء المأمون علی عرش الخلافه (۲).

---

۱ - ۱) إرشاد المفید ۲۷۹-/۲۸۳دلائل الإمامه ۱۴۸-۱۵۴.الفصول المهمه /۲۲۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۲۳-/۳۲۷تاریخ الیعقوبی ج ۳:۱۵۰.

۲- ۲) أصول الکافی ج ۱:/۴۸۶إرشاد المفید ۲۸۴-۲۹۶.دلائل الإمامه ۱۷۵-/۱۷۷ الفصول المهمه ۲۲۵-۲۴۶.تاریخ الیعقوبی ج ۳:۱۸۸.

و حتی ذلک الوقت کانت سیاسه بنی العباس بالنسبه إلی الساده العلویین سیاسه قاسیه،یلازمها القتل و الإباده،و کانت تزداد شده و عنفا،و بین فتره و أخری کان یثور ثائر من العلویین، و یقوم بالحروب الدامیه،و هذا ما کان یحدث اضطرابا و مشاکل للدوله و الخلافه آنذاک.

و مع أن أئمه الشیعه من أهل البیت،لم یکونوا علی اتصال بالثائرین،لکن الشیعه مع قله عددهم فی ذلک الیوم کانوا یعتبرون الأئمه هم الهداه إلی الدّین و مفترضی الطاعه و الخلفاء الحقیقیین للنبی الأکرم علیه السّلام،و کانوا ینظرون إلی الدوله و الخلافه العباسیه أنها تمتاز بما کان یمتاز به کسری و قیصر و أنها تساس بید فئه لا صله لها بالإسلام.و أن هذه الأجهزه التی تسوس البلاد بعیده کل البعد عما یتصف به زعماؤهم الدینیون،هذا ما کان یشکل خطرا علی الخلافه،و یهدّدها بالسقوط و الزوال.

فکر المأمون فی هذه المشاکل و الفتن،و رأی أن یبدی سیاسه جدیده،بعد أن کانت سیاسه أسلافه طوال سبعین سنه سیاسه عقیمه لا جدوی منها.فأظهر سیاسته الخادعه بأن یجعل الإمام الثامن ولی عهد له،و بهذه الطریقه سوف یقضی علی کل فتنه و مشکله،و الساده من العلویین إذا وجدوا أن لهم مقاما فی الدوله فإنهم لن یحاولوا الثوره أو القیام ضدّه،و الشیعه أیضا عند ما یشاهدون تقرّب إمامهم من الخلافه التی طالما کانوا یعتبرونها رجسا و یعتبرون القائمین بأمور الخلافه فاسقین،عندئذ سیترکون ذلک التقدیر و الاحترام المعنوی لأئمتهم الذین هم من

أهل البیت،و سرعان ما یسقط حزبهم الدینی،و لا یواجه الخلفاء خطرا من هذه الجهه (۱).

و من البدیهی بعد أن یحصل المأمون علی ما کان یهدف إلیه، فإن قتل الإمام لم یکن بالأمر الصعب.و لغرض تحقق هذه المؤامره أحضر الإمام من المدینه إلی مرو،اقترح علیه الخلافه أولا- ثم ولایه العهد ثانیا،فاعتذر الإمام،و لکنه استخدم شتّی الوسائل لإقناع الإمام،وافق الإمام بشرط ألا یتدخل فی شئون الدوله و کذا فی عزل أو نصب أحد من المسئولین (۲).

هذا ما حدث سنه ۲۰۰ للهجره.و لم تمض فتره حتی شاهد المأمون التقدم السریع للشیعه،و تزاید ارتباطهم و علاقتهم بالنسبه للإمام،و حتی العامه من الناس،و الجیش و مسئولی شئون الدوله.

عندئذ التفت المأمون إلی خطوره اشتباهه،و حاول أن یقف أمام هذا التیار،فقتل الإمام بعد أن دسّ إلیه السم.

دفن الإمام الثامن بعد استشهاده فی مدینه(طوس)فی إیران، و تعرف الیوم بمدینه مشهد.

کان المأمون یبدی عنایته و رعایته لترجمه العلوم العقلیه إلی اللغه العربیه،و کان یقیم المجالس العلمیه،التی یحضرها علماء الأدیان و المذاهب،و تجری فیها المناظرات العلمیه،و کان الإمام

۱- ۱) دلائل الإمامه /۱۹۷مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۶۳.

۲- ۲) أصول الکافی ج ۱:/۴۸۹إرشاد المفید /۲۹۰الفصول المهمه ۲۳۷.تذکره الخواص /۳۵۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۶۳.

أيضا يشارك فى هذه المجالس و يشترك فى مناظره علماء الأديان و المذاهب،و قد دون العديد منها فى كتب أحاديث الشيعه (۱).

الإمام التاسع:

هو الإمام محمد بن على(التقى،و يلقّب بالإمام الجواد أو ابن الرضا أحيانا)ابن الإمام الرضا عليهم السّلام،ولد فى المدينه سنه ۱۹۵ ه.و استشهد(سنه ۲۲۰)بتحريض من المعتصم الخليفه العباسى على يد زوجته بنت المأمون،و دفن إلى جوار جده الإمام السابع فى مدينه الكاظميه.

حاز درجه الإمامه الرفيعه بأمر من الله و وصيه أجداده،و كان الإمام فى المدينه عند ما توفى أبوه الإمام الرضا،أحضره المأمون إلى بغداد عاصمه خلافته آنذاك،و الظاهر أن المأمون أبدى احترامه و عطفه للجواد،و زوجه ابنته،و أبقاه عنده فى بغداد،و فى الحقيقه أراد أن يراقب الإمام من الخارج و الداخل مراقبه كامله.

مكث الإمام التاسع زمنا فى بغداد،ثم طلب من المأمون الرحيل إلى المدينه،و بقى فيها(المدينه)حتى أواخر عهد المأمون،و فى زمن المعتصم الذى استخلف المأمون،أحضر الإمام الجواد إلى بغداد مرتين،و كان تحت المراقبه الشديده،و فى النهايه-كما ذكر-استشهد بدس السمّ إليه بتحريض من المعتصم على يد زوجه الإمام (۲).

۱- ۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۵۱/كتاب الاحتجاج لأحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى طبع النجف سنه ۱۳۸۵ ه.ج ۲:۱۷۰-۲۳۰.

۲- ۲) إرشاد المفيد /۲۹۷أصل الكافى ج ۱:۴۹۲-/۴۹۷دلائل الإمامه ۲۰۱-۲۰۹.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۳۷۷-/۳۹۹الفصول المهمه ۲۴۷-۲۵۸ تذكره الخواص ۳۵۸.

الإمام العاشر:

هو الإمام على بن محمد(النقى و يلقّب بالهادى أيضا)ابن الإمام الجواد عليهم السّلام،ولد سنه ۲۱۲ ه.فى المدينه،و استشهد سنه ۲۵۴ ه.(وفقا للروايات الشيعيه)بأمر المعتزّ الخليفه العباسى (۱).

عاصر الإمام سبعا من خلفاء بنى العباس:المأمون و المعتصم و الواثق و المتوكّل و المنتصر و المستعين و المعتزّ.

و فى عهد المعتصم سنه ۲۲۰ ه.عند ما استشهد أبوه فى بغداد بالسم الذى دسّ إليه،كان الإمام الهادى فى المدينه،نال منصب الإمامه بأمر من الله تعالى و وصيه أجداده،فقام بنشر التعاليم الإسلاميه حتى زمن المتوكّل.

أرسل المتوكل أحد الأمراء إلى المدينه لإحضار الإمام من هناك إلى سامراء حاضره حكومته و ذلك سنه ۲۴۳ اثر وشايه بعض الأعداء.و كتب إلى الإمام رساله يظهر فيها احترامه و تقديره له، مطالبا إياه فيها بالتوجه إلى العاصمه (۲).

و بعد وصول الإمام إلى سامراء لم يكن هناك ما يلفت النظر من تضييق على الإمام فى بدايه الأمر.إلا أن الخليفه سعى فى

۱- ۱) أصول الكافى ج ۱:۴۹۷-۵۰۲/إرشاد المفيد /۳۰۷دلائل الإمامه ۲۱۶-۲۲۲/ الفصول المهمه ۲۵۹-۲۶۵/تذكره الخواص ۳۶۲ مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۰۱. ۴۲۰.

۲- ۲) إرشاد المفيد ۳۰۷-۳۱۳/أصول الكافى ج ۱:۵۰۱/الفصول المهمه /۳۶۱تذكره الخواص /۳۵۹مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۱۷/إثبات الوصيه ص /۱۷۶تاريخ اليعقوبى ج ۳:۲۱۷.

اتخاذ شتی الطرق و الوسائل لإیذاء الإمام،و هتک حرمته،فقام رجال الشرطه بتفتیش دار الإمام بأمر من الخلیفه.

کان المتوکل أشدّ عداء لأهل البیت من سائر خلفاء بنی العباس، و خاصه بالنسبه للإمام علی بن أبی طالب علیه السلام،و کان یعلن عداءه و تنفره منه،فضلا عن الکلام البذیء الذی کان یتفوه به أحیانا و کان قد عین شخصا یقلد أعمال الإمام علی علیه السّلام فی مجالسه و محافله،و یستهزیء و ینال من تلک الشخصیه العظیمه.

و أمر بتخریب قبه الإمام الحسین و ضریحه و الکثیر من الدور المجاوره له،و أمر بفتح المیاه علی حرم الإمام و قبره،و أبدلت أرضها إلی أرض زراعیه کی یقضوا علی جمیع معالم هذا المرقد الشریف (۱).

و فی زمن المتوکل أصبحت حاله الساده العلویین فی الحجاز متدهوره و یرثی لها،حتی أن نساؤهم کانت تفتقر إلی ما یسترها، و الأغلبیه منهن کانت تحتفظ بعباءه بالیه،یتبادلنها فی أوقات الصلاه لأجل إقامتها (۲)و کان الوضع لا یقلّ عن هذا فی مصر بالنسبه إلی الساده العلویین.

کان الإمام الهادی صابرا متحملا لکل أنواع هذا الاضطهاد و الأذی و بعد وفاه المتوکل جاء کل من المنتصر و المستعین و المعتزّ إلی منصه الخلافه،و قتل الإمام بأمر من المعتزّ الخلیفه العباسی.

۱- ۱) مقاتل الطالبیین ۳۹۵.

۲- ۲) مقاتل الطالبیین ۳۹۵-۳۹۶.

الإمام الحادى عشر:

هو الإمام الحسن بن على(العسكرى)ابن الإمام الهادى ولد سنه ۲۳۲ ه.و فى سنه ۲۶۰ ه.(وفقا لبعض الروايات الشيعيه) دسّ إليه السم بإيعاز من المعتمد الخليفه العباسى،و قضى نحبه مسموما (۱).

الإمام العسكرى جاء إلى مقام الإمامه بعد أبيه بأمر من الله تعالى و حسب ما أوصى به أجداده الكرام.و طوال مده خلافته التى لا تتجاوز السبع سنين كان ملتزما بالتقيه،و منعزلا عن الناس حتى الشيعه،و لم يسمح إلا للخواص من أصحابه بالاتصال به، و مع كل هذا فقد قضى زمنا طويلا فى السجون (۲).

و السبب فى كل هذا الاضطهاد:

أولا: كان قد وصل عدد الشيعه إلى حدّ يلفت الأنظار،و صار هذا الأمر واضحا جليا للعيان،و أيضا صار أئمه الشيعه معروفين أكثر،فعلى هذا كانت الحكومه آنذاك تتعرض للأئمه أكثر من ذى قبل و تراقبهم،و كانت تسعى للإطاحه بهم و إبادتهم بكل الوسائل الخفيه.

ثانيا: قد اطلعت الدوله العباسيه أن الخواص من الشيعه تعتقد أن هناك ولد للإمام الحادى عشر،و طبقا للروايات التى تنقل عن

---

۱ - ۱) إرشاد المفيد /۳۱۵دلائل الإمامه /۲۲۳الفصول المهمه ۲۶۶-۲۷۲.مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۲۲/أصول الكافى ج ۱:۵۰۳.

۲- ۲) إرشاد المفيد /۳۲۴أصول الكافى ج ۱:/۵۱۲مناقب ابن شهرآشوب ج ۴:۴۲۹ و ۴۳۰.

الإمام الهادی،و کذا من أجداده،یعرفوه ب(المهدی الموعود)و قد أخبر عنه النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم (۱)بموجب الروایات المتواتره عن الطریقین عند العامه و الخاصه،و یعتبرونه الإمام الثانی عشر لهم.

و لهذا السبب کان الإمام الحادی عشر أکثر مراقبه من سائر الأئمه،فصمّم خلیفه ذلک الزمان أن یقضی علی موضوع الإمامه عند الشیعه بکل وسیله تقتضی بها الضروره،و بهذا یغلق هذا البحث الذی طالما کان مثارا لإزعاجهم.

و لما سمع المعتمد الخلیفه العباسی بمرض الإمام العسکری أرسل إلیه الأطباء مع عدد من القضاه و من یعتمد علیهم کی یراقبوا الإمام عن کثب و ما یجری فی داره،و بعد استشهاد الإمام و وفاته،فتشوا البیت بدقه،و فحصوا الجاریات اللواتی کن یخدمن فی بیت الإمام بواسطه الممرضات(القابلات)،و بقوا یبحثون عن خلف للإمام لمده سنتین حتی استولی علیهم الیأس (۲).

۱- ۱) یراجع صحیح الترمذی ج ۹ باب ما جاء فی المهدی/صحیح أبی داود ج ۲ کتاب المهدی/صحیح ابن ماجه ج ۲ باب خروج المهدی.کتاب ینابیع الموده/کتاب البیان فی أخبار صاحب الزمان لمؤلفه محمد بن یوسف الشافعی/کتاب نور الأبصار لمؤلفه الشبلنجی/کتاب مشکاه المصابیح لمؤلفه محمد بن عبد الله الخطیب/کتاب الصواعق المحرقه تألیف ابن حجر/کتاب إسعاف الراغبین لمؤلفه محمد الصبان/ کتاب الفصول المهمه/صحیح مسلم/کتاب الغیبه تألیف محمد بن إبراهیم النعمانی /کمال الدین تألیف الشیخ الصدوق/إثبات الهداه لمؤلفه محمد بن حسن الحرّ العاملی/بحار الأنوار لمؤلفه العلامه المجلسی ج ۵۱،۵۲.

۲- ۲) أصول الکافی ج ۱:/۵۰۵إرشاد المفید ۳۱۹.

دفن الإمام الحادی عشر بعد وفاته فی داره فی مدینه سامراء بجوار مدفن أبیه.

و لا یخفی أن أئمه أهل البیت طوال حیاتهم علّموا و ربّوا العدید من العلماء و المحدثین،إذ یصل عددهم المئات،و مراعاه للاختصار لم نستعرض فهرست أسماء هؤلاء و مؤلفاتهم و الآثار العلمیه التی ترکوها،و شرحا لأحوالهم (۱).

الإمام الثانی عشر:

اشاره

هو الإمام المهدی الموعود(و یذکر بإمام العصر و الزّمان غالبا) ابن الإمام الحادی عشر العسکری،اسمه یطابق اسم النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم ولد فی سامراء سنه ۲۵۵ أو ۲۵۶ ه.

و کان یعیش تحت رعایه والده حتی سنه ۲۶۰ ه.حین استشهاد والده،و کان مختفیا عن أنظار العامه،و لم ینجح أحد بلقائه و الاتصال به إلا الخواصّ من الشیعه.

و بعد استشهاد والده،أنیطت به مهمه الإمامه،و بأمر من الله تعالی،اختار الغیبه،و لم یظهر للعیان إلّا لنوابه الخواص و فی موارد استثنائیه (۲).

۱- ۱) یراجع کتاب رجال الکشی و رجال الطوسی و فهرست الطوسی و سائر کتب الرجال.

۲- ۲) بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۲-۳۴-۳۳۶.کتاب الغیبه تألیف محمد بن حسن الطوسی الطبعه الثانیه صفحه ۲۱۴-۲۴۳.کتاب إثبات الهداه ج ۶ و ۷.

عيّن الإمام المهدى عليه السّلام عثمان بن سعيد العمرى نائبا خاصا له و الذى كان من أصحاب جدّه و أبيه و كان ثقه أمينا،و كان الإمام يجيب على أسئله الشيعه عن طريق هذا النائب الخاص.

و بعد عثمان بن سعيد استخلف ابنه محمد بن عثمان،و بعد وفاه محمد بن عثمان العمرى،استناب أبو القاسم حسين بن روح النوبختى.

و بعد وفاه حسين بن روح النوبختى أصبح على بن محمد السمرى نائبا خاصا للإمام المهدى عليه السّلام. و فى أواخر حياه على بن محمد السمرى إذ لم يبق من حياته سوى أيام قلائل(سنه ٣٢٩ ه) صدر توقيع من الناحيه المقدسه،فيه إبلاغ لعلى بن محمد السمرى بأنه سيموت و يودّع هذه الحياه بعد سته أيام،و بعدها تنتهى النيابه الخاصه،و تقع الغيبه الكبرى،و ستستمر حتى يأذن الله تعالى بالظهور (١)و حسب هذا التوقيع تنقسم غيبه الإمام إلى قسمين:

الأول:الغيبه الصغرى،بدأت سنه ٢٦٠ ه.و انتهت فى سنه ٣٢٩، و استمرت حوالى سبعين عاما. الثانى:الغيبه الكبرى،و التى بدأت سنه ٣٢٩،و ستستمر حتى يأذن الله تعالى.و يروى عن النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم فى حديث متفق عليه(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتى و من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما) (٢).

١- ١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠-٣٦١/الغيبه تأليف الشيخ الطوسى ص ٢٤٢.

٢- ٢) الفصول المهمه صفحه ٢٧١.

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر العامه

و کما أشرنا فی بحث النبوه و الإمامه،وفقا لقانون الهدایه العامه الجاریه فی جمیع أنواع الکائنات،فالنوع الإنسانی مجهّز بحکم الضروره بقوه(قوه الوحی و النبوه)ترشده إلی الکمال الإنسانی و السعاده النوعیه،و بدیهی أن الکمال و السعاده لو لم یکونا أمرین ممکنین للإنسان الذی تعتبر حیاته حیاه اجتماعیه، لکان أصل التجهیز لغوا و باطلا،و لا یوجد لغو فی الخلقه مطلقا.

و بعباره أخری،أن الإنسان منذ أن وجد علی ظهر البسیطه کان یهدف إلی حیاه اجتماعیه مقرونه بالسعاده و کان یعیش لغرض الوصول إلی هذه المرحله،و لو لم تتحقق هذه الأمنیه فی الخارج، لما وعد الإنسان نفسه بهذه الأمنیه.فلو لم یکن هناک غذاء لم یکن هناک جوع،و لو لم یکن هناک ماء،لم یکن عطش و إذا لم یکن تناسل،لم تکن علاقه جنسیه.

فعلی هذا و بحکم الضروره فإن مستقبل العالم سیکشف عن یوم،یهیمن فیه العدل و القسط علی المجتمع البشری،و یتعایش أبناء العالم فی صلح و صفاء و مودّه و محبّه،تسودهم الفضیله و الکمال.

و طبیعی أن استقرار مثل هذه الحاله بید الإنسان نفسه، و القائد لمثل هذا المجتمع سیکون منجی العالم البشری،و علی حد تعبیر الروایات سیکون(المهدی).

و نجد الأدیان و المذاهب المختلفه القائمه فی العالم مثل الوثنیه، و الیهودیه و المسیحیه و المجوسیه،و الإسلام تبشّر بمصلح و منج

للبشریه،و إن اختلفت فی تصوره.و ما حدیث النبی الکریم صلی اللّه علیه و آله و سلم، المتفق علیه(المهدی من ولدی)إلاّ إشاره إلی هذا المعنی.

بحث فی ظهور المهدی(عج)من وجهه نظر الخاصه

فضلا عن الروایات المتزایده عن الطریق العامه و الخاصه، و التی تروی عن النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و أئمه أهل البیت علیه السّلام فی ظهور المهدی علیه السّلام و أنه من سلاله النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم،و مع ظهوره،سیؤدّی بالمجتمع البشری إلی کماله الواقعی و الحقیقی،و سیمنحها الحیاه المعنویه (۱)، فإن هناک روایات متضافره أخری تشیر إلی أن المهدی هو ابن الإمام الحسن العسکری علیه السّلام(الإمام الحادی عشر)بلا فصل (۲)و بعد الغیبه الکبری سیظهر،و یملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا.

ص: ۲۱۶

---

۱ - ۱) و علی سبیل المثال قال أبو جعفر(ع):إذا قام قائمنا،وضع الله یده علی رءوس العباد فجمع به عقولهم و کملت به أحلامهم،بحار الأنوار ج ۵۲ صفحه ۳۲۸ و ۳۲۶.قال أبو عبد الله(ع):«العلم سبعه و عشرون حرفا فجمیع ما جاءت به الرسل حرفان فلم یعرف الناس حتی الیوم غیر الحرفین،فإذا قام قائمنا أخرج الخمسه و العشرین حرفا فبثّها فی الناس،و ضمّ إلیها الحرفین حتی یبثّها سبعه و عشرین حرفا»بحار الأنوار ج ۵۲ صفحه ۳۳۶.

۲ - ۲) و علی سبیل المثال أیضا:قال علی بن موسی الرضا(ع)فی حدیث:إلی أن قال،الإمام بعدی محمد ابنی و بعد محمد ابنه علی و بعد علی ابنه الحسن و بعد الحسن ابنه الحجه القائم المنتظر فی غیبته،المطاع فی ظهوره،لو لم یبق من الدنیا إلاّ یوم واحد لطوّل الله ذلک الیوم حتی یخرج فیملأ الأرض عدلا کما ملئت جورا،و أما متی فقد حدثنی أبی عن أبیه عن آبائه عن علی أنه قیل یا رسول الله متی یخرج القائم من ذریتک فقال:مثله مثل الساعه لا یجلیها لوقتها إلا هو ثقلت فی السموات و الأرض لا یأتیکم إلاّ بغته.بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۵۴.صفر بن أبی دلف قال سمعت أبا جعفر محمد بن الرضا(ع)یقول(الإمام بعدی ابنی علی،أمره أمری و قوله قولی-

ردّ على الشبهات

يعترض مخالفو الشيعه بأنه وفقا لاعتقاد هذه الطائفه،يجب أن يكون عمر الإمام الغائب ما يقرب من اثنى عشر قرنا،فى حين أن الإنسان لا يستطيع أن يعمّر هكذا عمر.

الجواب:الاعتراض هذا مبنى على الاستبعاد،و أن العمر الطويل كهذا يستبعد،لكن الذى يطالع الأخبار الوارده عن الرسول الأعظم فى خصوص الإمام الغائب،و كذا عن سائر أئمه أهل البيت(ع)سيلاحظ أن نوع الحياه للإمام الغائب تتصف بالمعجزه خرقا للعاده،و طبيعى أن خرق العاده ليس بالأمر المستحيل و لا يمكن نفى خرق العاده عن طريق العلم مطلقا.

لذا لا تنحصر العوامل و الأسباب التى تعمل فى الكون فى حدود مشاهدتنا و التى تعرّفنا عليها،و لا نستطيع نفى عوامل أخرى و هى بعيده كل البعد عنا و لا علم لنا بها،أو أننا لا نرى آثارها و أعمالها،أو نجهلها.من هذا يتضح إمكان إيجاد عوامل

(٢

-و طاعته طاعتى،و الإمام بعده ابنه الحسن،أمره أمر أبيه و قوله قول أبيه و طاعته طاعه أبيه،ثم سكت،فقلت له يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟فبكى بكاء شديدا ثم قال:إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر-بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۵۸. قال موسى بن جعفر البغدادى سمعت أبا محمد الحسن بن على يقول:كأنّى بكم و قد اختلفتم بعدى فى الخلف منى أما أن المقرّ بالأئمه بعد رسول الله و المنكر لولدى كمن أقر بجميع أنبياء الله و رسله ثم أنكر نبوّه محمد رسول الله و المنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء لأن طاعه آخرنا كطاعه أولنا و المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا أما أن لولدى غيبه يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله-بحار الأنوار ج ۵۱ صفحه ۱۶۰.

فی فرد أو أفراد من البشر بحیث تستطیع تلک العوامل أن تجعل الإنسان یتمتع بعمر طویل جدا قد یصل إلی الألف أو آلاف من السنوات،فعلی هذا فإن عالم الطب لم ییأس حتی الآن من کشف طرق لإطاله عمر الإنسان.

و هذا الاعتراض،من الذین یعتقدون بالکتب السماویه کالیهودیه و المسیحیه و الإسلام وفقا لکتبهم السماویه.و یقرّون المعجزات و خرق العادات التی کانت تتحقق بواسطه أنبیاء الله تعالی،یثیر الإعجاب و الاستغراب.

و یعترض مخالفو الشیعه من أن الشیعه تعتبر لزوم وجود الإمام لبیان أحکام الدین و حقائقه،و إرشاد الناس و هدایتهم،فإن غیبه الإمام تناقض هذا الغرض،لأن الإمام الذی قد غاب عن الأنظار و لا توجد أیه وسیله للوصول إلیه،لا یترتب علی وجوده أی نفع أو فائده،و إذا کان الله سبحانه یرید إصلاح البشریه بواسطه شخص،فإنه قادر علی خلقه عند اقتضاء الضروره لذلک،و لا حاجه إلی خلقه قبل وقته و قبل الاحتیاج إلیه بآلاف السنوات.

الجواب:إن مثل هؤلاء لم یدرکوا حقیقه معنی الإمامه،و اتضح فی مبحث الإمامه،أن وظیفه الإمام و مسئولیته لم تنحصر فی بیان المعارف الإلهیه بشکلها الصوری،و لم یقتصر علی إرشاد الناس من الناحیه الظاهریه،فالإمام فضلا عن تولیه إرشاد الناس الظاهری،یتّصف بالولایه و الإرشاد الباطنی للأعمال أیضا و هو الذی ینظّم الحیاه المعنویه للناس،و یتقدّم بحقائق الأعمال إلی الله جلّ شأنه.

بدیهی أن حضور أو غیبه الإمام الجسمانیه فی هذا المضمار لیس له أی تأثیر،و الإمام عن طریق الباطن یتصل بالنفوس و یشرف علیها،و إن بعد عن الأنظار و خفی عن الأبصار،فإن وجوده لازم دائما،و إن تأخر وقت ظهوره و إصلاحه للعالم.

الخاتمه:

البلاغ المعنوی للشیعه

البلاغ المعنوی للشیعه الموجه للناس کافه،یتلخص عن کلمه واحده و هی«اعرفوا الله»و بتعبیر آخر،اسلکوا طریق معرفه الله کی تسعدوا و تفلحوا،و هذه هی العباره التی قالها النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم فی بدایه دعوته:«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

کی یتضح هذا البلاغ نقول مجملا:

نحن البشر بحسب الطبع،نهوی الکثیر من شئون الحیاه، و لذائذها المادیه،کالأکل و الشرب و الألبسه الفاخره،و الصور و المناظر الخلابه و الزوجات الحسناوات و الأصدقاء المخلصین، و الثروات الطائله،أما عن طریق القدره و السیاسه،و المقام و اتساع السلطه و الحکومه،أو القضاء علی کل ما یخالف مأربنا.

و لکننا ندرک جیدا مع ما أوتینا من فطره إلهیه،إن هذه الأمور و اللذائذ کلها خلقت لأجل الإنسان،لا أن الإنسان خلق لها،و یجب أن تکون هذه فی طلب الإنسان،لا الإنسان یسعی فی طلبها،و إذا ما کان الهدف الغائی و النهائی هو الغریزه و الشهوات فهذا هو منطق الحیوانات و الأنعام،و ما القتل و الفتک و الإطاحه بسعاده

الآخرين إلا منطق الذئاب،و أما منطق الإنسان فيبتنى على العقل و العلم فحسب.

إن منطق العقل،و الالتفات إلى حقيقتنا،يدعونا إلى اتّباع الحق،لا اتباع هوى النفس،إن أنواع الشهوات و حبّ الذات و الأنانيه،تعتبر حسب منطق العقل الإنسانى جزء من عالم الطبيعه و ليس لها أىّ استقلال،و على خلاف ما يتصوره الإنسان من أنه هو الحاكم للطبيعه و الكون،و يظن أن الطبيعه الطاغيه يجب أن تكون أداه طيّعه له.

إن منطق العقل يدعو الإنسان إلى التفكر و التعلق فى هذه الحياه الغابره كى يتضح أن الوجود و ما فيه لم يكن ليوجد من تلقاء نفسه،بل أن الكون و ما فيه يستلهم وجوده من منبع و مصدر غير متناه.

و لكى يظهر جليا فإن الجمال و القبح و الكائنات الأرضيه و السماويه و التى تظهر بصورها الواقعيه المستقله فى نظر الإنسان،ما هى إلا حقائق ظهرت تلك إلى الوجود بوجود حقائق أخرى،و ما ظهورها إلا ظهور تلك الحقائق و ليست حقائقها من أنفسها،و كما أن الواقعيات و القدرات العظيمه التى كانت تتمتع بالوجود أمس لم تصبح إلا أسطوره،فكذلك الواقعيات اليوم أيضا،و النتيجه أن كل شىء فى حدوده و عند نفسه لا يتجاوز الأسطوره؟

إن الله جلّ و علا هو الحقيقه التى لا تزول،و كل ما فى الوجود يستمد وجوده منه،و لو لا وجود الله لما ظهر إلى الوجود.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة
للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
اصفهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹